

الكوكب الشاهق

في الفرق بين

المريد الصادق وغير الصادق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشراقي

المتوفى ٩٧٣ هـ

وإليه

الوصايا والنصائح الخلوئية

لشيخ الهدية مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١١٦٩ هـ

والشيخ حسنة بن ضرار المالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ

محقق ومترجم وتعليق

أحمد فريد المزيدي



DKI

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah

بيروت - لبنان

سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الكوكب الشاهق

في الفرقين

المريد الصادق وغير الصادق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشبراوي

المتوفى ٩٧٣ هـ

وإليه

الوصايا والنصائح الخالوتية

لشيخ الهداية مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى ١١٦٢ هـ

والشيخ حسنة بن شعوان المالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ

تقريب وترتيب

أحمد فريد المزيدي



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah

لقد ساهم في هذا العمل

سنة ١٤١٢ هـ

DKI

الكوكب الشاهق

في الفرق بين

المريد الصادق وغيره لصادق

تأليف

الشيخ أبي المواهب عبد الوهاب الشراقي

المتوفى ٩٧٣ هـ

وليته

الوصايا والنصائح الخلوئية

للشيخ العلامة مصطفى بن كمال الديوبندري البكري

المتوفى ١١٦٩ هـ

والشيخ حسنة بن رضوان الهالدي

المتوفى ١٣١٠ هـ

تقيقته وتصحيحه وتعليقه

أحمد فرید المزیري



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

**Title : Al-kawkab al-šāhiq
fi al-farq bayn al-murfd
al-šādiq waḡayr al-šādiq**

followed by **Al-waṣāyā wal-Naṣā'ih al-Ḥalwatīyyah**

classification: Sufism

Author : 'Abdul-Wahhāb al-Ša'rānī

and Muṣṭafā al-Bakrī

and Ḥasan ben Raḡwān al-Ḥālīdī

Editor : Aḥmad Farīd al-Mīzyādī

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Pages : 216

Year : 2008

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

الكتاب : الكوكب الشاهق

في الفرق بين المرید الصادق وغير الصادق

وباب : النصائح والوصايا الخلوتية

التصنيف : تصوف

المؤلف : الشيخ عبد الوهاب الشعراني

والشيخ مصطفى البكري

والشيخ حسن بن رضوان الخالدي

المحقق : أحمد فريد المزيدي

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات : 216

سنة الطباعة : 2008

بلد الطباعة : لبنان

الطبعة : الأولى



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان



Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés



جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة نشر الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أنظمة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو ترجمته على أسطوانات صوتية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٨ م - ١٤٢٩ هـ

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

Monamad / Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Arsamon, al-Quetbeh,

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel : +961 5 804 810/11/12

Fax: +961 5 804813

P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon

Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

فرسبون - القبيّة

مبنى دار الكتب العلمية

هاتف: ٨١٠ / ١١ / ٨٠٤ ٩٦١ +

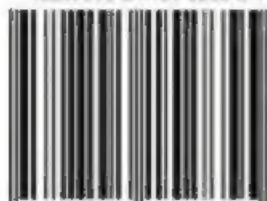
فاكس: ٨١٣ ٨٠٤ ٩٦١ +

ص.ب: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠ الرياض السلولي

ISSN 2-7451-5285-8 (10 dig.)

ISSN 978-2-7451-5285-5 (13 dig.)



9 0000

9 782745 152855

<http://www.al-ilmiyah.com>

sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أسبغ علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وجعلنا خير أمة، وأنزل الكتاب هدىً للناس ورحمة، وبعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

والصلاة والسلام على نبيه وصفيه سيدنا محمد الذي من الله به علينا أي منة، وعلى آله الأطهار، وأصحابه البررة المتخلقة بأخلاق الكتاب والسنة، والراغبين من الأئمة.

وبعد.. فهذه درر لأمعة، وأنوار ساطعة وشار ياتعة، أتحفنا بها إمام الأئمة، والمربي القدوة: سيدي عبد الوهاب الشعراني، الذي حاز المرتبة العليا في تربية المريدين، والدرجة العظمى في سلوك العارفين، فصنف وأبدع ما كان دستوراً للمهتدين.

فقد بين أخلاق المريد الصادق مع ربه ونبيه وشيخه، السعيد الذي حظي بتوفيق خالقه.

وحذر من سلوك غير مرضي، يوقع بالعبد في الطرد، وحرمانه من العطاء بالسلب. ولأهمية هذا الكتاب النافع المهم جداً لك مريد للسلوك السوي الرشيد، دعانا شيخنا الولي الأشهر، التقي الذكي الأظهر، ذي المواهب والأسرار، والمناقب التي لا تُحصى بالعد والانهصار، المربي طيب الأرواح، المتصرف في القلوب والأشباح، شيخ شيوخ عصره، ومنبع البركات في أفطار الأرض، الخوث الشيخ، مصطفى بن عبد السلام قدس الله سره، ونور ضريحه، إلى تحقيقه، حتى ينتفع به الإخوان في طريق القوم، وطلاب العلم الشريف.

فإدركنا إلى ضبطه، وتصحيحه، وتخريج أحاديثه وآثاره، والتعليق عليه، والترجمة لأعلامه، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وأصل الكتاب مصوراً بجامعة الإسكندرية، ومكتبة البلدية بها، وجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وهو بنار الكتب المصرية، وقد سبق طبعه قديماً من قبل.

وإليك أيها القارئ الكريم الكتاب في حالته الجديدة، سائلاً الله أن يتقبله منا، وهو ولي التوفيق. كتبه: أبو الحسن أحمد فريد المزيدي المصطفوي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة للشيخ المصنف

أرخ سيدي عبد الوهاب الشعراوي لنفسه في كتابه لطائف المنن فقال:

أحمد الله تعالى حيث جعلني من أبناء الملوك فإني بحمد الله تعالى عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوقا بن الشيخ موسى، المكنى في بلاد البهنسا بأبي الصمران، جدي السادس ابن السلطان أحمد بن السلطان سعيد، بن السلطان فاشين، بن السلطان محيا، بن السلطان زوقا، بن السلطان ريان، بن السلطان محمد بن موسى، بن السيد محمد ابن الحنفية، بن الإمام علي بن أبي طالب ؑ.

وكان جدي السابع الذي هو السلطان أحمد سلطاناً في مدينة تلمسان في عصر الشيخ أبي مدين المغربي، ولما اجتمع به جدي موسى قال الشيخ أبو مدين: لمن تنسب؟ قال: والذي السلطان أحمد، فقال له: إنما عنيث تسبك من جهة الشرف، فقال: أنتسب إلى السيد محمد ابن الحنفية، فقال: ملك، وشرف، وفقر: أي تصوف لا يجتمعن، فقال: يا سيدي قد خلعت ماعدا الفقر، فرباه فلماً كما في الطريق أمره بالسفر إلى صعيد مصر، وقال له: اسكن بناحية هو ((أحدى مدن محافظة قنا)) فإن بها قبرك فكان الأمر كما قال.

ولم يحدد لنا التاريخ السنة التي هاجر فيها موسى إلى مصر، ولكن كتب التاريخ حددت لنا تاريخ وفاته، فقد توفي ببلدة ((هو)) عام ٧٠٧ هـ بعد أن نجحت دعوته.

واهتدى هديه الصوفي جمهور ضخم في الصعيد الأعلى، واستمرت أسرة الشعراوي بالصعيد حتى مطلع القرن التاسع الهجري، فهاجر عميدها أحمد إلى ساقية أبي شعرة بالمتوفية، وأسس بها زاوية للعلم وللعبادة وانتقل إلى جوار ربه عام ٨٢٨ هـ.

مولده ونشأته:

ولد الشعراوي على أصح الروايات وأشهرها في ٢٧ رمضان عام ٨٩٨ هـ ببلدة قلقشندة وهي قرية جده لأمه، ثم انتقل بعد أربعين يوماً من ولده إلى قرية أبيه ساقية أبي شعرة وإليها انتسب، فنقب بالشعراوي، وعرف بهذا اللقب واشتهر به، وإن كان هو قد سبى نفسه في مولفاته بالشعراوي.

ولقد اضطرب رجال التاريخ في تحديد مولده، فلقد ذكر صاحب ((النور الأسافر))

تاريخاً لمولده قبل هذا التاريخ بقليل، والمناوي وعلي مبارك والمستشرق شاخت فقد ألفوا التاريخ الذي ذكرناه، وهو المعتمد.

واضطرب رجال التاريخ أيضاً في الحديث عن طفولته ونشأته، فذهب المستشرقان كرومر وليكسون إلى أنه اشتغل في مطلع حياته بالنسيج.

والشيخ الشعراوي يقول في صراحة: إن من متن الله عليه أنه لم تكن هناك عوائق تعيقني عن طلب العلم والعبادة منذ طفولتي، وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداي ولحمتي، وهذه القناعة أغنتني عن الوقوع في الذل لأحد من أبناء الدنيا، ولم يقم لي أنني باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دينوي، منذ بلغت، ولم يزل الحق تعالى يرزقني من حيث لا احتسب إلى وقتي هذا، وعرضوا علي الألف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيئاً، وكان التجار والكبراء يأتون بالذهب والفضة فأنثرهما في صحن جامع الغمري، فيلتقطه المهاجرون.

وحفظ الشعراوي في قريته كما يحدثنا في المتن القرآن الكريم، ثم حفظ أبا شجاع والأجرومية، ودرسهما على أخيه الشيخ عبد القادر.

وتوفي والده قبل أن يبلغ العاشرة، فنشأ يتيماً من الأبوين، وكان الله وحده كما يقول هو نصبره ووليه.

ويقص علينا الشعراوي تاريخ حضوره إلى القاهرة بذلك الأسلوب القلبي الأخاذ الذي عرف عن الشعراوي فيقول:

وكان يجيء إلى القاهرة سنة عشرة وتسعمائة، وعمري إذ ذاك اثنتا عشرة سنة، فأقيمت في جامع سيدي أبو العباس الغمري، وحين الله علي شيخ الجامع وأولاده فمكثت بينهم كأني واحد منهم، أكل ما يأكلون، وأليس ما يلبسون، فأقيمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية والالها على الأشياخ.

ثم يقول: ولم أرل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصي معتقداً عند الناس، يعرضون علي كثيراً من الذهب والفضة والثياب، فتارة أردّها، وتارة أطرحها في صحن الجامع، فيلتقطها المهاجرون.

ولث الشعراوي في مسجد الغمري، يعلم ويتعلم ويتعبد ويتعبد سبعة عشر عاماً، ثم انتقل إلى مدرسة أم خوند، وفي تلك المدرسة بزغ نجم الشعراوي وتألّق.

حياته ومكانته العلمية وسلوكه طريق القوم:

يقول الشعراني: ولقد اجتمعت بخلائق لا تحصى من أهل الطريق اتس لدهم المفاتيح والأبواب، فلم يكن لي ودعة عند أحد منهم.

قرأ الشيخ على العلماء والأئمة كتب ومتون ما لا يحصى كثرة، وحجبه إليه علم الحديث فلزم الاشتغال به والأخذ عن أهله، ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين ولا لدونه ثقلة، بل هو فقيه النظر، صوفي الخبر، نه دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف، وكان ينهي عن الخط على الفلاسفة وتقيصهم، وينفر ممن يذمهم، ويقول هؤلاء عفلاء، ثم أقبل على الاشتغال بالطريق بمجاهدة نفسه مدة، ولطع العلائق الدنيوية، ومكث سنين لا يضطجع على الأرض ليلاً ولا نهاراً، بل اتخذ له جبلاً يسقف خلوته يجعله في عنقه ليلاً حتى لا يسقط.

وكان يطوى الأيام المتولية، ويدم الصوم، ويفطر على أوقية من الخبز، ويجمع الخروق من الكيمان فيجعلها مرقعة يستتر بها، وكانت عمامته من شراميط الكيمان وقصاصة الجلود، واستمر كذلك حتى قويت روحانيته، وكان يفتتح مجلس الذكر عقب العشاء، فلا يختمه إلا عند الفجر.

فقد عاش الشعراني حياته تحت ظلال المساجد ليله ونهاره متيناً في طلب العلم، عالماً في التعميد، عاش نقياً طاهراً بمجاهدة في سبيل الكمال العلمي والكمال الخلقى.

فكان صوفياً في منهجه الذي أخذ نفسه به طوال حياته، يقول في المتن: إن من من الله على أن ألهمني بمجاهدة نفسي من غير شيخ منذ طفولتي.

وأصبحت زاوية الشعراني التي أسسها ليتلقى فيها الطلاب علوم الظاهر مع أذواق الباطن من أعظم منارات العلم والثقافة والتوجيه في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وغدت مثابة للعلماء والأدباء، ومنبراً للدعوة والإرشاد، وساحة للذكر والعبادة، ورواقاً يرسل الشعاع الروحي النقي في عصر انطفأت فيه المصابيح، وخضت مشاعل الحياة.

وأصبح الشعراني قطب الرحي في عصره يلوذ به طلاب العلم وطلاب الذوق، كما يلجأ إليه أصحاب الحاجات والشفاعات، وعلى باب الزاوية يزدحم الأمراء والكبراء.

فكان الإمام متخلق بخلق النصف متأدب بأدابه وأخذ نفسه بكل ما كتب وسطر في كتبه فكان خلقه صورة رسالته.

كان الشعراوي يرى أن الإنسان لا يكون إنساناً إلا إذا شارك الناس كافة في أحزانهم وآلامهم؛ لأن الإنسانية وحدة متماسكة خيرها مشترك، وعذابها مشترك، يقول: من ضحك أو استمتع بزوجه أو لبس مبعراً أو ذهب إلى مواضع المتنزهات أيام نزول البلاء على المسلمين فهو والبهائم سواء.

وكان رحيماً بالناس، ورحيماً بنوع خاص بالعصاة والمذنبين، لأهم أشد الناس ضعفاً، وأحوجهم إلى العطف والنصح والرحمة.

يقول متحدثاً عن مبادئه: ثم ستري لعورات الناس وعيوبهم ورحمتي بالعصاة حال تبسهم بالمعصية، فلنهم أشقى الناس حينئذ.

ثم يقول واصفاً خلقه: ثم غيرتي على أذني أن تسمع زوراً، وعيني أن تنظر محرماً، ولساني أن يتكلم باطلاً.

وكان الشعراوي يرى أن العبادة لا تصلح إلا بصلاح القلب ونقاء الأخلاق، فكان لا يقوم إلى الصلاة إلا إذا فتن قلبه، هل فيه غل أو حقد، أو حسد، أو نيمة، أو شهوة صغيرة أو كبيرة، بل كان يستحي أن ينام وفي قلبه شيء من هذا؛ لأن النوم رحلة الروح إلى الملأ الأعلى.

ويسمو الشعراوي في أدب النفس، ويرتفع في معارج الخلاق، فيقول: وما أنعم الله به عليّ عدم خروجي من بيتي إلا إذا علمت من نفسي القدرة بإذن الله على هذه الثلاث خصال: تحمل الأذى عن الناس، وتحمل الأذى منهم، وجلب الراحة لهم.

وقال ابن العماد الحنبلي:

حسده طوائف قدسوا عليه كلمات بخالف ظاهرها الشرع، وعقائد زائغة، ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا عليه القيامة، وشنعوا وسبوا ورموه بكل عظيمة فخذلهم الله وأظهره عليهم، وكان مواظباً على السنة مبالغاً في الورع، مؤثراً ذوى الفاقة على نفسه حتى بملبوسه، متحماً للأذى موزعاً أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسلية وإفادة، واجتمع بزائوته من العميان وغيرهم نحو مائة فكان يقوم بهم نفقة وكسوة، وكان عظيم الهبة والفر الجاه والحرمة، تأتي إلى بابه الأمراء.

وكان يسمع لزائوته دوي كدوي النحل ليلاً ونهاراً.

وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى ﷺ ولم يزل مقيماً على ذلك معظماً

في صدور الصدور إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته.

ومن كلامه: دوروا مع انشراح كيف كان لا مع الكشف فإنه قد يخطئ.

وقال: ينبغي إكثار مطالعة كتب الفقه عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحظت لهم بارقة من الطريق فمنعوا مطالعته، وقالوا: إنه حجاب جهلاً منهم.

وقال: ذهب بعض أهل الكشف إلى أن جميع الحيوان هم تكليف الهي برسول منهم في دوائهم لا يشعر به إلا من كشف عن بصره، فإن لله الحجة على خلقه فلا يعذب أحداً إلا جزاء، فلا إشكال في إيلام الدواب.

وقال: الخمر آخر ما تنتهي إليه المعادير، وذلك سبب مآل أهل اترحة إلى الرحمة.

تصانيفه:

حال قدم الشعراي في كل أفاق من آفاق المعرفة العلمية والتدوقية.

مكتب في الأصول، في التصوف، والتوحيد، والفقه والأصول، والتفسير، والحديث، والتاريخ، والمسابق، واللغة، والمحو، والنطب، وغيرها، فذكر بعضها:

١- المحو المصور والسر المرقوم فيما تنتحه الحلوة من الأسرار والعلوم.

٢- الدرة المنورة في زيد العلوم المشهورة.

٣- نوافح الأنوار في طبقات الأخيار الكبري، والوسطى، والصغرى.

٤- المقدمة النحوية في علم العربية.

٥- شرح جمع الجوامع للسبكي.

٦- الميراث الشعراية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية.

٧- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين. تحت قيد الطبع.

٨- مدارج السالكين. بتحقيقنا.

٩- لطائف المس والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق.

١٠- رسالة في آداب تلقين الذكر.

١١- درة العواصم على فتاوى الخواص.

- ١٢- الجواهر والدرر الصغرى، والكبرى، والوسطى. تحت قيد التحقيق.
- ١٣- هجة النفوس والأحداق. يسر الله لنا تحقيقه.
- ١٤- الأخلاق المتبولة المعاصرة من الحضرة المحمدية.
- ١٥- البحر المورود في المواقف والعبود.
- ١٦- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان. بتحقيقنا.
- ١٧- خبايا الزوايا. تحت قيد التحقيق.
- ١٨- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر.
- ١٩- تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس.
- ٢٠- رسالة في العناقد.
- ٢١- رسالة في التسليك.
- ٢٢- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية.
- ٢٣- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين. تحت قيد الطبع.
- ٢٤- مختصر تذكرة السويدي في الطب، طبع بتحقيقنا.
- ٢٥- مختصر اعتقاد أهل السنة للبيهقي. تحت قيد الطبع بتحقيقنا.
- ٢٦- الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع. طبع بتحقيقنا.
- ٢٧- الدرر الستية على انوصية المتبولة.
- ٢٨- البدر المنير في غريب أحاديث البشير.
- ٢٩- منحة المنة في التلبس بالسنة.
- ٣٠- تنبيه المعترفين أواخر القرن العاشر على ما حالوا فيه سلفهم الظاهر.
- ٣١- المنهج المبين في مذاهب الأئمة المجتهدين.
- ٣٢- إرشاد المفضلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحة الأمراء.
- ٣٣- مفهم الأكباد في مواد الاجتهاد.
- ٣٤- مختصر تذكرة القرطبي.

- ٣٥- لوائح الخدلان على من لم يعمل بالقرآن.
- ٣٦- حد الحسام على من أوجب العمل بالإمام.
- ٣٧- البرق الخاطف لبصر من عمل بالهواتف.
- ٣٨- الاقتباس في القياس.
- ٣٩- لوائح الأنوار القدسية مختصر الفتوحات المكية. تحت قيد التحقيق.
- ٤٠- مختصر السنن الكبرى للبيهقي.
- ٤١- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية.
- ٤٢- ردع الفقهاء عن دعوى الولاية الكبرى.
- ٤٣- سير المير والتزود ليوم السير.
- ٤٤- الطراز الأبهج على خطبة المنهج.
- ٤٥- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد.
- ٤٦- علامات الخدلان على من لم يعمل بالقرآن.
- ٤٧- فتح الوهاب في فضائل الأئمة والأصحاب.
- ٤٨- القواعد الكشفية الموضحات لمعاني الصفات الإلهية.
- ٤٩- الكوكب الشاهق في انفرق بين المرید العبادي وغير الصادق (كتابا هنا).
- ٥٠- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.
- ٥١- مختصر المدونة الكبرى لسحنون.
- ٥٢- مختصر الألفية لابن مالك في النحو.
- ٥٣- هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين.
- ٥٤- المنن الوسطى. تحت قيد التحقيق.
- ٥٥- المنن الصفري. تحت قيد التحقيق.
- ٥٦- الفتح في معنى الشطح.
- ٥٧- مختصر القواعد الكشفية (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).

٥٨- الميران الدرية الميمنة لعقائد الفرق العلية (طبع بتحقيقه).

٥٩- اليهود الحمديّة.

٦٠- مختصر القواعد للزركشي (أمّ الله تحقيقه).

وفاته: انتقل الشيخ رحمه الله في جمادى الأولى من سنة ٩٧٣ هـ.

ودفن بجانب رابطة يحيى باب الشرعية، بالقرب من بين السورين، وصريحه الشريف
بمسجده المبارك.

انظر في ترجمته:

١- شذرات الذهب لابن العماد الحنبل (٣٧٢/٨).

٢- لطائف المنن للشرعاني (٣٢/١)، (٢٣٦/٧).

٣- الكواكب الفرية للماوي (٦٩/٤).

٤- كرامات الأولياء للنسائي (١٣٤/٢).

٥- الكواكب السائرة للغزي (١٧٦/٣).

٦- هدية العارفين للبغدادي (٦٤١/١، ٦٤٢).

٧- جامع الكرامات لتوفيق الطويل (١٣٨، ١٤٢).

٨- الشرعاني إمام التصوف في عصره ليوسف العشي.

٩- الشرعاني والتصوف الإسلامي لعله سرور.

١٠- الأعلام للزركلي (٣٣١/٤، ٣٣٢).

١١- معجم المؤلفين لكحالة (٣٣٩/٢).

١٢- فهرس الفهارس للكتاني (٤٠٥/٢، ٤٠٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المصنف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، اللهم فصل عليه وسلم، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى أئمة وصحابة أجمعين.

أما بعد...

فهذه أخلاق عربية في فراء أهل هذا الزمان، وكانت من أخلاق المريرين في الزمان الماضي، فصارت من أخلاق الأشباح في هذا الزمان، تلفتها عن نحو مائة شيخ، ممن أدركهم أوائل القرن العاشر في مصر وقراها، معصها شاهدته من أفعالهم، وبعضها اقتنسته من نور أخلاقهم، ولم أجد أحدًا من أصحابهم من اعنى شيء منها، فحسب أن ندرس باندراست تلامذتهم.

فوصفتها في هذه الطروس لينفع الله بها من شاء، وهي كالسيف القاطع لعمق كل من يدعي الإصلاح في هذا الزمان بغير حق؛ لأنها تفصله وتسهحه من طريق الإصلاح، كما تسليح الحية من ثوبها، ولقد حررتها على الكتاب والسنة تحرير الذهب والحرير بحسب فهمي ومقامي.

ثم أعلم يا أخي أن المقراء الصادقين قد اختفوا في هذا الزمان، وعالم من يتظاهر فيه الآن بالإصلاح معدود من الصابرين على تحصيل الدنيا، كما يدل على ذلك مراحمتهم على اعتقاد الأمراء والأكابر فيهم، فكل من طلع له أمير يود أنه لا يطلع لغيره أبدًا، ومن شك في قولي هذا فليجرب.

وقد سميت هذا الكتاب بـ ((منهج الصدق والتحقيق في تمييز المدعين للطريق)) جعله الله خالصًا لوجه الكريم آمين، إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق:

ومن أخلاق المريرين الصادقين: ألا يطلب أحدهم الدخول في طريق القوم إلا بعد تجهزه في علوم الشريعة، حتى يؤذن له إلى أمر آخر عما هو فيه.

وكان سيدي أحمد بن الرماحي يقول: لا يصح بعد دخول طريق القوم إلا بعد تصوره أن يرى النقص في نفسه في سائر العبادات في الطريق.

وكان يقول: سلكت هذه الثلاث كلمات وهي: ملتفت لا يصل، متشكك لا يفلح، ومن لا يعرف عن نفسه النقص، فكل أوفاته نقصان. فإذا سبكت الطريق ورأيت النقص

في نفسك بعد ذلك فقد دخلت إلى أول قدم في الطريق، فإياك أن يقع منك جهل أو جفاء، أو تكون بك علة نحجك عن شهود ربك في ليل أو نهار، فما أقبح الجهل بالأكباب! والحق بالأحباب! والعلة بالأطباء. انتهى.

قال سيدي أحمد: فكان جميع ملوكي هؤلاء الكلمات.

وبلغنا عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمته أنه كان يقول: من لم يتحر في علوم

(١) هو العالم بالله تعالى: سيدي أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي رحمته، شيخ العائلة الصبية الشاذلية، وينتهي سبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، العبد المشهور، وشهرته بالولاية والصلاح نعي عن عمره، ألف الكثير من الكتب في صافه. وتعرف بشيء من سيرته مركبة، ومن أجل ذلك الكتب «تذوق المس» للشيخ ابن عطاء رحمته و«تذوق» للشيخ ابن عماد أني عليه العلماء، وكان امر بن عبد السلام بن يقول في كلامه: سمعوا هذا الكلام العريب القريب العهد بالله.

وكان امر بكر على القوم حتى اجتمع به فصار واحداً معه، شهد به الشيخ أبو عبد الله بن المعمال بالقطبية، وكان الشيخ ابن دقيق العيد يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

ومن كلامه رحمته: رأيت رسول الله ﷺ، ففت: يا رسول الله، ما حقيقة المشاهدة؟ فقال: رؤية المنسوع عند كل شيء، ومع كل شيء. وفي كل شيء، وقال: إذا عارضت كتبك الكتاب والسنة فتعسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وكل تعسك: لا الله قد صم لي المعصية في الكتاب والسنة، ولم يصمها لي في جانب الكشف والإهام ولا المشاهدة.

مع لهم أصحوا على أنه لا يسعى العمل بالكشف ولا الإهام ولا المشاهدة، إلا بعد عرصه على الكتاب والسنة، وقال: لا تشم رائحة الولاية وأن غير راقد في الدنيا وأهله، وقال: إنه برد عسي الوارد فلا أفيه إلا بشاهدين عدلين، وهما الكتاب والسنة. وقال: هل لي: يا عسي، ما عسي وجه الأرض مجلس في الفقه أبي من مجلس الشيخ عر الدين بن عسبد بسلام، وما عسي وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبي من مجلس الشيخ عبد العظيم مسدي، وما عسي وجه الأرض مجلس في الحقائق أبي من مجلسك.

وقال: بنقط خمسة عشر كرامة، فمن ادعها أو شيء منها فسر: أن يمدد العظمة والحلافة والبيان، ومدد حملة العرش العظيم، ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الأسماء والاضداد، ويكرم بكرامة الحكم، والمصل بين الوجودين، والمصال الأول عن الأول، وما تصل عه إلى متبه، وما نت به، وحكم ما قبل، وحكم من لا قبل له ولا بعد، وعمم الله، وهو العمم المحيط بكل علم وكل معلوم بنا من أسر الأول إلى متبه. ثم يعود إليه

وقال: حقيقة القرب المثبة عن القرب بالقرب؛ لعظم القرب.

وقال: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردّها لأحكام الربوبية.

وقال: الصوفي من يرى وجوده كالحاء في الهواء، غير موجود ولا معلوم حسماً هو عليه في علم

الشريعة حتى يصير يقطع أكابر العلماء بالحجج الواضحة في مجلس المأخوذة فلا يطلب صحنًا.

فأعرض يا أخي ما أمرناه لك في هذا الخلق على أكثر مريدي عصرك الذين أذعوا دخولهم في الطريق، تجد أحدهم لا يقدر أن يحل لك أحضر كتاب في الفقه، بل ولا يعرف شروط الوضوء، فضلاً عن زيادة على ذلك، ولذلك عدموا الجمع، وبعضهم فتح له باب من التوحيد فتزندق، وصار يأكل الحرام والشبهات ويقول: لا أحد يملك مع الله، وصار على وجهه ظلمة حتى ربما ظهر ذلك للخاص والعام.

فاعلم ذلك ولا تنس نصيحتك، والحمد لله رب العالمين.

وعن أخلاقهم:

إذا أراد أحدهم الأحذ عن أحد من مشايخ عصره أن يصوم ثلاثة أيام أو سبعة أيام، ملأماً للصمت وقلة الأكل فيها، فإذا انقضت صلى ركعتين، وسأل الله تعالى في سجوده وبعد سلامه منها أن يجمعه على عارف الرمان، ويرزقه الاعتقاد فيه، والانقياد له، ثم يتوجه إلى مشايخ عصره في بلاده أو غيرها بالقب، واحداً بعد واحد إلى أن يستوعبهم، فكل من حصل له في قلبه أن يجمع به فإن ودعته عنده.

وقد حائف قوم هذا فقالوا: إنهم ليسوا هم عده ودعته، علم يحصوا على طائل، ثم فارقوا شيخهم قائدين للناس: لو وجدنا عنده مدداً أو حيراً ما فارقناه، كما وقع ذلك جماعة من مشايخ العصر.

وإيضاح ذلك أن الطريق عريضة، وأهلها أعرسها، والطالب لها بصديق أعرس الكبريت الأحمر، وربما راح حال بعض الكلدان الصابين على حال الصادقين، كما أشرنا

الله تعالى.

وقال: الصوم التي وقع البناء عليها وإن جلت فهي ظلمة في علوم ذوي التحقيق، وهم الذين عرفوا في يار بحر الذاب وعموص الصناب، فكانوا هناك بلا هم، وهم الخاضع العلواء الذين شاركوا الأساء والرسول عليهم الصلاة والسلام في أحوالهم، فلم يصب فيها نصيب على قدر إرتهم من موروتهم، قال السيوطي: العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: أي يقومون مقامهم على سبيل النعم والحكمة، لا على سبيل التحقيق بالمقام. فإن مقامات الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام قد جلت أن يلمح حقائقها غيرهم.

وكلامه عليه السلام في الحقائق وفي التمسك بالكتاب وأتة كثير حدثاً، راجعه في الكتب التي عرفت به، معناه الله به، آمين.

إليه في خطبة هذا الكتاب: فيأتي المريد المحبوب بطبقت الطريق على يد هؤلاء الكذابين بحكم الصبوت ولا يحصل على طائلي، فإذا استبحار الله تعالى وسأله أن يذنه عنى عارف الزمان الصادق دله عليه، فبدخل في صحبته على بصيرة.

وقد قال الراوي رحمه الله: إن الشيخ المرشد في كل عصر لم يرل مسوراً بين أولياء الله تعالى، فضلاً عن غيرهم من انعام، فلا يعرفه إلا أرباب الباطل والبصائر دون أهل العمل الطاهر، وذلك لأن غالب أعماله التي يتمير بها عن أفرادها نصير قلبية، لا يظهر منها على ظاهره إلا ما لا يتمير به عن العامة من المرائص والنسب المؤكدة. فيحفى بعد الشهرة ضرورة.

فمن أين يعرفه المريد المحبوب بسبعين ألف حجاب! وقد ورد في الحديث القدسي: ((أوليانى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى))^(١): أي وغير من عرفته إياهم انتهى كلام علي المرتضى رحمه الله.

وكان يقول كثيراً: سب اختفاء الصادقين من أهل الله في كل عصر و زمان قلله صدق الطائين الطريق بصدق، ولو أن المریدين صدقوا لأظهروا لهم أنفسهم، ولكنهم دخلوا بالخطوط النمسية والأعراض العاسدة، فكان من عقل الواصلين الاختفاء عنهم رحمة بهم.

فقلت له: إن المریدين لم يرالوا يطلبوا الطريق بهذه الأمراض، ولا بمعهم الأشياخ، بل يتسلوهم ويصيرون يصفون لهم الدواء المريل لأمرضهم شيئاً فشيئاً حتى تصلح أحوالهم.

فقال: صحيح لو عدم الصادقون من المریدين ما عندهم من العلل، وطلبوا من الأشياخ دواءها لأعراض صحيحة، ما معوهم ولكنهم طلبوا إزالة أمراضهم ليتمشحوا على الناس، ويرون بذلك نفوسهم على إخوانهم، ثم لا يطلبون الخروج عن ذلك. بل يمكن أحدهم يدعى الإصلاح ويحجب بحاله حتى يموت على ذلك، ولا يقل يصح باصع أبداً، محكم هؤلاء حكم من يشتري العصب ليعصره حرراً، أو البخارية ليوقعها مع الرابيات، ومعلوم أن بيع ما ذكر حرام بالنظر لأخرة أمره، فكذلك المرید الذي لم يحصل في طلب الطريق فاقهم.

وقد كثر هذا النوع في مریدی هذا الزمان، وأدعوا للمشيخة بعير حق، وجلسوا لها بعير إذن من أشياخهم، فصنوا وأصلوا، وكان عليهم إثم قاطع الطريق.

وقد قال الراوي رحمه الله: يجب على الطالب الصادق ألا يصحب أكثر من يدعى

(١) ذكره النواوي في التعاريف (١/٦٧٦).

المشيخة في عصرنا هذا البتة، إلا بعد ظهور أمارات الصادق بإلهام من الله تعالى للطالب حيث يستحير الله تعالى، أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق لذلك الشيخ.

قال: وإياك أن نصحب أحدا من المدعين للطريق بدس الري، أو ندعهم بأحدون عليك العهد؛ فإنهم أكثر أذى من الثعبان، وذلك لأنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذر، ولا هكذا من نظاهر بانصلاح وهو في السافل شيطان في ري إنسان.

قال: وذلك كالجماعة الذين سبوا نحوهم بأسماء المشايخ الصادقين، أو أنه من أتباعهم كالملاطية والقلندرية والخيدرية والبسطامية وأشباههم.

فإن الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من تلقوا بقبه أو اتسبوا إليه، فإن المنقول عن جميع أشياخ الخرق كلها التفيد بالكتاب، كسيدي عبد القادر الجيلاني جد الشيخ عبد الكريم الجيلاني^(١).

(١) هو العالم بالله تعالى المورث أحمد بن سيدي قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلاني أو الجيلاني؛ نسبة إلى قرية جبل، وهي تقع في الجزء الغربي من بلاد فارس، وهو سبط السلطان أحمد بن سيدي عبد القادر الجيلاني قدس سره. سلك الطريق على يد الولي الكامل المعروف سيدي إسماعيل الحنفي قدس سره، وكان الشيخ به عالما بعلوم الشريعة والطريقة والحقيقة، إلا أنه اشتهر به بالكتابة في علم الحقيقة، وكان كثير التعظيم وأخذه الشيخ الأكبر قدس سره. ومن كراماته العظيمة التي كانت تقع له أثناء السجود: أن رسول الله ﷺ كان يأتيه في البقعة في صورته شيخه سيدي إسماعيل، فيكلمه الشيخ ويأمره، والشيخ يكتسبه ويأمره، والشيخ لا يعلم أنه مع رسول الله ﷺ يتكلم، فإذ علم بعد ذلك حصل له فضل من هذا المشهد؛ حياة من السيد الأعظم ﷺ.

وله قدس سره في علوم القوم مؤلفات كثيرة نسي عن جزء من علمه، وعظمته، وكمال معرفته. ووراثته، ومنها كتابه الأكرم الأهم المسمى: «الأموس الأعظم» و«الأموس الأقدم» في معرفة قدر النبي ﷺ، وهو في أربع وأربعين جزءا، معظمه ما نسب إليه من مؤلفات إمامنا هو عبارة عن جزء معين من هذا الكتاب العظيم، كـ «الكلمات الإلهية في الصفات الحميدة»، و«لسان القدر بسم السحر»، و«قاب قوسين»، و«مراتب الوجود»، وما زال أخذ ذلك الكتاب متقوفا حتى الآن، ولم يكمل جمعه فيما يعلم أحد، ومنها كتاب «الإنسان الكامل»، وهو أشهرها. ونظمت المعانيات و«ملك العرائف»، و«المملكة الربانية المودعة في الشأفة الإنسانية»، وغير ذلك. بها الله يعلمهم في الدارين، آمين.

وكان شديد متمسك بالشرع الشريف، مؤيدا علومه بالكتاب والسنة. وفي ذلك قال في مقدمة كتابه «الإنسان الكامل»: (ثم التمس من الباطن في هذا الكتاب بعد أن أعمتني ما وضعت شفا في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أنه إذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب واسأله فيهم أن ذلك من حيث مفهومه، لا من حيث مرادي الذي وضعت

وسيدي أحمد بن الرفاعي^(١).

الكلام لأجله، فليوقف عن العمل به مع التسليم، إلى أن يمنح الله تعالى عنه معرفته، ويحصل به شهادة من كتاب الله أو سنة به، وعنده التسليم بها وترك الإنكار ألا يحرم الوصول إلى معرفة ذلك؛ فإن من أنكر شيئاً من علما هذا حرم الوصول إليه ما دام منكراً، ولا مل إلى عر ذلك، بل وبحشى عليه حرمان الوصول إليه بالإنكار أو ردة، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم) اهـ.

قلت: نصرّ رحمتك الله في قول الشيخ: (فليوقف عن العمل به): أي إذا لم تستطع أنت أن تقوم بشاهد من الكتاب أو السنة فأمرك الشيخ بترك العمل، ولم يأمر الشيخ بالعمل إلا بعد التأيد بالشرع، مع العلم أن تلك المحاجة الموقفة هي من حيث فهمك، لا من حيث حقيقة قول الشيخ، وإنما أوجب الشيخ ترك العمل لأن نظر الشيخ أوسع، ومعرفته مع الله أدق، ومن أين يبي الحامل مثل تلك المعاصرة؟! ليت شعري! كيف فهم أمثال هذا السيد من أكابر القوم رضي الله عن جميعهم بمخالفتهم لكتاب أو سنة، والله إن لم يكن هؤلاء هم أهل القرآن المتلسون بالنسبة فما اقتدى برسول الله أحد، كان الله لأولئك، ما أصرهم على جهل من جهل عليهم! منهم ميماء علك؛ إنما لا مهم عنك إلا بك، وارزقا اللهم الإيمان الكامل بعلوم هؤلاء أساده، واحفظ ذلك علينا إلى أن نلقاك.

(١) وهو الشيخ الطويل الحسين السيب أحمد بن أبي الحسين عليّ الرفاعي بن عبيد بن ثابت بن حازم بن أحمد بن عبيد بن طارم بن حسن بن مهدي بن أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن إبراهيم الخفاف بن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين، ابن الإمام الحسين السبط، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، وضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

سكن أم عبيدة بأرض السطاح إلى أن مات بها، انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم، وكشف مآزلاتهم، وبه عُرف الأمر بتربية المريدين بالسطاح، وجرّج بصحته جماعة كبيرة، وتتمد له حلائق لا تحصى، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسرارها، وله كلام كثير عال على سائر أهل الحقائق، وهو الذي سُئل عن وصف الرجل المتمكن فقال: هو الذي لو نُصِب له ستان أعلى شاهق في الأرض، وهب الرياح الثمانية ما غرته.

وكان يقول: المرهد أساس الأحوال المرصية والمراتب السنية، وهو أول قدم الصادقين إلى الله تعالى، والمقطعي إلى الله، والراعي عن الله، وهو كلب على الله، فمن لم يحكم أساسه في المرهد لم يصبح له شيء مما بعده.

وكان يقول: الأسس بالله لا يكون إلا بعد قد كملت طهارته، وصفا ذكره، واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى، بعد ذلك أسسه الله به، وأورده بهر حقائق الأسس، فأخذ عن وجد طعم الحقائق لما سواه.

وكان يقول: لو نكلم الرجل في المدايق والصفات كان سكونه أفضل، ولو حطاً من قاف إلى

فأب كان حلومه أفضل. وكان يقول: لما مررت وأما صغيراً بالنهيج عند الملك الخربوي أوصاني وقال لي: يا أحمد احفظ ما أقول لك، فقلت: نعم، فقال: منعت لا يصل، ومنكسل لا يصح. ومن لم يعرف من نفسه بالتصدد فكل كوفاته بفصان، فحمت أكررها سنة، ثم رجعت إليه فقلت: أوصني، فقال: ما أتبع أجهل بالأبناء، والعنه بالأطباء، والحق بالأحباء، ثم خرجت وجعلت أرددها سنة، فانتفعت بموعظته. وكان يقول: الشفقة مما يقرب إلى الله.

وكان يقول: أحرك الذي يحل لك أكل ماله بعد يده هو الذي تسكن بسلك إليه، ويستريح قلبك. وكان يقول: إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأبوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط المصلم والمضطربين، وإذا صلح القلب أحرك عينا وراءك وأمامك، وشبك على أمور لم تكن تعلمها بشيء دونه، وإذا فسد حالك باطلات يعيب عنها المرشد ويتقي معها السعد.

وكان يقول: للصدقة أفضل من العبادات البدنية والنفوس.

وكان يقول: من شرط الفقير أن يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت لأحر، فيودع كل نفس أعز ما يصلح له، فلا يضع له نفس.

وكان يقول: السفر للفقير يرق دية ويشت شله.

وكان يقول: من لم يتنع بأنفالي لم يتنع بأنفوي.

وكان يقول: كل أح لا يقع في الدنيا لا يقع في الآخرة.

وكان يقول: إذا تعلم أحدكم شيئاً من الخير فليعلمه للناس بشر له الخير.

وكان يقول: طريها مية على ثلاثة أشياء: لا سأل، ولا برد، ولا تدحر.

وكان يقول: ما من شيء إلا ويسرل فيها تار من السماء إلى الأرض، يعدي على المستقطبين.

وكان يقول: والله ما رأيت الخير إلا في الوحدة، فما بقي لم أعرف أحداً ولم يعرفني أحد.

وكان يقول: ما نظر أحد إلى الخلاق، ووقف مع نظره في العبادات إلا سقط من عبي وعاية الله بظن، فإن الحق سبحانه وتعالى هبور.

وكان يقول: من شرط الفقير ألا يكون له نظر في عيوب الناس.

قال يعقوب الحادق: بي لحمه بأجعه قبل خروجه من الدنيا، وكان يلهي إذا صعد الكرسي لا يهوم عالماً، وإنما يتحدث لماعك، فسمع كلامه العبد مثل القريب، حتى إن أهل القرى التي حول أم عبيدة كانوا يجلسون على أسطحهم يسمعون كلامه وعلو صوته، ويعرفون جميع ما يتحدث به. حتى كان الأعرش والأصم إذا حضر يفتح الله أسنانهم لكلامه. وقد أحدهم بسط حجره، وإذا فرغ السيد أحد صموا حوهم إلى صدورهم، وقصوا الحديث إذا رجعوا إلى أصحابهم على حليته.

وكان يقول: اللهم اجعلنا ممن فرشوا على بابك نعرط دهم بواعم الخدود، فكنوا رؤوسهم من الخجل، وجباههم للسجود، ببركة صاحب اللواء المحمود، والخواص المورود آمين.

وسم رجلاً يقول: إن لله خمسة آلاف اسم، فقال: إن لله سبحانه وتعالى لاسم بعدد ما خلق من الزمات والأورال وغيرها.

وسيدي أحمد البدوي^(١).

وكان يوم لا يجاري بالسيدة السنية، ولكن يعفو ويصفح تحلفاً بأحلاق رسول الله ﷺ، وكان إذا جعل الحق تعالى على قلبه بالمعظم يدوب حتى يصير بقعة ماء، ثم يمدارك باللفظ فيسبر بهمد الله شيئاً شيئاً حتى يرد إلى جسمه المعتاد، ويقول، 'لولا لطف الله بي ما رجعت إليكم'.

قال يعقوب الخادم: وما مرض السيد أحمد مرض الموت قلت: جئني العروس في هذه المرأة؟ فقال: نعم، فقلت له: لماذا؟ فقال: جرت أمور اشترتها بالأرواح، وذلك أنه أهل على الحق بلاء عظيم فتحمته واشترته بما بقي من عمري فباعني، وكان يبيع وجه الشريف وشيئته المكرمة في الراب ويكي ويقول: انعموا العمو، اللهم اجعني سبع البلاء عن الحق.

وكان مرض الشيخ بالظهر، فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله تعالى، فبقي في المرض شهراً، فقيل له: من أين هذا كله، ولك عشرون يوماً لا تأكل ولا تشرب؟! فقال: يا أخي هذا اللحم يدمع ويخرج، ولكن قد ذهب اللحم وما بقي إلا العج، اليوم يخرج وعداً صر إن شاء الله تعالى، فخرج منه شيء أبيض مرتين أو ثلاث، ثم توفي يوم الخميس وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأولى سنة سبع وخمسمائة، وكان يوماً مشهوداً.

وكان آخر كنيسة فالحا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وانظر في ترجمته. طبقات الشعمري الكبرى (١٢١١)، وبارك الحقائق بشيخ الترواس، وقلائد البرجد شرح حكم مولانا أحمد له أيضاً، بتحقيقنا.

(١) الشيخ الحبيب السبب أبو العباس السيد أحمد البدوي رحمه الله في حبيب الأرض يعني عن ترجمته، ويذكر حلة من أحواله تركها به فيقول: مولده بسنديه قس بالشعر؟ لأن أجداده الأكرام اسموا أبناء المحتاج إليها حين أكثر القتل في الشرقاء، فلما بلغ سبع سنين، سمع أبوه قائلاً يقول: يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة فإن لي في ذلك شأن، وكان ذلك سنة ثلاث وستمئة.

قال الشريف حسن أخو السيد أحمد: لما رما سرور علي عرب، ورجل علي عرب، فلهوا بالشرع والأكرام حتى وصلوا مكة في أربع سنين، فتلقاه شرفاء مكة كلهم وأكرموا، ومكثوا عندهم في أريد عيش، حتى توفي والدنا سنة سبع وعشرين وستمئة، ودفن بباب السعلاء، وقبره هناك ظاهر يزور.

قال الشريف حسن: ما قبلت أن وأخوتي، وكان أحمد أصغرنا شأ، وأشجعنا قلنا، وكان من كبره ما يتكلم لفضله بالبدوي، فأقرانه أقران في المكتب مع ولدي الحسين، ولم يكن في مرسان مكة اشجع منه، وكانوا يسمونه في مكة المعطاب، فلما حدث عنه حادث الوفاة عبرت أحواله، واحتل عن الناس فكان لا يكلم الناس إلا بإشارة.

قال بعض المعارف: أنه حصلت له جمعة على الحى برك وتعالى فاستغرقته إلى الأبد، ولم ير حاله يتزايد إلى عصرنا هذا.

ثم أنه في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمئة رأى في منامه ثلاث مرات قائلاً يقول له: قم واطلب مطلق الشمس، فإذا وجدت مطلق الشمس فاطلب مغرب الشمس. وسر إلى همدان: أي

طعنا، فإنها مقامك أيها الهنيء، فقام من منامه وشاور أهله، وسافر إلى العراق صفه أشاحها،
 منهم السيد عبد القادر الكيلاني، والسيد أحمد الرفاعي بالمرحيب والإكرام، وأن السيد أحمد رأى
 الخائف في منامه يقول له: يا أحمد سر إلى طندنا، فإنك نعيم بها وتزني بها رجالاً وأبطالاً منهم:
 عبد العال، وعبد الحميد، وعبد الوهاب، وعبد المحسن، وعبد الرحمن، وكان في شهر رمضان سنة
 أربع وثلاثين وسبعمائة، فدخل بيت مصر، ثم قصد طندنا فدخل على الخال مسرعاً إلى دار شخص
 من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط، فقصده إلى سطوح عرفته، وكان طولي لينة ومبارة واقفاً شاخصاً
 بعصره إلى السماء، ولقد انقلب سواد عييه بحمرة تتولد كالحرير. وكان يهكت الأرجح يوماً
 وأكثر لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، ثم برل من السطح، وخرج إلى ناحية المنارة فبعه
 الأفعال، وكان منهم: عبد العال، وعبد الحميد، فورمت عين السيد أحمد فطلب من عبد العال
 بيضة فعملها على عيه، فقال: وتقصي المريدة الخضراء التي معك، فقال له السيد أحمد: نعم،
 فأعطاهم له فذهب إلى أمه، فقال لها: هذا يدوي عيه توجهه قد طلب مني بيضة. وأعطاني هذه
 المريدة، فقالت: ما عدي شيء، فرجع وأحضر السيد أحمد فقال: اذهب فائت بواحدة من
 الصومعة، فرجع عبد العال فوجد الصومعة قد مُلئت بيضاً، فأخذ له واحدة منها، وخرج بها إليه،
 ثم أن عبد العال تتبع السيد أحمد من ذلك اليوم، ولم تقدر أمه على خيضة منه، وكانت تقول: يا
 يدوي الشوم عيها، فكان السيد أحمد يقول: يا فانت: يا يدوي الخير كان أصدق، ثم أرسل
 يقول لها: إنه وبلي من يوم قرن الثور، وكنت أم عبد العال قد وصحته في معلق الثور، فطأ
 الثور بياكل فدخل فربه في القمط، فشال عبد العال على فربه، فبج الثور به فلم يقدر أحد على
 حليصه، فمد السيد أحمد يده وهو بالعراق، فخلصه من القرن فذكرت أم عبد العال الواقعة،
 واعتقدت به من ذلك اليوم، فلم يرل السيد أحمد على السطوح مدة اثني عشر سنة.

وكان عبد العال يأتي إليه بالرجل أو مضطج مضطج من السطوح فيطرقه نظرة واحدة فملاها
 مدفاً، ويقول لعبد العال: اذهب به إلى يد كذا وكذا أو موضع كذا، وكانوا يُسمون أصحاب
 السطوح.

وكان يؤد لم يرل مثمناً بثمانين. فاشتبه عبد الحميد يوماً رؤيه وجه السيد أحمد، فقال: يا سيدي
 أريد أرى وجهك، فقال: يا عبد الحميد كل نظرة برجل، فقال: يا سيدي أرفي فو من فكشف له
 اللثام الموقى فصق ومات في الحال. وكان يشد عيط الساقين، طويل الدراعين، كبير الوجه،
 أكحل العينين، طويل القدم، فمحي اللون، وكان في وجهه ثلاث بقط جذري في حده اليمنى
 واحدة، وفي الأيسر اثنتان، ألقى الأنف، على أنفه شامتان، من كل ناحية شامة سوداء أصغر من
 العدسة، وكان بين عييه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالأطع حين كان بمكة، ولم يرل
 من حين كان صغيراً بالثمانين والعشرين، ولما حفظ العراق العظيم اشعل بالعلم مده على مذهب
 الإمام الشافعي حتى حصل له حادث الوله، فترك ذلك الحال، وكان إذا بس توباً وعمامة لا
 يخلعها لعملي ولا غيره حتى يدوب فيلبسها له بعيرها، والعمامة التي يلبسها الخليفة كل سنة في
 المولد هي عمامة الشيخ أحمد يده.

وسيدي إبراهيم الدسوقي^(١).

وأما البشت الأحمر من لبس الشيخ عبد العال.

وكان عليه يقول: وعزة ربي سواي تنور على البحر ابيض.

قال الشيخ محمد الشاوي: إن شخصاً أكر حضور مولده سلب الإيمان، فلم يكن فيه شعرة بحس إلى دين الإسلام، فاستعانت بالسيد أحمد، فقال: بشرط الأبعاد، فقال: نعم، فردّ عليه نوب إيمانه، ثم قال له: ومأنا نكر؟ قال: اختلاط الرجال والنساء، فقال له السيد أحمد: ذلك واقع في المصائب، ولم يسع أحد منه، ثم قال: وعرة الربوبية ما عصى أحد في مويدته إلا وتاب وحسب بوبته، وإذا كنت أرعى الوحوش في الراري، والنسك في البحار، وأحبهم من بعضهم بعضاً فبحرني الله بكل عن حناية من يحضره مولدي.

ووقع ابن النان في حق السيد أحمد فسلب العراق والعلم والإيمان، فلم يرل يستفيث بالأولياء فلم يقدر أحد يدخل في أمره، فدلوه على الشيخ باقوت الحرشي، فعصى إلى السيد أحمد وكتمه في مقبر فأجابه، وقال: أنت أبو العتيك رذ على هذا المسكين رأس ماله، فقال: بشرط التوبة، فتاب ورد عليه رأسه، وهذا كان سب اعتقاد ابن النان في الشيخ باقوت، وقد روجه الشيخ باقوت بالله، وقفن تحت رجليه بالقرعة.

وواقعة ابن دقيق العبد وانتحائه لسيد أحمد مشهورة، وهو أن الشيخ نفى الدين بن دقيق العبد أرسل إلى السيد أحمد الشيخ عبد العزيز المديني، وقال له: امض لي هذا الرجل الذي اشتغل بالناس بأمره عن عدد مسائل، فإن أحابك عنها فهو ولي لله تعالى، فعصى إليه وسأله عب فأجابه عنها بأحسن جواب، وقال: هذه الأخوة مسطرة في الكتاب العلاني توجدوها في الكتاب كما قال.

وكان الشيخ عبد العزيز إذا سُئل عن السيد أحمد قال: هو بحر لا يُدرك له قرار، وإخباره ومجبه من بلاد الفرج، وإعانة الناس من قطاع الطرق، وحبونه بهم وبين من استجده به كثيره لا تحويها الدفاتر.

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وقد شاهدت أنا بعيني سنة خمس وتسعمائة أسراً على مناره الشيخ عبد العال، مقبلاً معبلاً، وهو غشيط الحبل مسانته عن ذلك، فقال: بينما أنا في بلاد المرح آخر الليل توخيت إلى السيد أحمد، فإذا أنا به فأحدي وطار بي في الهواء فوصني ما، فمكت يومين ورأسه دائر عليه من شدّة الحشفة.

توفي عليه سنة خمس وتسعين وسبعمائة هـ. وفلس روحه، وأعاد عليها من بركته من.

(١) هو من أجلاء المشايخ المكرمين وصدور المقربين، صاحب كرامات صاهرة، ومقامات فاخرة، وسائر زاهرة، وبساتين باهرة، وأحوال خارقة، وأنفاس صادقة، وهمم عالية، وصبغات روحانية. وأسرار ملكوتية، وعناصرات قدسية، وله المهرج الأعلى في المعارف، ومنهاج الأسس في الحقائق، والطور الأعلى في السعالي، والقدم الراسخ في أحوال النهايات، واليد البيضاء في علوم الموارد، والنوع العلوي في التصريف النادر، والكشف الخادق عن حقائق الآيات. والفتح

مصاعف في معنى المشاهدات، وهو أحد من أظهره الله ﷻ إلى لوجود، وأبرره رحمةً بلخلق. وأرفع له الصول التام عند الخاص وعمام، وصره في العالم، ومكته في أحكام الولاية، وقلب به الأعبان، وحرق له العادات وأنطقه بالمعانيات، وأظهر على يديه المحادثات، وصوّفه في المهد. وكان يتكلم بالعمى والسرياني، والعبراني، والبرجي، وسائر لغات الوحوش والطيور، وله كلام كثير عال على لسان أهل الطريق.

ومن كلامه: من لم يكن مجتهداً في بدايته لا يفلح له مرده، فإنه إن نام نام مرده، وإن قام قام مرده، وإن أكل أكل مرده، وهو بطل، أو توهّم عن الواصل وهو جهل، صحكوا عنه ولم يسمعوا منه.

وكان يقول: من لم يكن متشرباً متحققاً بطيفاً عفيفاً فليس من أولادي، ولو كان أبي الصلي، وكل من كان من المريد ملزماً للشرعة، والخففة، والطريقة، والمداينة، والصفاء، والرهبة، والورع، وقلة الطمع فهو ولدي، وإن كان من أقصى البلاد.

وكان يقول: لا يكمل العسر حتى يكون عما لجميع الناس، متعفاً عنهم، سائراً بهوراهم، فإن أذهى الكمال وهو على خلاف ما ذكرناه فهو كاذب.

وكان يقول: لا تنكروا عني فقير حاله، ولا لسانه، ولا طعمه، ولا على أي حالة كان، ولا على أي نوب ينس، ولا يسي الإيثار عني أحد إلا إن ارتكب عظوماً صرحت الشريعة به، وذلك أن الإيثار يورث الوحشة، والوحشة تكون سبباً لا تقطاع العبد عن ربه، فإن الناس خاص وعام، وخاص خاص، ومندى ومشي، ومشيته ومتحقق، وبرحم الله البعض البعض، أو القوي ما يقدر يشي مع الضعيف وعكسه، وتفقره عيت وهم سبب، فإذا صحك الفقر في وجه أحدكم فاحذروه، ولا تحاطوه إلا بالأدب.

وكان يقول: الشريعة أصل، والحقيقة فرع، فالشريعة حاملة لكل علم مشروع، والحقيقة لكل علم حقيقي، وجب المقامات مندرجة فيها.

وكان يقول: يحب على المريد أن يأخذ من العلم ما يحب عليه في تأدية مرضه وبعده، ولا يشتغل بالمصاحبة والبلاغة، فإن ذلك شغل به عن مراده، بل يخصص عن أثر الصالحين في العلم، ويواظب على الذكر.

وكان يقول: يا أخي عليك بالعمل، وذاك وشققة اللسان بالكلام في الطريق دون التحقن بأخلاق أهلها.

وقد كان رسول الله ﷺ يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقام حتى تعطرت قدماءه، ثم تبعه أكابر الصحابة وصوال الله تعالى عليهم أجتمع على ذلك.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا شهّد بشم لكبد رائحة الكبد المشوي، وأمن منه في سبيل الله كبه، وكان عمر بن الخطاب شديد الصل والكبد حتى رجع دمه بخبود، ولم يره بقطعة حشيش. وكان عثمان بن عفان يحكم القرآن قائماً كل ليلة على أقدامه، وكان عبيد الله بن رهاد العبادة ومجاهديه حتى فتح أكثر بلاد الإسلام. هؤلاء خواص الصحابة مع قرهم من رسول الله ﷺ، هذا

كان اجتهادهم ورهدهم، هذا كان جوهرهم، فاعلموا يا أولادي الحقيقة والسريفة، ولا تعطلوا إن أردتم أن تكونوا يُقْتَدَى بكم، وما ست الحقة حقيقة إلا يكونا يحق لأمر بالأعمال، وتنتج الحقائق من بحر الشريعة.

وكان يقول: ما دام لسانك يدور احرام، فلا تضع أن يدور شيئاً من الحكم والمعارف، وكان يقول: إن أحبك ربك أحبك أهل السماء والأرض، وإن أطمعك أصاع لك الخن والأس. ويحفظ لك البحر والماء، ويطيح لك الهواء.

وكان يقول: يا ولدي عليك بالتحقيق بأحلاق الأدياء لنال السعادة، وأما إذا أخذت ورقة الإحارة، وصرت كل من نارحك قلب هذه إحاري بالمشيخة دون لمحقق، فإن دنت لا شيء إما هو حظ نفس، لكن اقرأ الإحارة، واعلم ما فيها من الوصايا، وهناك تحصل على الفائدة، ويحصل لك الاصطفاء، وهذه طريقة مدارج الأولياء قرأنا بعد فرد، وحيلاً بعد حبل إلى آخر الدنيا.

وكان يقول: إذا اشتعل المرید بالصفاحة والسلاعة فقد تودع منه في الطريق، وما اشتغل أحد بملك وقطع به.

وأما حكايات الصالحين وصفاتهم وطاعتها للمرید حمد من حوّد الله تعالى، ما لم يقع بها في الضريق.

وكان يقول: العلم كله مجموع في حرمين: أن يعرف الصد ربه، ويصده، فمن فعل ذلك فقد أدرك الشريعة والحقيقة، وليس في هذا تعطيل للعلم، بل العمل أس العلم، وإساقاً لذلك من أجل قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَرْغُبْ مَا نَسَرَّ مِنْهُ﴾ [المرسل: ٢٠]. ولكل فرد مساج، وإذا فقد يجمع الله العلم والعمل في رجل واحد بعد الس كل الموائد، فالشريعة هي الشجرة، والحقيقة هي الثمرة.

وكان يقول: يا ولدي إذا لم يحس أحدكم أن يعمل مولاه فلا يقع في أحوال لا يدور بها، فإن يقوم نازه يتمكنون بلسان الضريق، وناره لسان التحقيق بحسب الحشرات التي يدخلونها، وأنت يا ولدي لم تدق من حالهم ولا تعرفت ولا دخلت حصرهم، فمن أين لك أنهم على الصلال؟ أمستعوم البحر ولست بعوالم؟ ثم إذا عرقت فقد مت ميتة جاهلية لألك ألقب نفسك لميالك، واحق تبارك وتعالى قد حرّم عليك ذلك، بل الواجب عليك يا ولدي أن تطلب دعاء القوم وتشمس بركاتهم، هذا إذا لم تجد طريقة على عملهم، فإن وجدت قدرة على ذلك مع أيد الأبدان.

واعلم يا ولدي أن ألس القوم إذا دحوا الحشرات مختلفة في إشاراتهم وكمياتهم، منها ما يهيم ومنها ما لا يهيم، وكذلك من أحوالهم منها يهرع ومنها ما لا يهرع، وكذلك في أسرارهم ما لا يصل إليه مؤول ولا معر ولا مصلح ولا معسر، لأن أسرارهم موضع سر الله تعالى، وقد عجز القوم عن معرفة أسرار الله تعالى في نفوسهم، فكيف في غيرهم؟ يجب عليك يا ولدي التسليم لله تعالى في أمر القوم وحسن الظن بهم لا غير.

ياي باصغ لك يا ولدي، وإذا رميت من يجه الله تعالى بالزور والسهان، وتحرّك على من قرره

وغيرهم من المشايخ حتى كان سيدي إبراهيم يقول: من لم يحبس نفسه في قفم الشريعة، ويحتم عبثها بحاتم الحقيقة فليس هو سي، وأنا بريء منه في الدنيا والآخرة. وكان سيدي أحمد بن الرفاعي رحمته يقول: أجمع أهل الطريق على أن كل حقيقة رذتها الشريعة فهي زندقة، وقالوا: الشريعة هي أحكام النبوية، والحقيقة هي حقيقة

الله تعالى مفتك فلا تفلح بعد ذلك أبدا، ولو كنت على عبادة الثقلين.

وكان يقول: من قام في الأسفار ولزم فيها الاستعقار كشف له عن الأنوار، وأسقى من دن الدنو ومن حر الحمار. وأطلعت في فله شمس المعاني والأفكار، ما ودي عمل بما فله لك تكسر من المصالح.

وكان يقول: ما قطع التريد ورده يوما إلا قطع عنه الإمداد ذلك اليوم، واعلم يا ولدي أن طريقتنا هذه طريق تحقيق وتصديق وحيد وعمل، ونسرة، وعصر، بصر، وهبة يد ومرح ولسان، فمن خالف شيئا من أعمالها رفضته، فليكن أتوا العروة إلا في صلاة الجماعة، وحضور محال، العلم الذي لا رياء فيها ولا حيل، ولا عجب ولا مدار، والسلامة من هذه الأمور في ربما هذا قل أن توجد، فعليك بالوحدة بعد معرفة ما أوجب الله تعالى عليك، فإنك يا ودي في القرن السابع الذين أكثرهم يجعلون شريعة السالك قدح في الشريعة.

وحقيقة الحق بدنا في الطريقة، كأنهم ما علموا قط عطاء لله تعالى، ومواهب مدد الله تعالى. وحواري عباته، بل رأوا من سوء حاله أن باب العطاء قد غلق، فمن اعتقد ذلك فإنما هو محروص على الله تعالى في عمله، وعود بالله من التعرض، فإنه لا بد لأهل حصنه تعالى من التمسح من المعرض عنها؛ ليشترك المعرضون عنها حين يرون الحواري يضع عن يده أولاته، فما أجمل من جهل قدر الفقراء، وما أعماه أئمن يخال في قوم كلهم طابرين الله تعالى. أيكر عليهم مسد؟ كلا والله.

ولقد قيل للمحيد: فوئا بواحدون وثمانون، قال: دعه مع الله يفرحون ولا تكثر إلا لعصيان الممصرح به في الشريعة، أما هؤلاء القوم فقد قطعت الطريق أكادهم، ومرق النعب والشعب أحسادهم، وصافوا درغا فلا حرج عليهم، إذا سفسوا مداراه خالطهم، ولو دقت يا أخي ملاقيهم لعلمتهم في مباحثهم وشق نياهم، فالفقه بلهمكم يا أولادي سلوك صريق الرشاد به مبيع بحسب، وهو السيد إبراهيم بن أبي محمد بن قريش بن أبي طحان بن رين العائدين بن عبد الخالق بن محمد بن أبي المظيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن أبي القاسم بن جعفر الزكي بن علي بن محمد الخوادم بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن رين العائدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب المدني القرشي. وصود الله تعالى عليهم المصالح.

نصفه على مذهب الإمام الشافعي رحمته، ثم التقى أثر السادة الصوفية، وجلس في مرتبة النجوة، وحصل الولاية البيضاء، وعاش من العصر ثلاثة وأربعين سنة. ولم يفعل قط عن المجاهدة للنفس والهو والشیطان، حتى مات سنة ثمان وسبعين وثمانمائة هـ.

الصودية.

وكان أبو القاسم الجليل رحمه الله^(١) يقول: طريفتنا هذه منبئة بالكاتب والسنة،

(١) هو الولي الكامل العارف بالله تعالى أبو القاسم من محمد الجليل سيد الطائفة رضي الله عنهم. قال عنه الشيخ الأكبر: هو سيد الصائفة، وكان من الفقهاء المعتقدين الشافعية، تفقه على أبي نور، وكان بقي محصره وهو ابن عشرين سنة، لم تزل أعناق المرفقين به حاصدة، وعلى بحسه محتمة.

أحد التصوف عن حالة السري السقطي والخازن المحاسي رضي الله عنهما، ونحدث عن ذلك قائلا: قال لي شيخني السري: إذا فبت من عدي من نحاس؟ ففت: المحاسي. قال: نعم، حد من علمه وأدبه، ودع عنك تشميقه للكلام وردة على المسكلمين. ثم لما ريت سمته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفيًا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث أهل.

قال الشيخ الأكبر: يريد أنه نتيجة عن العمل عنيهما، وهما الشاهدان العدلان. وله في طريق القوم أقوال كثيرة، ومنها: علما هذا مصوفاً بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ولم يفقه لا يقتدى به.

وقال: رضوان الله على أمير المؤمنين عني: لا تولا أنه اشتغل بالحروب لأرادنا من علما هذا معان كثيرة.

ذاك امرؤ أعطي علماً لدينا، وتعلم المدي هو العلم الذي خسر به الخضر الجني. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [النكهة: ٦٥].

وقال: آخر مقام المجالس وأعمالها الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد.

وقال: لو أن العلم الذي أتاكم به من عدي نهي؛ ولكنه من الحق بدأ، وإلى الحق يعود.

وقال: لو علمت علماً نحت آدم السماء أشرف من هذا العلم نسجت إليه وإلى أهله.

وقال: المعرفة هي تعظيم الحق عن الإحاطة، وإجلاله عن الدرك.

وقال: آخر مقام العارف المحرقة.

وقال: من عرف الله كل نساته.

وقال: العارف من نطق الحق عن سره وهو ساكت.

وقال: المعرفة أن تعلم أن ما تصور في قلبك ذلك بخلافه، فيأطأ من حيرة لا له حظ من أحد ولا لأحد منه حظ، وإنما وجود يردد بين في العدم، لا سبباً المارة عنه؛ لأن المخلوق مسوق. والمسوق غير محيط بالسابق.

وقال: المعرفة وجود جعلك مع قيام علمه.

فيل له: زدنا أيضاً. فقال: هو العارف وهو المعروف.

وقال: التصديق بعلمنا ولأية أهل.

واتفل: ثم إلى الحياة البرزخية في آخر ساعة من الجمعة سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد، ودُفن بالشويزة عند حالة سري السقطي، نعمنا الله به في الدارين، آمين.

فمن لم يفهم القرآن والحديث لا يجوز الاقتداء به عندنا.
وكان يقول: إذا رأيتم شخصاً قد ترفع في الهوى فلا تلتفتوا إليه حتى ينظروا حاله عند الأمر والنهي.

وكان يقول: من ادعى أن أحداً من أهل الله وصل إلى حالة يسقط عنه فيها أحكام الشريعة مع عقله فهو كاذب، والذي يسرق ويربي أحسن حالاً من هذا. انتهى.
وكان سيدي علي الخواص رحمه الله^(١) يقول: ما وصل أحدٌ إلى درج الحقيقة إلا

(١) هو المولى الكامل اعرف بالله تعالى سيدي علي الخواص ابن راسي، شيخ المصنف رضي الله عنهما، وقد ترجمه في «الطبقات». فثلاً: كان عفيفاً لا يكتب ولا يقرأ، وكان يتكلم على معاني مفران العقيم والسنة المشرفة كلاماً مبيناً، يحضر فيه العلماء، وكان عمل كشمه النوح محفوظ عن الهوى والإثبات، فكان إذا قال قولاً لا بد أن يقع عن الصبغة التي قاطها، وكنت أرسل له الناس يتناورونه عن أحوالهم، فما كان لفظ يحوجهم إلى الكلام، بل كان يحضر الشخص موافقة مني أني لأجيبه بل أن يتكلم، يقول: طلق، مثلاً، أو شارك، أو فارق، أو حبس، أو سافر، أو لا تسافر، فيتخير الشخص، ويقول: من أعلم هذا بأمرى فهد.

وقال: وكان يعامل الناس على حسب ما في قلوبهم، لا على حسب ما في وجوههم.
قال: وبه كلام عيسى، فما عاله في كذا المسمى بالجواهر والدور، كل جواب من محضر عنه محوّل العلماء، حتى تعجب من كتب عليه من العلماء: كسيدي شهاب الدين الفتوحي الحلي رحمه الله، وسيدي شهاب الدين بن تاشلي رحمه الله، وسيدي ناصر الدين اللقاني المالكي رحمه الله، والشيخ شهاب الدين العراقي رحمه الله.

وقال الشيخ شهاب الدين الفتوحي رحمه الله: لي سبور سنة أخدم العلم، فما أظن قط أنه حطر على باقي لا السؤال ولا الجواب من هذا الكتاب: يعني «الجواهر والدور» هـ.
وقال الشيخ الشيرازي من أقواله الكثير، وإليك قبس منها:

قال: لا يسمى عالماً عدداً إلا من علمه غير مستعاد من نقل أو صدر، بأن يكون حصري المقام، وأما غير هذا فإنما هو حاكٍ لعلم غيره فقط، فله أجر من حمل العلم حتى آتاه، لا أجر العلم، والله لا يصيب أجر المحدثين.

وقال: من أراد أن يعرف مرتبة من العلم يقبلاً لا شك فيه فليد كل قول حصته إلى قائمه، وبطر بعد ذلك إلى علمه، فما وجد معه فهو علمه، وأطى ألا يقف معه إلا شيء يسير لا يسنى به عالماً.

وقال: لا يصح الرجل عدداً معدوداً من أهل الطريق إلا إن كان عالماً بالشرعة المطهرة: محمداً ومبشياً، ناسخها ومسوحها، خاصها وعامها، ومن جعل حكماً واحداً منها سقط عن درجة الرجال.

فقت له: إن عاب مسلكي هذا الزمان مناصوب عن درجة الرجال. فقال: هم، إن هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم، وأما المسلك فهو لو انفرد في جميع الوجود

لكمى الناس كلهم من العلم، في سائر ما يظنون.

وقال: من علامة النقص الإلزام أن تصح العقول، ولا تنقص إلا بالإيمان فقط.

وقال: أكمل الإيمان ما كان عن نحل إلهي؛ لأنه حينئذ عنى صورة إيمان الرسل عليهم الصلاة والسلام، ودونه ما كان عن دليل، فلما علم الصحابة أن إيمان الرسل لا يكون عن دليل لم يسألوا رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه، وذلك لأن حقيقة الرسالة تقتضي أن لا دليل عليها، وإن أرسل مع الحق في التوحيد العام كحق معهم؛ إذ هم مأمورون كما نحن مأمورون؛ إذ هم مقلدون للحق، ونحن مقلدون لهم.

وقال: من حقق برته الإيمان عظم أن جميع المراتب تصحب رتبة الإيمان، كمصاحبة الواحد لمراتب الأعناد الكلية والجزئية؛ إذ هو أصلها الذي بنيت عليه فروعها وفروعها.

وقال: إذا كمل توحيد العبد لا يصح أن يرسل على أحد من المخلوقين؛ لأنه يرى الوجود لله. وقال: لا يصحب كمال الإسلام اعتراحي، ولا يصحب كمال الإيمان تأويل، ولا يصحب كمال الإنسان سوء أدب، ولا يصحب المعرفة همة، ولا يصحب الإخلاص في العمل ثقة، ولا يصحب العلم جهل.

وقال: ما تم في الفرق الإسلامية أسوأ حالاً من المتكلمين في الذات بعلمهم الفاضل؛ فإن الله ﷻ قد سره في حبي عزته عن أن يدرك أو يعلم بأوصاف خلقه، خلقاً كان أو علماً، روحاً كان أو سرّاً، وذلك أن الله ما جعل الخواص الظاهرة والمباينة إلا طريقاً إلى معرفة المحسوسات لا عبرة والعقل بلا شئ منها؛ فلا يدرك الحق تعالى به؛ لأن الحق ليس بمحسوس ولا معلوم معقول.

وقال: العلم ومعرفة والإدراك والفهم والتمييز من أوصاف العقل، والسمع والبصر والخاصة والذوق والشم والشمهية والعصب من أوصاف النفس، والتذكر والهمة والتمييز والانقياد والبصر من أوصاف الروح، والقطرة والإيمان والسعادة والهدى واليقين من أوصاف السر، والعقل والنفس والروح والسر مجموع أوصاف للمسمى المستثنى بالإنسان، وهي حقيقة واحدة غير متغيرة، وهذه الحقيقة وأوصافها روح هذا القالب المتحرك المتغير، والجميع روح صورة هذا القالب، والمجموع من الجميع روح جميع العالم. انتهى.

قال المصنف بعد ذكر هذا التفصيل: وهذا كلام ما سمعته قط من عارف، ولا رآته مسطوراً في كتاب، وهو دليل على علو مقام شيخنا في المعرفة الله.

فثبت: وهذا هو الشأن في جميع علوم القوم رضى الله عنهم؛ فهم كما قل مظهر صفاتهم أبو يريد قدس سره محظوناً لمن سواه؛ أحسن علمكم ميت عن ميت، وأحدنا علماً عن الحق الذي لا يموت.

فإذا تأملت كلامهم في الحقائق فإن مهمت لا يشك لحظة أن تلك العلوم تعبر العقول عن أن تأتي بمثلها، وإن لم تفهم أبقت أن هذا الكلام صورة ليست بصورة باطل، وإلا فكيف أرباب عقول، فيما لم تنكسر على أسرار الكتاب والسنة كما نكلموا؟! ولما لم يسأل في التحقيقات والمواقف والحقيقة المحمدية كما أعوا، ولا يستطيع من سواهم أن يقول: (أرفعي

وجب عليه التقيد بحقوق العبودية وحقيقتها، وصار مطالباً بأداب كثيرة ليس هي على غيره.

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله^(١) يقول: كل من خلع من عنقه ربة التكليف فقد خامر بطله الزيف والتحريف.

وكان يقول: كل من ادعى أنه اخلص مع الله صميره وقال رتبته في الحقيقة تسره بها عن الحاجة إلى التقيد بطاهر الشريعة، والوقوف على حد مراسمها، وجعل التقيد بالشريعة إنما هو للعوام المسحصرين في صيق الاقتداء، فاعلموا أنه مفتون في دينه، وهو من أهل الإلحاد والرسوخ، فإنكم أن تصحبوا مثل هذا وتعتقوه؛ فإن طغمة أمهاته سم قاتل لقلوب المرتدين، أو لا يعلم هذا المبرور أن الشريعة هي طاهر لب حقيقتها، ولا تربو الحية وتثمر وتعقد إلا بالاستمداد من طاهر الطاهر، وأطال في ذلك.

قال: والصابط في تمييز الصادقين عن بيان الكاذبين إقامة الأعمال كلها على قانون الشريعة، ومتابعتهم لأدائها، والنادب بأداب أهل الطريقة على وفق سير المشايخ من السلف الصالحين. انتهى.

فاعرض يا أخي ما ذكرته من أحوال الصادقين من المريدين والأشياخ تعرف حال أهل زمانك، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم من أولاد المشايخ أن يطلب له شيخاً يريه، ولا يكتفي بالعيشة في حس والده، فإن الولاية والمشيخة المعروفة ما هي بالأبناء والحدود، وإنما هي موهبة من الله على يد الأشياخ عاثناء، كما درج عليه السلف الصالحون كلهم، خلاف ما عليه أولاد المشايخ في هذا الزمان، فيكتفي أحدهم بكونه ابن سيدي الشيخ، ولا يطلب أن يكون شيخاً مثل والده في الدين والمجاهلة والرياضة، وذلك دليل على دماغة همتهم.

الحق، وقال لي، ولا (تحلى لي)، ولا (رأيه) في المشهد الأسى والمستوى الأرمي)، ولا غير ذلك، مما يسمي المنوب، ويخرج الأرواح، ويحمر العنق، فإن أعلمت فاسمك، ولا سلم سلمه، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

(١) هو الشيخ القنوه المعارف سيدي أبو الفضل الأحمدى. نفى عن سيدي علي الخواص وعن الشيخ بركات وكان أحاً للملوب في الطريق، ووقع هما لتحد لم يمع نه قط مع غيره. قال عنه رضى الله عهما: لو أخذ يحكم في أفراد الوجود لصادف أقدار بولي في بدر في بعد الحج ودهى هناك بـ سنة ٩٤٢ هجرية.

وقد كان سيدي يوسف المحمدي^(١) رحمه الله تعالى يقول: لا ينبغي للشيخ أن يأخذ العهد على أولاد المشايخ المتمشيين بالأباء والجدود إلا بعد ظهور أمارات صدقهم في طلب الطريق على وجه المعاهدة والرياسة: أي فإن أحدهم ربما كان يعتقد أن ولد الشيخ شيخ، كما حكى لي ذلك شيعي الشيخ محمد الشاوي رحمه الله^(٢).

ولقد مكثت نحو عشرين سنة وأنا أعتقد أن ولد الشيخ شيخ بالخاصة، إلى أن جعلني الله تعالى على شيعي الشيخ محمد السروي رحمه الله تعالى^(٣).

وسعته عليه السلام أيضًا يقول: لا تمنعوا أنفسكم في تسليك المتمشيين بالأباء والجدود إلا أن يسلحوا من جميع الدعاوى، فإن أحدهم يفتح عنه على عظيم جماعة والده له يقول: قد صرت شيخًا كوالدي، فيكون التعب في مثل هذا صانعًا، لا سيما أولاد شيخ الإنسان! فإن موسهم لا تكاد تكس لأن يأخذوا الطريق عن تلميذ والدهم الذي أدن له والدهم أبناء، ولو بلغ في المقامات أقصى المراتب.

ويقولون: إن هذا ما اكتسب الشرف إلا من، فيرون موسهم عنه، ولا يكاد أحد منهم يرى نفسه دوله أهلك.

(١) هو الشيخ يوسف المحمدي الكورني، قال عنه المصنف: هو أول من أحيا طريقة الشيخ الجيد بمصر، وكان له مريدون كثيرون، وعدة زوايا، توفي ٧٦٨ هـ.

(٢) قال الإمام الشيرازي: هو شيعي ولدني، كان من الأبناء الراسخين في العلم أهل الإصناف والأدب في أولاد الفقهاء، وقد ذك كنه بعد الشاوي.. وانظر: الطبقات الكبرى (١٢٠٢).

(٣) هو شمس الدين محمد السروي المشهور بابي أبي الخمائل، قال الشاوي في طبعته: العارف الكبير المكمل البيت الجامع الشامل راهد قطف كروم الكرامات وعارف وصل إلى أعلى المقامات، كان طويلاً عظيماً في الولاية ومنحاً وملاً طالب الهداية، وكان على أمة كثير الطريق من بلد لآخر، وكان يهتف عليه الحال بلاءً فيتكلم بالسنة غير عربية: من عجم وهد وبونه وغيرها. وربما قال: قال في طول الليل ويرعق ويحاطب قوماً لا يرون، وإذا قال شيئاً في علة الحال بعد، وكان متيناً بالأدى من روجه مع قدرته على إهلاكها، وربما أدخل فقيراً الخلو فخرجته قبل تمام المنية، ويقول له قال لك فلان أنا ما أعمل نسخاً فلا تكلم، وقدم مصر فسكن الروبة الحمراء ثم رابطة إبراهيم المنواهي ومها مات. ومن كراماته أنه شكا به أهل بلد كبير الفار في مقامات صحيح. فقال لرجل ياد في الخط، رسم لك محمد بن أبي الخمائل أن ترحلوا، فم يبق فيها فأز، فسأله أهل بلد آخر في ذلك، فقال الأصل الإذن ولم يفعل. وكان إذا اشتد به الحال في محس الذكر يحمل لرجلين وأكثر، ويحمل البعير الذي يسع ثلاثة فطير ويجري بهك. قال مشهوراً: نفسي الذكر وأنا صغير سه انتي عشرة وتسعمائة، ومات بمصر في ٩٣٢ هـ، ودفن برويسته بن السورين. وانظر: شذرات الذهب (١٨٧٠٨)، والكواكب الدرية للشاوي (٨٤٦).

قال: وإن كاد ولا بدُّ له من تسليكهم فليُنصَحهم بقوله: كان والدكم يري المريدين بكفا وكفا، فلعلهم يصفوا إلى قول والدكم.

فاعلم ذلك يا أخي، واعرضه على مدعي الطريق من أولاد مشايخ عصرِكَ تعرف حالهم، ولا تسرَّ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا أراد أحدهم أن يدخل في الطريق على يد شيخ أن يسأل من فصل شيعة أن يذكر له ما يحب على المريد إذا دخل في صيغة الشيخ؛ ليعرض ذلك على نفسه؛ خوفاً من الدخول في صعبته بالجهل فيسرع إليه العطب.

وهذا من باب التعظيم لطريق أهل الله، والاحتياط لنفسه، ويؤيد ذلك أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: ((يا رسول الله. ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: من حق الزوج على المرأة أن لو سال من مخزوه دم وفيح فليحسته بلسانها لم تؤذ حقه...))، إلى آخر ما قال ﷺ، فقالت: ((والذي بعثك بالحق نبيا لا أتروح ما بهت الدنيا^(١))). انتهى.

فمن شرط الشيخ على المريد: أن يعتقد فيه أنه عارف بالكتاب والسنة، عارف بميران الخواطر النفسية والشيطانية والملكية والرحمانية، عارف بالأصل الذي تبعث منه هذه الخواطر من حصرات الأساء الإغية، عارف بالعلل والأمراض المعوقة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة، عارف بأمركة المريدين؛ لعطي كل إنسان من العمل والطعام وغيرهما ما يقدر عليه، عارف بالعلائق الخارجة عن أعمال الطريق، كالميل إلى الوالدين والأولاد والزوج، والأمال والرئاسة، له قدرة على جذب المريد واستخلاصه من أفعال الشياطين وأيدي العوائق بواسطة رغبة المريد في طريق الله، وإلا فلا يقدر شيخ على استخلاصه من يد من ذكر أبقا، ولو كان من أكرم الأولياء.

فإذا سمع مريد بهذه الصفات، وعرضها على أحد من مشايخ عصره فوجدتها بمجموعة فيه وجب عليه الانقياد له، والعمل بكل ما يأمره به بإسراع صدر، ولو شق ذلك عليه.

ومأمورات الشيخ لا تنحصر، ولكن يذكر للمريد منها طرفاً صالحاً تأييداً له، ونعلم أن الشيخ لم يبتدع له ما حذر عليه، وإنما هو تابع في ذلك أشباح الطريق الذين سقوا، ولو أن الشيخ ترك ذلك ورحص للمريد لعصى ربه وتخطى، وكان من جملة العاشقين في

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٥٩/٨) نحوه.

الطريق.

إذا علمت ذلك:

فمن شروط الشيخ الذي يجب عليه أن يأمر بها المريد أو ينهيه: ألا يتركه يرح من منزله أو زاوريته إلا لضرورة أو حاجة يوجهه فيها.

ومن شروطه: أن يعاقب للمريد على كل هموة تصدر منه ولو سهواً ونسباً، ولا سبل إلى الصفح عنه في ربة وقع فيها البتة، وإن وقع أنه صفح فهو (إمام غلغ) لرعيته غير قائم بحرمة ربه، محل بحق التهام الذي هو فيه، وقد قال ﷺ : ((من أهدى لنا صفحته القنا عليه الحدود^(١))).

وكان يهجر على الكدبة الواحدة الشهرين أو الثلاثة نصحاً لذلك الكاذب، ونصرة لشريعة ربه ﷺ .

ومما يجب على الشيخ أيضاً: أن يشترط على المريد ألا يكتفه شيئاً مما يحظر نه في نفسه ويستقر فيها، أو شيئاً يظراً عليه في حاله، ومتى لم يكن الطبيب يميز أعيان الأعشاب كلها والعقاقير ويعرف تركيبة الأدوية فهو ممن يسرع بهلاك المريض، فإن العلم من غير معرفة العين لا يقصد، فلا بد من معرفة التمييز، ألا ترى أنه لو كان للأعشاب عرص في إهلاك المريض، وقلده الطبيب في تلك الأعشاب من غير أن يعرفها من خارج ووصفها للمريض أهلكه، وأثم الطبيب والأعشاب؛ فإنه كان من الواجب على الطبيب ألا يداوي المريض إلا بما يعرف عيه وشخصه، وكذلك الشيخ إذا لم يكن صاحب دوق، وأخذ الطريق من بطون الكتب وأمواء الرجال: وحسب يربي بذلك المريد طلباً للرياسة فهو مهلك لمن تبعه؛ لجهله بمورد الطالب وصدوره.

وقد أجمع القوم على أنه لا يجوز لأحد أن يتصدر لمشيخته إلا أن يكون عنده دين الأسياء وتدريب الأقطاء وسياسة الملوك، وحسب يصح أن يقال له: أستاذ.

ومما يجب على الشيخ أيضاً: الخاسية للمريد على أنفاسه وحركاته، والمبالغة في التعصيق عنه على قدر صدقه في أناعه، فإن طريق القوم طريق شدة، ليس للرحاء والترحص فيها مدخل.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فما جعل الله تعالى وصوح السبل إلا بعد المجاهدة، وحسب يكون السلوك عليها وهو سفر بالأرواح،

(١) ذكره ابن حجر في تلخيص الخير (٦٦/٤).

والسفر قطعة من العذاب، فلا يزال السائل في عذاب ونعيب حتى يلقي ربه ^٧، وإن نظر إلى مقاومة نفسه من شهوات الدنيا عذب، وإن نظر إلى عدم نقاء ربه عذب، فأين الراحة؟

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨] أي إذا فرغت من أمر مشروع منصّب فاشرع في أمر آخر، ولا تترك الاشتغال بما يقرئك إليها لحظة واحدة، رغبة في وصولك إلى حصرتنا الخاصة بك، فأمره تعالى بمداومة السفر من غير فتور عن ذلك، فافهم ذلك.

ومما يجب على الشيخ: زجر المرید إذا مارعه في مهم مسأله، بل إخراجه برجله من الحلقة وطرده؛ لأن علوم أهل الطريق لا تقبل المصارعة كطريق غيرهم؛ فلها وراثه نبویه، فلا تُذكر إلا للمؤمنين بها، وقد كان النبي ﷺ يقول إذا تنورع عنده: ((لا ينبغي عندي التصارع^(١))). انتهى.

وإيضاح ذلك أن المعارف الإلهية والإشارات النطقية الربانية خارجة عن المدارك: أي من حيث كون العقول باطرة وباحثة، لا من حيث كونها قائمة، فلم يبق فيها إلا الكشف الصحيح؛ لأنه إحصاء عن حقائق الأشياء كما هي عليه في نفسها، فهو كالنصر الصريح، ومن كان بخير عما يراه ويشاهد فلا يحور للسامع أن يمارعه فيما أنى به، بل يجب عليه التصديق إن كان مریداً، أو التسليم إن كان أجنبياً.

وقد أجمع الشيوخ على أنه لا ينبغي للمريد أن يتكلم بأحوال الطريق إلا فيما شاهده وعابه، وأن الصمت عليه في حصرة شبحه واجب، والكلام عليه حرام، والنظر عليه في الأدنة والمعارضة لكلام شبحه محظور، وكل شبح ترك مریده يبحث ويستدل عليه فهو ساع في هلاكه وحجابه وطرده عن حضرة ربه.

فالأولى بالنسب إذا رأى المرید يجمع إلى استعمال عقله بالنظريات أن يطرده حضرة؛ لتلا يمسد عليه نفقة أصحابه، فإن المریدين لله تعالى حور مقصورات في حيام شبحهم.

واعلم يا أخي أن طريق الصوفية هو الصراط المستقيم، وهو أجل الطرق وأساسها، وإن الطرق تشرق وتنصح بحسب غايتها، وهذا الطريق غايته معرفة الحق حل وعلا، ومعرفة الآداب المتعلقة بحضرته، ومعلوم أن معرفة الحق أشرف العلوم، كما أن معرفتها أشرف وأعر في الوجود، ولذلك كان الطريق إلى معرفته أشرف الطرق وأفضلها، وكان

(١) رواه البخاري (٥٤/١).

الشيخ الدال عليه سيد الأدلاء وأكملهم وأعظمهم، والساكنون إليه أسعد السالكين وأحباهم، فسعي نكل من يصح نفسه ألا يسلك من الطرق سوى هذا الطريق؛ لارتباطه بالسعادة الأبدية، فإنه حارٍ لعلم الشريعة والحقيقة، والعارف به هو الحقيق بمقام الشياخة والوراثة السوية الكاملة، ومن حصل فيه قبل له: الشيخ والوارث والأسناد إن كان تابعا، والتي إن كان في زمن النبوة.

وقد جعل الله تعالى جبريل نبيًّا في صورة مقام الأسناد للأسياء؛ تعليمًا لنا، وإرشادًا لاتخاذنا الوسطة بيننا وبين الله تعالى، ولا يفتن بما يلقبه الله تعالى إلى فلو ما من الوجه الخاص الذي بيننا وبين ربنا، فكان الأسياء في مقام المتعلمين من أشياخهم، وأشيائنا في مقام المتعلمين من سينا محمد ﷺ، فهو الشيخ الحقيقي لنا ولأشيائنا، ونحن حبيبا تلامذته ﷺ.

ثم اعلم يا أخي أن هذا الطريق لما كان في مقام العزة والشرف حُفَّت به الأفات من سائر الحيات، فلا يسلكه إلا شجاع مقدام على يد شيخ علام، وحيد نفع العائدة. فعلى الشيخ أن يوفي حق تربيته، وعلى التريد أن يوفي حق طريفته بالسمع والطاعة، وليس مقام الشيوخة هو العاية، بل الشيخ هو مصه انخائب للتريد من ربه على الدوام. قال الله تبارك وتعالى لأشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؛ أي بك لا بزيادة الأحكام الشكلية، فافهم وتأدب مع شيخك؛ فإنه نائب رسول الله ﷺ في هداية الأمة إلى الطريق التي جاء بها ﷺ، فيوظف المؤمنين من بومة الجهالة، وينقدهم من شقاء صفات الخمرة السارية التي هم عليها.

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، والقرب على نوعين: قربًا طينيًّا، وقربًا دينيًّا، والمعتبر في الشرع القرب الديني.

قال ﷺ: ((لا يتوارث أهل ملتين^(١)))، فنولا الدين ما ورت صاحب قرابة الطين شيئا.

ثم لما كان الناس في الدين على حالين: مدعٍ وصادق، وطالب للأخرة، وحائب لله، انتدب الخصوبة الناصحون للأمة، وبنوا المريدين ما في المقام من العلل، وبنوا لهم أن القرابة الصورية الطيبة لا عمرة بها، وإنما النافع لهم الجمع بين القرابة انصورية والحقيقة، يعمل أحدهم بالشريعة على وجه الحقيقة؛ ليخرج عن المأى، ويكون صيره مطابقا

(١) رواه أبو داود (١٧٥/٣)، والترمذي (٤٢٤/٤)، والنسائي (٨٢/٤).

لأنماله الظاهرة في الإيمان واليقين.

فاعلم ذلك يا أخي، واعرضه على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك،
والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

المبادرة إلى امتثال أمر شيخهم أو بهيمة، فإن أدن أحدهم أن يأكل طعام الفقراء في
الراوية فعل، وإن نهاه عن ذلك فليس له أن يأكل منه ولو سرّاً سواء كان ذلك في راوية
وقف، أو كان الفقراء فيها على ما يمتنع الله تعالى عنهم به، وإن نهاه عن الاجتماع بأحد
من فقراء الراوية أو غيره فليس له الاجتماع به لا سرّاً ولا جهراً، وإن حجب عن محاسنه
وجب عليه الانسراح لذلك.

وقد أجمعوا على أنه لا يسعى للشيخ إن حالس تلامذته إلا لمصلحة يعود نفعها
عليهم، ومتى تركهم يجلسون معه بغير ضرورة فقد أساء في حقهم.
وكان سيدي يوسف العجمي لا يجالس أصحابه إلا لنقاشه والتربية أو في قراءة
الورد، وما عدا ذلك فلا يجتمع بهم، وكذلك بعضا عن سيدي أحمد الراشد، وسيدي
مدين، وسيدي محمد الغمري وغيرهم.

فالشيخ فيما هو بضدّه، والمريد فيما أمره به شيخه، وإذا مع الشيخ المريد من
القرب منه في الليل وجب عليه الامتناع، ولا يجوز له التجسس على شيء من حركاته
وسكنانه، من أكل أو نوم أو طهارة أو صلاة أو غير ذلك؛ لأنه ربما نقصت حرمة الشيخ
عنده إذا وقف على بعض أحواله، وذلك لجهله بأحوال الكمل، ومتى هجر الشيخ المريد
ولو بلا سبب فتكدر المريد من ذلك فقد خرج عن الطاعة، وإذا خرج عن الطاعة فقد
خرج عن الطريق.

فاعرض يا أخي هذا خلق على من يدعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تنس
نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

احتمالهم الأذى في حق أنفسهم، دون احتمالهم ذلك في حق غيرهم من المسلمين،
فإذا آذاهم شخصٌ وبالغ في إبدائهم احتملوها، ولم يصالحوه إلا لمرصٍّ صحيح شرعيٍّ،
كأن يريد حمايته من الوقوع في الإثم، أو عدم تأدي إخوانك من الأذى، فإن من يحبك لا
يكاد يحتمل ذلك ولا تقيضك بين الناس، فمن ابتغى شخص بقتله في المجالس، ويتأذى
أصحابه بذلك فليسعي في مصالحته، دفع أذى عن المجلس له لا يصبر لنفسه.

ثم إذا بلغ مبلغ الرجال فحينئذ يصبر يرد عن نفسه من حيث أنها أمة الله، وهي وديعة له عنده، ولا حرج عليه في ذلك، بل هو مأمور به، كما أوضحنا ذلك في كتاب ((الأخلاق الكبرى)).

فاعرض يا أخي ما قررناه في هذا الخلق على مردي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم عوناً لشيخه على ما يريد من جميع نظام الذكر ومجلس العلم والمناقشة، وأن يحت كل واحد أخاه على المواظبة على الحضور، ولا يهمل أحدهم ذلك وقتاً واحداً، وإذا كان له ذلك اليوم حاجة خارج الراوية مثلاً فليحصلها قبل وقت مجلس الذكر. ولا يترك الذكر ويسعى في تحصيلها؛ فإن ذلك معدود من جملة مقت الله تعالى للعد، بل عد ذلك بعضهم من أكبر المقت، وقالوا: ما قدم عبدُ أمر الدنيا على الآخرة إلا سقط من عين رعاية الله ﷻ، فليحذر المرید من تعكيس مجلس الذكر في الراوية، أو يرسل أحداً من الأولاد الخاصين في المجلس في حاجة، ويترك مجلس الذكر إلا أن تكون الحاجة تتعلق بعامة الفقراء لتحصيل الطعام، وألة الطبخ لمطبخ الفقراء، ونحو ذلك.

أما الحاجة الخاصة لأحد الفقراء فلا يسفي إرسال أحد المخاورين أو غيرهم في حالة المجلس لحاجة إلا بإذن الشيخ، والله إني لأرى المقت يلوح على الفقير إذا ترك مجلس الذكر وخرج لشيء من أمور الدنيا، وربما اضط على الخروج من المجلس فاستحكم المقت فيه إلى أن يموت.

سأل الله انعمو والعافية، فاعرض يا أخي ما قررته لك في هذا الخلق على مردي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الخوف على شيخهم من كل شيء يقص مقامه، لا سيما في المأكل والملابس، فإذا أرسل الشيخ أحدهم في حاجة بيع أو شراء فليحذر من البيع والشراء من يقع في الربا أو القمار، أو يغش في صنعه أو حرفته.

فإن شيخه إذا أكل من ذلك الطعام، أو نبس من ذلك اللباس الذي لا يتحذر صاحبه من الشبهات، نقص مقامه وحجبه عن طريق القوم، وإذا خُص عن طريقهم انقطع إمداده للمريد وحرم البيع منه، فإذا رجحت مفعة على الشيخ إلى مفعة المرید، فإذا

أطعم شيخه شبهات فقد ضلَّ بحاله وحال شيخه، فيحتاج من يشتري الخاحه للشيخ أن يكون له الإشراف على مقامه ليشترى له ما ياسب مقامه في الأكل أو النسي، وإلا أظعم الشيخ الحرام المحض.

فإن الحلال بالنسبة لقوم ربما يكون حراماً بالنسبة لمقام قوم آخرين من باب حساسات الأبرار سيئات القريون.

وقالوا: ينبغي للمريد إذا اشترى لشيخه ألا يطلب من المائع مساعدة الشيخ بشيء من المشتري، فيجعل له المنة على الشيخ.

فإن مهمت ذلك عرفت معنى قوله تعالى محمد ﷺ: ﴿وَإِنْ تَطَعُ أَكْثَرُ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُصَلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]: أي لأن أكثر من في الأرض لم يصلوا إلى مقامك ولو شرفوا عليك، فلا بأمرؤك إلا بفعل ما هو بارئ عن مقامك الأسى، وإذا أظعنهم في ذلك فقد أضوك عن مقامك الاتق بك ضرورة المكى عه بسبيل الله: أي الخاص بك الذي لا يصل إليه غيرك، بخلاف طاعته ﷺ.

فاخووس الذين أشرفوا على مقامه المشار إليهم بغير الأكثر فيهم ربما يكونوا يصلوا ﷺ عن مقامه الكرم، فعلم أنه ليس المراد بالإصلاص عن سبيل الله ما يخالف الهدى كضلال الكماره لأنه ﷺ معصوم عن مثل ذلك بالإجماع، وإنما المراد ضلال عن فعل ما هو الأولى في حقه ﷺ ونحو ذلك.

وهذا الضلال هو المراد أيضاً بقوله تعالى لداود ﷺ: ﴿وَلَا تَقْبِضْ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]: أي سبيل الله الخاص بمقامك أنت فقط، ولا فهو ﷺ معصوم كذلك عن الضلال المشهور بين العامة.

وبالحملة: فلا يسعى أن يتكلم عن أحوال الأنبياء في تأديبات أخى لهم إلا من حق له قدم الوراثة، وإلا يخاف عليه الخطأ، وهذا اندي ذكرناه من الجواب من جملة العلم الموروث عن سينا وعن داود ﷺ، وهو طريق واضح لا إشكال فيه.

فعلم أن كل من ادعى حجة الطريق ولم يحف على شيخه مما ينقص مقامه فهو كذاب على الطريق.

فأعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعى الصادق من مريدي عصره نعرف حاله على ما ذكرناه، ولعل ذلك أتمنى الذي لم يخطر على باله حيلة، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحوالهم:

أن يفرح أحدهم بحفاء شيعه له، لاسيما إن أمر القريب ألا يعطيه من حبر الراوية وضامهم، ومنى تكدر من ذلك في سره فقد نقص عهده مع الشيخ، وخرج عن سياج طاعته، ووجب عليه تجديد العهد ثانياً كما أجمع عليه مشايخ الطريق، ويكون على علم الإخوان، حفظهم الله ولطف بهم.

إن الشيخ من مرتبه ألا يدخل تحت تعجير المريد عنه، كما أن من مرتبه ألا يفعل بالمريد إلا ما هو الأصلح له، مما منع الشيخ القريب أن يصرف لذلك السريد خيراً أو طعاماً إلا مصعبه له، يبري له اليقين، ويبعده عن الاهتمام بالرق، والركون إلى الأسباب، كما يفعل أهل الاهتمام مع ربه، وقد أجمع القوم على أن من المحال أن يبري للمريد يقين وشيخه يقين عبه ويطعمه من سباط راويته، وإما يبري انيقين للمريد بحرمانه من الأكل من كل معلوم، وجلسه في كل موضع لا يعرفه فيه أحد، كاخرايت البعيدة عن طرق الناس من غير اصطحاب طعام أو نقد، ثم يأمره الشيخ بالذكر على وجه الإحلاص، ولحمده الشيخ بالهمة لا بالكلام؛ لأن ذلك يضر بالمريد.

فإن فعده المريد كذلك لا بد أن يفتح الله تعالى عليه بشيء يؤكل، أو بزيادة اليقين وزوال الاهتمام بالطعام كما جرب.

قلت: وقد وقع لي مثل ذلك في بدايتي، فكنت أجلس في البرج الذي فوق السور بالقرب من باب الفتوح بمصر المحروسة، حتى فاجئني اليقين، وسفني إلى ذلك سيدي محمد بن عثمان^(١)، وسيدي حسن العراقي، المدفون فوق الكوم المطبل على بركة الرطبي، فجلس كل واحد منهما في موضع حراب لا يمر به أحد، فسخر الله له الدنيا في صورة امرأة عجور، تأتيه كل يوم بصحفة طعام ورعيف، فكانا يعرفان أنها الدنيا، وبأخذنا ذلك الطعام من الله لا من الكون. انتهى.

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك على مرهدي رمانك تعرف حاجهم، ولا تسب نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) قال الشيخ المصنف عنه: كان الله من الرفاد العناد، وما كنت آمنه وأحواله إلا بطاوس يميني أو سجد الثوري. وما رأيت في عصرنا مثله، وكان مشايخ العصر إذا حضروا عدة صاروا كالأضفال في حشر مربيهم، كان عسى فده في العبادة والصيام وقيام الليل من حين السويع، كان يصرب به المنل في قيام الليل وفي العلة والنصيانة وانظر 'الضمائم الكبرى' (٢ ١٠٧).

ومن أحوالهم:

إذا أحس أحدهم علامات الكمال النسبي العادي في مقامات الطريق ألا يطمع بصير أحدهم إلى وقع الإذن من شيعه. بل يحب عليه الصبر حتى يكون شيعه هو البادي له بذلك، ومنى طمع بصره لي الإذن من شيعه فقد مكس على عقبه، وربما رجع إلى حالة هي أدنى وأردل من حالته التي كان عليها قبل دخوله الطريق عقوبة به. فإن المريد كلما قرب من المحصره الإلهية كأنما يوقش، كما أنه إذا أبعد عنها سومح. والقاعدة: أن كل من عظمت مرتبته كبرت صغيرته.

وقد سمعت سيدي علماً المرحومي رحمه الله يقول: من نعم الله تعالى عليّ لما قرب أوان نظامي أن عسي لم تحدثني لفظ بأيّ استحق الإذن لي من شيعي. ولذلك جراتي الله تعالى بالإذن من شيعي ابتداءً على لسان رسول الله ﷺ، ثم جاء الإذن له من ربه عن طريق الإلهام، وقال لي: يا علي، ما أدت لك إلا بأمر من رسول الله ﷺ، ويأذن من الله ﷻ.

قال: ولما مات سيدي شيعي محمد ابن أخت سيدي مدين^(١) تطاول جميع أصحابه للجلوس في مصر لإرشاد المریدين، وكنت عائناً في بواحي البلاد، فأرسل الإخوان يشاوروني في ذلك.

فقلت: يجلس كل من معه إذن من الشيخ، وكل من ثبته الله تعالى ثبت، فجلسوا كلهم، ولم يثبت في مصر منهم إلا واحد، والباقيون أعوان له. انتهى.

فكان الشيخ ﷺ هو الذي ثبت في مصر، وانتفع به أساس، فعلم أن الشيخ لا يحتاج إلى تنبيه عنى الإذن لمريده إذا أكمل حاله واستحق الإعظام؛ لأنه يعلم أن الواجب عليه إذا رأى المرید قد استقل بحاله كملت تربيته. ودخل أوان نظامه، وأتاه الإذن له من رسول الله ﷺ، أو من ربه ﷻ من طريق الإلهام أن يأذن له، ويقطع عنه الإمداد من جهته، ويتركه مع ربه إن شاء أقعده، ولا حكم للشيخ بعد ذلك عليه.

قالوا: ولا يسع المرید إذا ساءل شيعه في المقام أو جاوره إلا اتأدب معه واحترامه دون الاقتداء به.

(١) هو الشيخ ابن عبد الدائم المديني، كانت له مجاهدات عظيمة، وظهر صدقه مع تلامذته، وتربى عنه المعارف بالله السروي، والشيخ عين المران، والمرصفي، وكان ذا همة وشكل مهين، وقد أحبل عليه القوم، فطردهم عن طريق القلب، وصار يخرج وحده إلى السوق ليشتري حاجته بنفسه، ويحمل الخبر إلى القرن بنفسه ويظلم عنه إلى أن مات، ودفن بجوار سيدي مدين.

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله: والذي حناره العاء على الاثناء به حتى يموت شيخه، كما أنه إذا مات شيخه قبل أن يكمله بحب عليه أن يتخذ له شيخاً آخر، ولا يقل: ما بقي أحد يعجني مثل شيعي، كما عليه غالب من يدعي الطريق من المريدي، فإن ذلك من صفات اليهود، فإنهم قالوا: ما بقي أحد مثل موسى، ولا يأتي لما أحد مثله، فأدركوا زمن محمد ﷺ الذي هو أعلى مقاماً من موسى بالإجماع، فلم ينفعوا به، فاعوا بالخسران المبين في الدنيا والآخرة. انتهى.

وهذا الأمر قد كثر في مريدي هذا الزمان، يموت شيخهم قبل قطامه لهم، فلا يفتادون لأحد بعده ولو كان أعلى مقاماً من شيخهم. فاعلم ذلك، وإياك أن تتكدر ممن قال لك بعد شيخك: تكون تلميذاً لفلان، وتقول: إن فلاناً لم يعرف مقامي، ومن يصحك بحسب مقامه فلا تلوم عليه، بل ذلك واجب عليه، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يلزم أحدهم على فعل ما أدل له فيه شيخه، وأمره به من الأوراد، كحضور مجلس الذكر صباحاً ومساءً، أو ذكره وحده في الراوية ليلاً ومهارة، ولا يتوقف على حضور الشيخ مجلس الذكر صباحاً ومساءً في الراوية؛ لأن ذكر الشيخ صار قلبياً، وبأطول ما لارم الذكر صباحاً ومساءً مع الفقراء في المجلس أيام بدايته. حتى أعطاه الله تعالى حياة القلب، واستغنى عن حضور مثل ذلك المجلس بالذكر القسي. ومن قال: لا أوطب على مجلس الذكر إلا إن واطب عليه شيعي فهو أعمى القلب، سيء الأدب مع شيخه.

وقد من الله على جماعة يسمعون ذكر الله ﷻ صباحاً ومساءً، ولا يحوجون إلى الحضور معهم، رضي الله تعالى عنهم، وربما تلمحت من بعضهم كسلاً إن لم أخرج إليهم، فأتكلف بالخروج إليهم تقوية لهممهم، وربما كنت تلك الليلة سهراناً إلى الصباح، فأصعب في المجلس عجزاً عن الجلوس ولا أنتخلف عنهم، فرصي الله عمن لم يحوج شيخه إلى ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

سبان أحدهم العناء أو العشاء أيام بدايته؛ لشدة اشتغاله بالله ﷻ، وكل مريد تذكر عناه أو عشاء إذا مات وقته في العادة فلا يرجى منه شيء في الطريق، وكذلك كل من وجد عهده فراغاً للذهاب إلى مواضع السرعات كالبحر والبساتين فلا يجيء منه شيء.

وخفي عن أبي بكر الشبلي ^(١) أنه كان يقول: مكنت ستة أيام بدائي لا أتذكر غداء ولا عشاء إلا إن أحضروه بين يدي، وربما غفلوا عني جمعة كاملة، فلا أتذكر أكلًا ولا شربًا.

فاعرض يا أحي هذا الأمر على مريدي زمانك، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

صرهم على الجوع اختيارًا أو اضطرارًا كأيام العلاء أو القحط، بأن يصير أحدهم يأكل فوق أكلة المعتاد ولا يشبع.

كما ورد في الحديث: ((إذا أراد الله بقوم قحطًا نادى مناد من السماء: يا أمعاتي اسمي، ويا عين لا تشهي، ويا بركة ارتفعي ^(٢))). انتهى.

فهذا هو القحط، وربما أكل الواحد طعام عشرة ولم يشبع.

قال سيدي علي الخواص رحمه الله: وأصل مشأ علاء الأقوات والقحط ككرة عملة

(١) هو الولي الكامل المعروف بالله تعالى أبو بكر بن دلف بن جحدر الشبلي. وقيل: اسمه جعفر ابن يوسف كما حكاه الشيخ السلمي، كان إمام أهل الورع والأحوال، كان والده سهاويد والنصره، صاحب الشيخ الجيد والصالح والصفة، وصار أوجد وقته عميًا وحالًا، تفقه على مذهب الإمام مالك، وكتب حديثًا كثيرًا، وكان يأخذه الوباء ويرد في أوقات الصلاة حتى لا يموت شيء مما يوجد عليه من التكيف، فإذا فرغ من صلاته أخذه الوباء مرة أخرى، وله كلام كثير، منه: سبو طرفة عين عن الله لأهل المعصية شرك. وقال: التصوف صط حواسك ومراعاة أماسك.

وسئل عن قوة تعالى: «الرحمن على العرش استوى» [طه: ٥]، فقال: الرحمن لم يزل والعرش محلت، والعرش بالرحمن استوى. وقال: من عرف الله لا يكون له غم.

وسئل: من أقرب أصحابك إليك؟ فقال: المحبهم بذكر الله، وأسرعهم مبادرة لرصاه.

وله أقوال كثيرة تدق على حقول أمثالنا.

قال عنه سيد الطائفة قلنس سره: أنا أتكلم بهذا العلم في السرايب والبيوت خيفة، وما جاء الشبلي تكلم بهذا العلم على المنابر، وأظهره بين الخلفاء.

ونوفي قلنس سره سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. ودنس بقرة الخيران، وقيل له عبد السراج قل: لا إله إلا الله، فقال:

إن بيثا أنا ساكنه غير محتاج في السراج

(٢) ذكره النقي الهندي في الكسر (١٤١٨/٧)، وقال: رواه ابن السحر في تاريخه عن أس، وقال الشيخ السبوي في مبص القدير (١، ٢٦٨): وهو مما يبص له النديسي في الفردوس لعدم وقوفه على منده.

الحلف عن رهم، وارتكابهم المعاصي، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

فاعلم أن من ادّعى عدم العفة، وعدم ارتكابه المعاصي، وحصل له علاء أو فحط، فهو غير صادق، ويتفاوت الناس في ذلك قلة وكثرة، وربما كان سبب ذلك الاستهانة بالعبية، أو بعير سبب امتحاننا من الله ﷻ لعباده، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة اعتنائهم بالعمل بصريح السُّنة الواردة أكثر من اعتنائهم بالأُمور المستنبطة إلا أن جمع عليهما.

وكذلك من أخلاقهم: شدة اعتنائهم بالعمل بكلام المجتهدين أكثر من اعتنائهم بكلام المقلدين، كما درج عليه السلف الصالح في حال بدايتهم، وهذا أمر قد أعمله غالب التمشيخين في هذا الزمان فضلاً عن المريدين، فترى أحدهم يواطىء على قراءة ورد اخترعه مثلاً أكثر من موافقته على ما ورد في السُّنة في عمل اليوم والليلة، وهو جهلٌ منهم، وأين إمداد أحدهم من إمداد الشارع ﷺ؟! وأين المنع من المبتدع؟! فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تكرار قراءة القرآن ومحفوطاتهم في علوم الشريعة، ولا يشتغلون عنها بالأوراد مثلاً حتى يسوها، كما عليه بعض الحيلة من المريدين، فإن كسب العقه جامعة لأحكام القرآن الطاهرة والباطية، ومن سبها فكأنه سبي القرآن، فعليه من الإثم كما على من نسي القرآن وإن تفاوت المقام، ثم إن على شيع هذا المريد اللوم أكثر من المريد؛ لكونه أهمله حتى نسي العلم والقرآن.

وقد ذكر الشيخ العارف بالله تعالى أبو المواهب الشاذلي أنه اشتغل بالذكر أيام بدايته حتى نسي غالب القرآن.

فراى رسول الله ﷺ وقال له: ((يا محمد، تركت تلاوة كلام ربك واشتغلت بوريدائك هذه!))^(١).

فقال: من تلك الواقعة رنت لي كل يوم عشرة أحزاب، وكررت محفوطاتي في العلم التي كنت نسيها، انتهى.

(١) هذا حديث كشيء صحيح.

ثم لم يرل على ذلك حتى مات، كما أخبره بذلك حميد الشيخ علي رحمه الله تعالى.
فاعلم يا أخي ذلك، والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم:

تصدقهم بالثوب الذي كان عليهم وقت المعصية، ثم يعتسبون ويتوبون ويلبسون، وإن كان أحدهم فقيراً لا يجد غير ذلك الثوب غسله ثم لبسه، وكذلك يحلقون الشعر الذي كان لهم حال المعصية، ويقصون أظفارهم، حتى أن بعضهم باع وصار يحلق لحيته كلما وقع في معصية.

ويقول: لو أمكسي تبدل أعصالي التي عصت لعارقتها. انتهى.
وهذا إن كان فيه تعظيم لله تعالى فائتباع السنة المحمدية أولى، فيستغفر الله تعالى ويتوب إليه من كل ذنب من غير حلق خيته، فإن استدلّ عليها شخص بقوله ﷺ: ((ألقى عليك شعرك واختنق^(١)))، وقال: إن شعر الكمر يعم اللحية، قلنا له: المراد بشعر الكمر الذي يؤمر لإزالته زمن الإسلام، كالعادة وتنف الإبط لا مطلق الشعر.

قال بعض المحققين: ولا ينبغي بس عصي الله أن يشارك ذلك المكان الذي عصي فيه حتى يطيع الله تعالى فيه، ولو يقول: (لا إله إلا الله) مرة واحدة، فكما كان يشهد عليه كذلك صار يشهد له.

وهو كلام حسن، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا نقصهم مقص أو يكونوا معه على أنفسهم، ويقولوا لها: إنما نقصك فلان بحق وصدق، فالواجب عليك أن تغفلي لما سبك عليه من الأمور التي تسخط الله تعالى عليك، واعلم أن كل مريد أجاب عن نفسه، وكره من نفسه، فهو مدّع كذاب، لا ينجي منه شيء في الطريق، وكيف يشعني الصادق وهو يكره من يطلب إيصاله إلى حضرة ربه، فإن كل نقص في العبد يعوقه عن السير إلى حضرة ربه محبوه، ولو لم يعلم هو به، وهذا المقص قد نهى هذا المدّعي على التوبة مما يعوقه ليسير إلى حضرة ربه. مجراؤه شدة المحبة لا الكراهة له.

فأعرض يا أخي هذا الخلق على كل مدّع للإرادة من أهل عصرك، تعرف صدقه أو كذبه، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه أبو داود (٩٨/٦)، وأحمد (٤١٥/٣).

ومن أخلاقهم:

ذكرهم لمسابب (خواصهم في المجالس)، والكف عن ذكر نقائصهم فيها؛ لأن ذلك يسحق الله ويسحق الإخوان، ويوجب الموت من الله تعالى ومن حقه، وذكر محاسن الناس يوجب رضا الله ورضا الخلق، والعامل لا يقع فيما يسحق الله عليه أبداً، وما بقي لمن يقع في أعراض الناس إلا أنه محوون، والمحو لا يصح له سلوك الطريق حتى يبقى من جوده، وعلى هذا فلم يسلم من الحوون إلا قليل من الناس، عديموا الترفي في العلوم والمعارف.

ولا يرال أحدهم يقرأ على العلماء ويتلمذ للفقراء حتى تشيب لحينه، ولا يبلغ درجة التدريس في العلم، ولا الإرشاد في الطريق، ثم إذا يوم القيامة تقاسم الناس حسناته في نظر ما سبق منه في حقهم من الثبينة، فمثلاً هذا خسر الدنيا والآخرة.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على من يدعي الصدق في الإرادة من أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة محبتهم لكل من تتلمذ لشجته؛ لأنه أخوه من الرضا ع الرباني على يد شجته، فمن كره أخاه وشاحه بغير حق فلا يرفع له إلى السماء عمل ما دام مشاحاً له، كما صرحت به الأحاديث، وذلك كناية عن عصب الله تعالى عليه كما عصب على الكفار، وإن تفاوت الأمر في ذلك، وربما رثه الله تعالى بعد طول مجاهدته إلى أسفل من الحالة التي كان فيها قبل المجاهدة، وأحبط عمله.

فاعلم أن من ادعى الصدق في الإرادة وهو يكره أحدًا من إخوانه لحط نفس بهو كذاب، لا يفلح أبداً.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على غائب من يدعي صحبة المشايخ على الصدق تعدد يكره غائب إخوانه، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إظهار كراهة من علموا أن شيوخهم يكرهه؛ تقليدًا لشيوخهم، كما يقلد طالب العلم إمام مذهبه بما حرره بطريق الفهم من الشريعة، وإن لم يعرف لشيخه دليلاً فإن منصب الشيخ يحل أن يكره أحدًا من المسلمين بغير حق؛ ليرتبه عن حطوط النفوس عالياً، ثم كلاماً إما هو لي حق الشيخ الحقيقي الذي له قدم المشيخة لا المنمشيخين، كغالب من يرر في هذا الزمان، فإن الغالب عليهم الرعوبات النفسية، وعلامتهم التكدير من بلعهم أنه يقصصهم بين المعتقدين بهم أن لو كان أحدهم من حق له قدم الولاية لفرح بكل من

ينقصه، ورأى أن ما نقصه الناس به لا يحسن عشر ما يعلمه هو من نفسه.
وقد أجمعوا على أن كل من أحب المدح كره الذم فيه، ومن كره الذم فيه فلا يستبعد
عليه كراهة إخوانه الذين نصحوه ولو بحق، فمثل هذا لا يجوز لمرید أن يقلده في كراهته
للناس، ويصير يكرهها تبعاً له.

فاعلم ذلك واعرض هذا الحال على الداعين للإرادة والمشبهة من أهل زمانك
تعرف مقامهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم:

طيب نفوسهم بمقاسة إخوانهم في أموالهم، ثم يرون المنة في ذلك عليهم لإخوانهم
الذين قبلوا منهم، ومنى خطر في نفوسهم أن لهم منة على إخوانهم في ذلك خرجوا عن
مقام الإرادة.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على المتمشحيين من أهل عصرك، فضلاً عن المریدين
تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم:

طيب نفوسهم بمقاسة إخوانهم في حسناتهم في الدار الآخرة، ثم يرون المنة لهم عليهم
كذلك في قلوبهم لها، وهذا أمر يصل المرید إليه في بداية أمره، فليس هو بدرجة عظيمة؛
لأنه أول ما يدخل الطريق يتحلى به أن الله تعالى هو المعامل والمالك.
فلا يجد العبد لنفسه فعلاً ولا ملكاً، بمعنى به على أحد من الخلق، وإنما المنة في ذلك
لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:
أنه يشكر الله الذي أصاف إليه شيئاً يعطيه لإخوانه، وكبر به من يسهم، فهو كالتوكيل
في مال سيد كريم، وليس له منك شيء مما يعطيه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق والذي قبله على كل من يدعي محبتك، فإن سمح لك
بمقامتك له في ماله وحسناته فهو صادق، وإلا فهو كاذب، ولا تنس نفسك، والحمد لله
رب العالمين.

ومن أخلاقهم:
بغض أهل المعاصي ولو أحببهم واعتقدوهم إيثاراً بجناب الله تعالى، فإنه يكره
العصاة، وكيف يدعي مرید الله تعالى الصدق وهو يحب من يعصه ربه، وهذا الخلق قليل
وجوده في مریدی هذا الزمان، لاسيما إن أحسن ذلك المعاصي إليهم واعتقدوهم بالهدايا،

فالصادق من أثر جباب الحق على جباب نفسه، وذلك ليؤثره الحق تعالى ويقدمه على أقرانه في مراتب القرب، وكل من أعز الله أعزه الله، ومن يهن الله فما له من مكرم. فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب مريدي زمانك، نحد أحدهم يشكر المحسن إليه ولو كان من شراب الخمر، ويدم من يصحبه في دينه ولو كان من أولياء الله تعالى، واحذر أن تنسى، واعرض ذلك على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محتبهم لكل من يكرههم ويستعيهم أكثر من محتبهم لمن يحبهم ويذكرهم بخير، ويجب عليهم، ويشي عليهم من حيث الأثر في الآخرة، فإن من يكرههم وينقصهم يحكمهم الله تعالى في حسنة في الآخرة، ولا شك أن العبد أحوج إلى الحسان في الآخرة من مدحه ومحبه في دار الدنيا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة الاهتمام بأمر عدوهم العاصي أكثر من اهتمامهم بأمر صديقهم الطائع؛ لأن صديقهم الطائع محفوظ من الآفات بظاعته، ولا كذلك العاصي، وما أعطى الله تعالى المقامات العالية لمن شاء من عباده إلا ليأخذ بيد العصاة المهالكين، ولذلك كان العارفون يوم القيامة إذا أدن الله لهم في الشعاعة فيمن كان يسيء إليهم، نيزلوا محله الذي يقع له سهم هناك حين يرى مقامهم عند الله، وصيبتهم معه من الإحسان صد ما كان قد فعله هو معهم في دار الدنيا، والله يجب المحسنين.

قلت: وقد سمعت سيدي علي الخواص عليه السلام يقول في العارفين:

إذا أعطوا مقام الشعاعة في أهل عصرهم إنما لم يكونوا يبدون في الشعاعة، إن أحسن إليهم المحسن محفوظ بإحسانه من الآفات.

وليس عنده الكرب الذي عند المسيء العاصي. انتهى.

وهذا الخلق من أعظم أخلاق المريدين، فاعرض هذا على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

احتمال الأذى من أعدائهم، وعدم التوجه إلى الله تعالى في الدعاء عليهم رضا بتقدير الله تعالى عليهم، وإد وقع منهم بوجه إلى الله تعالى في حق عدوهم وإنما يسألون الله تعالى

في اثوبة عليهم من وقوعهم في أذى المسلمين، أو انعمو عليهم إن كان قد سبق في علم الله تعالى عدم ثوبتهم من ذلك، ويحزنون عليهم أشد الحزن؛ لما جملهم الله تعالى عليه من الرحمة على العباد، واعلم أن كل مريد توجه إلى الله تعالى في هلاك من يوديه، أو روال بعثته من مالٍ أو عافية وبحو ذلك، فهو كاذب في دعوى الإرادة.

فاعرض يا أخي هذا الأمر على من يدعي الإرادة من أهل عصرك تعرف حاله. ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا سمع أحدهم كلاماً يوهم الغيبة في أحد من المسلمين كأن سمع أحداً يقول: كسوه الليلة وأحدوه لبث الوالي، فلا يطلب معرفة مرجع الضمير إلى من يتكلم بل يعرض عن ذلك، إلا أن يكون ذلك نغصاً شرعياً؛ لأن التجسس على معرفة ذلك المكسوس يرجع إلى العيبة منه بقياً. ربما يكون هذا المتجسس عدواً له، فيكون ذلك عنده أشد من صرب السيف فيه، بخلاف التجسس على أحوال الناس المحمودة، كما لو سمع إنساناً يقول: قام الليلة إلى الصباح يصلي، أو صائم الدهر.

قلنا: التجسس على مرجع الضمير لتعرف مقام ذلك الرجل لسأله الدعاء والصحة؛ لياخذ بيدنا في عرصات القيامة.

فاعرض يا أخي هذا الأمر الذي ذكرناه عن مريدي زمانك نجد غالبهم يتجسس على عيوب الناس كما ذكرنا، ولا يكاد يعرض عن سؤاله عن مرجع الضمير في فوضم: كسوه، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يروا نفوسهم أحببت من نفوس سائر الكتب وأحبس وأردل، فلا يتعبرون من عشرة غشت ولا حشاش ولا مدمى حمر، ولا غير ذلك، ويرون أن الله تعالى يغفر لهم دنوهم كلها إذا أدنوا، ومتى اعتقدوا في أحد من العصاة أنه مصر على معصيته فقد أساءوا به الظن، وأنشوا كل ذلك؛ ليعتدوا من أهل التواضع نعتاد الله ﷻ، وفي الحديث: ((لا يدخل الجنة أحد وفي قلبه مثقال ذرة من كبر)).

يعني عن أخيه المسلم، لا يدخل الجنة وفيه ذلك، فكذلك لا يدخل حصرة الله تعالى في دار الدنيا لا في صلاة ولا في غيرها، ومن هم كذلك فهو ملحق بالشياطين في معهم من دخول حصرة الله ﷻ، ومن هو من إخوان الشياطين فكيف يكون من المرئيين الطالبين لطريق الأنبياء والمرسلين.

وقد كان عطاء السلمي ^{١١} لا يخدمه في بيته إلا المحشون، وإذا لاموه في ذلك يقول: والله إهم عندي لأطهر من نفسي، ومرادنا بالمحشون هم أصحاب الأبهة، وهي عليان يحصل في المقعدة من قسم الأمراض، ومعلوم أن الأمراض لا يحور إرداء أصحابها.

وقد جعل الحكماء لإزالة ذلك حقة، وهي أن تقع جلود السمك المملح القديد في ماء ثم يُعنى على النار بعد ثلاثة أيام، ويُحقن به المأبوء فتذهب عنه الأبهة بقدره الله تعالى. انتهى.

فإياك أن تعيب على أصحاب الأبهة فتنتي بلائهم، كما وقع ذلك لبعض إخواننا، فإن من عاير اتلي، وإنما الأدب أن يدعو لكل من اتلي من المسلمين برحمة في يديه أو دينه، بأن يعاينه الله منه من غير إزدراء له.

وإياك أن تحاب أصحاب الكتب إرداء لهم أو خوفاً على ناموسك بين الناس لا حياة من الله ^{١٢} فإن ذلك نفاق، وربما كنت أنت مرتكباً في الناطل ما لو أظهرته لرجعت الناس ولم يجالسوك.

فاعرض هذا الخلق على مريدي زمانك معرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

دوام شهودهم الحق في أنفسهم على الدوام، أما في المعاصي فظاهر، وأما في الطاعات فكما فيها من النقص وترك الحضور والخشوع، ومرادنا الفسق اللعوي الذي هو مطلق الخروج عن السنة المحمدية، ولو في مأكله وملبسه وبومعه؛ لا ارتكاب المحرمات.

يقال: فسقت النواة: إذا خرجت من قشرها، وعلامة المتحلق بهذا الخلق ألا يتكبر من ناداه: يا فاسق، وبما قبل الدين، وبحو ذلك؛ لأنه صادق عبده، ومتى تكدر لم يشم لهذا الخلق والحق، بل من المتكبرين الذين لا يحبهم الله.

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله ^{١٣} يقول: من أراد أن ينظر إلى فاسق مرأى

(١) قال السلف: هو من علم عليه الخرد واعرف حتى مكث أربعين سنة على فراشه لا يقدر أن يقوم ولا أن يخرج من بيته، وكان يومئذ بالهضلة على فراشه، ورأى مرة النور وهو سحر فعشي عليه. وكان يكي الثلاثة أيام بياليه، لا يرقأ له دمع. وانظر: الطيمات الكبرى (١، ٤٠).

(٢) هو الإمام العلوي شيخ الإسلام أبو علي التميمي الشربوعي المروزي شيخ الحرم، قال فيه ابن مذكّر: الفضيل من أوزع الناس. ونقل الذهبي أيضاً: كان الفضيل بن عياض شاعراً بقطع

فليُنظر إليّ.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم، ولا تسر نفسك،
والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عسيهم لئائهم باسمهم المهرّد عن النكبة واللقب، ويكرهون بدائعهم باللقاب؛
لما يدخلها من الدنس، فإن شمس الدين أو سراج الدين لا يصح له أن يُلقب به إلا إن
كان شور على أهل الدين كلهم، كالشمس في صبح الدنيا، وأما كونه شمس دين نفسه أو
سراجها فلا يصح إلا بتأويل بعيد قولاً يحظر على بال المتكلم، فإن بداء الشخص باسمه
المهرّد هو الصدق المحض، إلا لعرض شرعي كداء العالم أو الشيخ مثلاً: يا سيدي الشيخ،
فإن مثل ذلك لا بأس به.

وبالحقيقة: فعلى العالم والشيخ تسميته نفسه، وعلى الطلبة والمريدين إجلاله كما جرى
عليه السلف الصالح.

وكلاما المتقدم إنما هو في حق الأقران من بعضهم بعضاً، والفرق أن العلماء
والصالحين عرفوا بعوسهم، فلا يحصل لهم إعجاب ولا كبر بدائعهم باللقاب والتكبي
بجلاف المريدين، وبحك الصدق في ذلك من العلماء والصالحين أن تتساوى عندهم
الألقاب والكنى، والداء باسمهم المهرّد، ومتى رجح عندهم النداء بالكنى، فهم من قسم
المريدين الكذابين لا من قسم الأخيار الصادقين.

فاعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله
رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عده الحسد لإخوانهم إذا حصل لهم إقبال من الشيخ أو أصحابه أو معارفه أو غيرهم؛
لأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، كما ورد في الحديث، ومن كان معه

الطريق بن أبيورد ومرحوم، وكان سب توبته أنه عشق جاريته، فيها هو يرتقي الخلدان إليها إذ
مع ثانياً جلو ١٠٠ ألم بأن المديس أموا أن تحشع قلوبهم [خديده: ١٦]، فيما سمعها قاز، على يا
رب قد ن مرجع ماواه الليل إلى طربة، فإذا فيها سامة، فقال بعضهم: برجل، وقال بعضهم:
حتى يصح، فإن مضلاً على الطريق يقطع عنها، قال: مضكرب رجاء: أما أسعى بالليل في
المعاصي وفؤم من المسلمين هاهنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع: بهم أي قد
تبت إليك، وجعلت توبتي موهورة البيت الحرام. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٢٣/٨).

نار تأكل حسناته أول فأول فكيف يدّعي محبة القرب من حضرة ربه ﷻ وهو يتعاطى أسباب النطر، فعلم أن كلما يأكل الحسنات يطرد العد عن حضرة ربه ﷻ، كما أن كلما تثر الحسنات من الطاعات يقرب العد بها، وهذا داء قد عمّ غالب المريدين في هذا الزمان، فعدّموا بذلك الترقّي؛ لأن الحسود لا يسود.

فاعرض يا أخي هذا الحق على من يدّعي الصدق من المريدين في عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شهودهم بادئ الرأي إذا وسوس هم إبليس بمعصية ومعلوها، أن ذلك من تقدير الله ﷻ بواسطة إبليس من حيث كونه آلة في ذلك، كما أن وسوسة إبليس لهم بالمعصية عن تقدير الله على إبليس. كذلك بواسطة المراح الذي ركه الله عليه، فلا يصيف أحدهم الوسوسة إلى إبليس، يقف معه في ذلك راعيًا أن إبليس مزيل هذه الدار تسع به أوساح الدس، فإن ذلك معنود من الشرك الحقي بالله ﷻ، وما رأيت هذا الحق دائفًا من أهل عصري إلا القليل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، فبكن قوله: (شيئا) يشمل شرك النفس وإبليس في العمل.

ومنى وقع أن بعضهم قال: يا رب اغفر لي؛ فإنك وعدت بالمعصية كل من لم يشرك بك شيئًا، وأنت تعلم أنني لم أشرك بك شيئًا، وإذا بالهاتف يقول: ولا يوم اللب، وكانوا قد قدموا بين يديه لنا ليشريه فأنى وقال: أخاف أن يصري، فأخذه الله بإصاصة العصر إلى اللب.

فاعلم ذلك، واعرض على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ما داموا في هذه الدار ألا يروا أنهم صلحوا مع الله تعالى في حال من الأحوال، وذلك ليكون أحدهم منكس الرأس على الدوام حيًا من الله تعالى.

وقد كان السري السقطي رحمه الله يقول: مد ثلاثين سنة وأن أطى أن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى نطر السخط لسوء ما تعاطاه، وقد أحصى الأشياء على أن من لارم أهل الحصرة الإخية من الله على قلوبهم بالتدليل بين يدي الله ﷻ، وأنه لا يجتمع الإدلال على الله، والتقرب أبدًا إنما يكون الإدلال للمحجوبين عن مشاهدته.

وهذا الخلق يحل به قوم كثير حتى ربما ينسى بعصه بعصه إذا دعى بزوال العلاء، أو

بطول البقاء لأحد في ولايته، أو سرور المطر، أو طلوع الليل، ووقع ذلك أنه بدعائه، فذلك وهم كاذب، ومن أين له ذلك؟ ١٩.

بل كان مالك بن دينار لا يخرج في الاستسقاء إذا دُعي إليه، ويقول: إني أخاف أن تطروا حجارة، أو تحرموا المطر بحضوري معكم، فَعَلِمَ أن كل من توهم رضا الله عنه، وعمي عن شهود مساوئ نفسه فهو معرور، ومن علامة عروره تكديره ممن نقصه، ولو أنه عرف نفسه لرأى جميع ما نقصه به من بعض صفاته، فكان لا يتكدر من ذلك. بل يشكر الله تعالى الذي لم يطلع الخلق على جميع مساوئه التي يخبئها عن الناس، ويحضرها ربه.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على أقرانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، واحمد الله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة محبتهم لكل من بالغ في إبدائهم من حيث أنه كان سببا لحصول الثواب العظيم لهم، وإذا مات حرموا عليه أكثر من حرمهم على ولدهم وروحهم ودهاب ماهم؛ لأن الروح والنولد والمال قل أن يحصل للإنسان من محبتهم ثواب، بل هم إلى الفتن أقرب. وقد كان سدي علي الخواص رحمه الله يقول: من كان له عدو يؤديه فليخرج به، وليحس إليه، فإنه أضع من أصدقاء هذا الزمان الذين يمدحونه ويحشونه وبداهونه، وكان إذا مات لهم عدو يحرر عليه أشد الحرر ويقول: لا إله إلا الله، مات من كان يحصل لنا بسببه الخير، رضا لله ونجح ورضا لرسوله ﷺ. فقلت له مرة: كيف ذلك؟ فقال: كان يؤديه فحصل له، ويكرمه من حيث أنه عبد الله، ومن حيث أنه من أمة محمد ﷺ، فحصل لنا الرضا من الله ورسوله إذا أطلع على قبوله، إما ما احتمله وأكرمه إلا لأجل كونه عبده أو من أمة نبيه.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على المريدين من أهل عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تنس نفسك، واحمد الله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

نحمل هموم إخوانهم وجيرانهم من المسلمين إذا برل بهم هم، وعجزوا عن تحمله قياما بواجب حقهم، ولا يصحك أحدهم، ولا يتناول شيئا من شهوات المومس ما دام بجيرانه وإخوانه الهم.

كان أحي الشيخ أفصل الدين إذا برل بأحد من المسلمين كرب في سائر أقطار

الأرض، يصير كائدي مات أمر أولاده، وذهب أكثر ماله، فلا يزال كذلك حتى يرتفع ذلك الكرب عملاً بقوله ﷺ، ((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم^(١)))، رواه الطبراني.

ومن نحمل الإنسان هم أحبه أن يساعده فيما عليه من الديون، ويكف دينه عند الخس أو الترسيم، المهم إلا أن يكون ذلك الخس عقوبة نه على دس عمله، أو نعطيه شيئاً لا يلق عليه به، كالذي يلتزم في تحليص خراج السلطان من أولاد الفقراء، أو يسلك طريق الأماء في صرب المسلمين وحسبهم، ويبيع هائمهم في الخراج بغير إدهم، فمثل هذا لا يسعى لأحد مساعدته حتى تأخذ العقوبة فيه حدها، وربما يسمى بعضهم في إخراجهم من الخس مثلاً فل بلوغ العقوبة حدها، فاستغفبه بلاء من وجه آخر أشد من الأول، وما ثم ألمع لس كان في صبي من الاستغفار، ويذكر دونه التي فعلها طول عمره، والتوبة منها.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على أهل زمانك تعرف حالهم، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

رجوعهم باللوم على أنفسهم إذا ظلمهم ظالم، ولا يدعون على من ظلمهم، بل يروون الفصل لله تعالى الذي سلط عليهم ذلك الظالم ليكفر عنهم سيئاتهم، كما استحق النار فصول بالرماد، وذلك لأنه تعالى لا يُعذب ابتداءً وإنما يُعذب جرأً، كما حررت عليه به عادته تعالى في الدنيا.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

فاعلم أن كل مرید اشتغل بمقابلة من آذاه ولو باندعاء عليه فما عده من انصدق راحة؛ لأن من شأ المرید الصادق أن يشكر الله تعالى على كل ما قدر، ويستغفره من حيث كسبه لمعاصي وإن وقع نه ماحضة وعقوبة على دونه، لا يرى أن تلك الماحضة كفرت عن سيئاته كلها، وإنما كفرت البعض، وأنه يستحق زيادة العقوبة في الدنيا والآخرة، بل يصير هو يسأل زيادة العقوبة لنفسه إثار اجئاب الحق على نفسه، وتعجيلاً للتطهير، فمثل هذا عيانياً على شهود أن أحداً ظلمه من الخلق، كما هو حال المعاصي مع

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧/٢٧٠).

الربانية يوم القيامة، فلا يرى أن أحداً منهم ظلمه، ولا يُسمى ظالماً. وهذا الحال الذي تميز به القوم في هذه النار على غيرهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب مریدی زمانك تعرف عدم صدقهم، بل رأيت شخصاً أذن له شيخه في أنه يسلك المریدين ويرشدتهم اشتكى من اعتابه إلى بيت الوالي، وعمره دراهم. وإذا كان هذا حال من أذن له شيخه أن يسلك الناس فكيف بعيره. فاعلم ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عنهم بفاورة الخار السوء، وذلك ليتعلموا بعشرتهم الحلم عنهم إذا خالفوا أعراسهم، ويحوروا الآخر يانصر عنهم، ويحفظوا غيرهم من الوقوع في الإثم بسببهم، ممن لا صبر عنده ولا حلم، وهذا ما درج عليه المریدون الصادقون خلاف ما عليه الكادبون.

وكان مالك بن دينار^(١) يشتري الرقيق الذي يخاف سيده، والذابة الشموص، ويتروح المرأة السوء، ويقول: إنهم يدكروني بحلم الله تعالى عليّ. فأحلم عليهم تحقناً بأخلاق الله تعالى، فإنه يحلم عني ليلاً ونهاراً وأما سابغ في ميدان المخائفات والعملات، ولو أخذني لأهلكني ثم لم يظلمني شيئاً، وكان إذا مالع عبده في مخالفة أعراسه يقول: ما أشبههم بمالك مع مولاه جل وعلا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مریدی زمانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يدعوا أحداً من الأكابر إلى حضور ولا تنهم إلا لغرض شرعي. لا حظ لنفس فيه، وإن أجلهم عن الدعاء إلى مثل ذلك كان أفضل وأكثر أدباً، وذلك أن المرید عمله دائماً على ترك الشهرة، ومحبة الخفاء، وعدم إقامة الخاء في قلوب الناس، ودعاء المرید العلماء والأمراء إلى حضور وليمنه، مما يورث الشهرة والخاء في قلوب الناس، وذلك من أكبر

(١) قال الذهبي. هو علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين ومن أعين كفة المصاحف، ولد في أيام ابن عباس وسبع من أنس بن مالك ثم بعده، وحدث عنه وعن الأحف بن قيس وسعيد بن جبیر والحسن البصري ومحمد بن سيرين والقاسم بن محمد وعذرة، وحدث عنه سعيد بن أبي عروبة وعبد الله ابن خنوب وهام بن يحيى وأبان بن يزيد العطار وعبد السلام بن حرب والحارث بن وحيه وطائفة سواهم، وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحدثه في درجة الحسن. وانظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٢/٥).

أسباب اهلاك، وربما راح أمر المريد عند الأمراء والأكابر وعظموه أكثر من شيخه، فأعجبه ذلك، وغاب عنه أن شيخه لو أراد إقَالَ الخلق عليه لأقفلوا، ولكنه دفعهم بقضه، وهرب من تحمل منهم في حضورهم عنده.

والصادق هو من يدفع الأمور المشعبة عن الله تعالى بقلبه من غير لفظ، حتى ربما سأل الأكابر في الحضور، وبقل بعائنه بحضرة أقرانه، فم يجه أحد منهم، وكان أحي أفضل الدين يفعل مثل ذلك إحمالاً لذكره، وكسرًا لنفسه، وهو دفعهم بقضه هرويًا من منهم.

وقد كان سيدي محمد الشربسي رحمه الله^(١) يقول: انلهم اجعلنا ممن ترهد فيه الدنيا، ولا نجعلنا ممن يرهد هو فيها، فقل له في ذلك فقال: إنما ترهد الدنيا في الصد لعدم وجود عمل في قلبه يقيم فيه، فقل له في ذلك، فهو ولو قدر أنه طيبها لا توجه إلى مجيئها إليه، خلاف من يرهد هو فيها، فقد يكون لعبة ديوية أو أحروية. انتهى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على المريدين من أهل الزمان تعرف حالهم. ولا تفسك نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

محبة رفع كل أحد من أقرانهم فوقهم في الدين والصلاح والعلم، فصلاً عن كونهم يتكبرون معه لشدة محبتهم الخير لجميع أقرانهم، ورهدهم في الدنيا، فلذلك كانوا يحون رغبة أقرانهم عليهم، ولا يعملون عن الدعاء لهم، بأن يحفظهم الله تعالى من آفات الرمة والشهرة بالصلاح والخير.

وهذا الخلق قد قل المتخلقون به من المريدين، وهو من أجل أخلاقهم، وربما ادعاه أحداهم علماً من غير دوق، فيسعي على إخوانه امتحانه لله تعالى ليظهروا المكذب، فيستعصر الله تعالى من الدعاوى الكاذبة، وذلك بأن يمدحوا أحناً من أقرانه على علة، ويألع في وضعه بالرهة والصلاح، فإن اشرح ذلك المدعي لذلك، وظهت أمارات السرور على وجهه فهو صادق، وإن اقبض وعبس فهو كاذب.

فنبه يا أخي لذلك، واعرضه على نفسك تعرف صدقها من كذبها، والحمد لله رب العالمين.

(١) هو شيخ طائفة الفقراء بالشرقية، كان من أرباب الأحوال ومكاشفات، وكاد يتكلم على سائر أقطار الأرض كأنه تربى فيها، وهو أحد شيوخ المصنف، وانظر: الطغبات الكبرى (٢: ١٢٣).

ومن أخلاقهم:

أن يقدر العلماء العاملين بأنفسهم في كل مكروه نالهم، فإذا بلعهم أن أحداً من المقارصين يقص أحداً من العلماء يود أن لو كان ذلك التقصير وقع له هو دون العالم، وذلك أن العلماء حملة الشريعة، وبغضهم بين الناس يقلل الرعة في امتثال أمرهم بأحكام الشريعة إذا وقع من الناس التمدي، هكذا حال المرديد؛ لأنهم لم يشتهروا بحمل الشريعة كما اشتهر به العلماء.

وهذا الخلق قل من يتخلق الآن من المرديد به، بل رأيت بعضهم يفرح بتحريم العلماء خوفاً أن يعلوه في أخاه والصبية، ومثل هذا لا يملح ولو عبد الله تعالى عمر نوح عليه السلام؛ لأن عبادته إنما هي بحفظ نفس، وما جعل الله الملاح والسجاج إلا في العمل الخالص الذي ابتغى به وجهه تعالى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على نفسك، وعلى من ادعاه من أقرانك، واشكر الله واستغفر الله من تقصيرك في حق العلماء، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة كراهيتهم ورجزهم لس يقل إليهم بقائص الس، لاسيما إن كان من فقراء الراوية. فربما ألقى إليهم السيمة حتى خربت الراوية، اللهم إلا أن يحكي ذلك الماقل النقص للشيوخ ليؤدب من يستحق التأديب فهذا لا بأس به، بل ربما وجب بخلاف نقل السيمة للمرديد من الأصحاء الذين لا يتحملون الكلام في حقهم.

فاهم ذلك، واعرض هذا الخلق على فقراء الراوية نجد لا يسلم من النسيمة منهم إلا القليل، وهو من أكبر طريق تشويش القلوب وتافرها، وذلك موجب لروال العمة عن أهل الراوية فتسلل أورادهم، أو يصير أحدهم يتكلف لها مع شغل القلب بالحق والحمد، حتى يتمي كل واحد روال عمة أخيه، فيجاري بمثل ذلك، فتتحول العمة عنهم كلهم.

فاعلم ذلك، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مساحتهم لكل من اعتانهم في حياتهم وبعد مماتهم وما يلعبهم حتى السامعين المصدقين على العية، لاسيما المفاريض فإن حكمهم لأخرة حكم من أركته الديون من سائر الخلق. وداروا حوله يطلبون منه ديونهم مع إنلاسه، ومثل هذا يسعى لكل من عنده طرف من الفتوة أن يساعده بدينه رحمة به، فإنه أهل بلاء، وقد قال عليه السلام: ((ارحموا أهل

البلاء^(١))).

وقال سيدي الإمام النووي رحمه الله^(٢) عن شخص مشهور بالفتوة، وله دين على معسر مضيق عليه في الطلب، هل يقدح ذلك في فتوته؟ فقال: نعم يقدح ذلك في فتوته. انتهى.

وأهل الله تعالى كنهم فتيان أهل مروعة، وإنما يساعون من اغناهم من غير علمهم أو بعد موتهم مبالغة في الرحمة، ولعلمهم أن الله يأخذ لهم حقهم منهم سواء بلغهم أم لم يبلغهم؛ لأنهم لم يكونوا يعلمونها فأن الله يعلمها، فاحتاطوا لأخيه المسلم وساعوه فيما يقع فيه بعد موتهم من العيبة؛ ليحوروا بذلك الأجر، ويربحوا أحاسن من الوقوف من أجلهم للحساب.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شعاعتهم عند الحق سبحانه وتعالى في كل من آذاهم بعبية أو غيرها في دار الدنيا بعد مساعدتهم له؛ خوفاً ألا يكون الحق تبارك وتعالى قبل مساعدتهم له، فيسألون الله تعالى ألا يؤاخذهم من جهتهم، وأن يعصوا عنه من حيث تعذبه حدود الله تعالى بالإذن لصاحبه من غير طريق شرعي^٣.

فإن لكل معصية حق: حق الله، وحق لصاحبه، فمساعدة العبد إنما هي في حقه دون حق الله تعالى.

وهذا الخلق من أحسن أخلاق المريدين، فاعرضه على مريدي زمانك تعرف حاجهم، ولا تسن نفسك، فإن من سامع مومع، ومن شاحح شوحح، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مساعدتهم لجميع هذه الأمة المحمدية في كل حق لهم عليهم، ولا يطالبون أحداً منهم بحق في الدارين، ولو جاعوا يوم القيامة فقراء من الحسرات. كل ذلك إكراماً لعباد الله من

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٠/٦)، وأبيه في الشعب (٢٦٣/٤).

(٢) هو شيخ الإسلام أساد المتأخرين، وحجة الله على اللاحقين، والمذمعي إلى سبيل السامعين، علم الأولياء، صاحب التصانيف الجامعة كالجموع شرح المذهب، وروضة الطالبين شرح المسحاح له، وتهذيب الأسماء ودقائق المسحاح بتحقيقه. وانظر: السهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسحراوي بتحقيقه.

حيث كونهم عبيده تعالى، ثم إكرامًا لحمدٍ يثاب من حيث كونهم أمتة، لا لعلة أخرى من طلب ثواب أو غيره، فإن عبد الثواب معدودون من الإثبات الحسن للعبادة والزينة بين العباد، وأهل الله تعالى محول لا يظنون سواه ولا يؤمنون إلا بإياه، ولا يرون له معه منكًا في الدارين، وجميع ما يعطيه لهم يخرجون عنه إنه تعالى فورًا، ولا يشتونه لهم إلا بقدر تحقق نسبة العطاء لهم، وذلك ليظهروا كرم الله سبحانه وتعالى عليهم لا غير، سواء أعطاهم الدنيا والآخرة أو معهم منها هو عندهم سواء؛ لشهودهم الملك في ذلك لله تعالى لا لهم، فهم يأكلون ويلبسون في الدارين من مال سيدهم، ويسكنون في داره صدقة منه عليهم من غير شهود استحقاقهم لشيء من ذلك.

فاعلم أن من عما عمن ظنمه لطلب الأجر والثواب، فهو لم يشم من طريق الأدب مع الله تعالى راحة.

فاعرض هذا الحق على مردي عصرك تعرف مقامهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الإكثار من مرافقة الله يحفظ بقلوبهم في جميع حركاتهم وسكناتهم على حكم مصطلح المتصوفة شيئًا فشيئًا، فلا يزال أحدهم يتدرج في المرافقة من درجة إلى درجتين إلى ثلاث أو أربع إلى عشر الليل أو النهار إلى خمسة إلى ربعة إلى ثلثة إلى بضعة إلى ثلاثة أرباعه إلى ألا يصير له ساعة عملة عن الله تعالى إلا بقدر ما يسامح فيه البشر؛ إذ مرافقة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مقدور البشر عامة. وإنما ذلك من مقام الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكمل ورثتهم.

وإنما قلنا أبقًا على حكم مصطلح المتصوفة ولم نقل الصوفية؛ لأن الصوفية هم كُمل العارفين، وكل من عرف الله تعالى عرف أنه لا نصح له مرافقة حقيقة؛ لأن المراقب ما راقب إلا ما لا أقامه الله فيه بنفسه تحلية، وتعالى الله عن ذلك عبد العارفين، فهم مع نظر الله تعالى المحقق إليهم لا مع نظرهم المتوهم.

وقد أشار في الحديث إلى مقام المتصوفة والصوفية بقوله ﷺ: ((اعبد الله كأنك تراه^(١)))، وهذه درجة التعليم، ثم يترقى منها إلى درجة الخواص، وهو أن يعلم أن الله يراه

(١) رواد البخاري (٢٧/١)، ومسلم (٣٧/١).

دون أن يراه هو، وهذا أكمل في التنزيه^(١).

وفي بعض المواقف الربانية يقول الله ﷻ: ((إذا كان كل شيء حاضراً بالعيد فانا بخلافه، فكيف تصح له مراقبتي)). انتهى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الحق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا نس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم محتاطاً لنفسه، فلا يدخل في عهد شيخ حتى يتوب من سائر الذنوب الطاهرة والباطلة، فإن كل من بغت عليه بقة من حقوق الناس أو حقوق الله تعالى، بعيد عليه أن يحصل على طائفي، ولو كان شبحه من أكبر العارفين، ومن هنا كان الشيخ الحادق لا يدخل العهد على مريد إلا بعد توبته، ورد المطالم إلى أهلها، فإن غالب المريدين لا يهتدون هذه التوبة، ويعتمدون على شيخهم فيدخلون عنه انتعاب، وهذا من باب فونه ﷻ لس سألته مراقبته في الجنة: ((أعني على نفسك بكثرة السجود^(٢))).

فحوله ﷻ عن الركوع إليه صلاة، وأمره بمساعدته على تحصيل ما يريده، وهذا الحق قد قل من يومي به من مريدي هذا الزمان، فلا المريد يحتاج لنفسه ويتوب قبل أن يدخل في العهد خوفاً أن يلعب بالطريق، ولا الشيخ نفسه يسأل المريد عن شروط التوبة، لاسيما إن كان الذي يأخذ العهد جالس بنفسه من غير إذن من شيخ الغالب عليه التلخيص

(١) قال المصنف في الميراث الذرية: مقوله: (كأنك تراه) هو شاهد الحق الذي أقنعه في عسك، وهذه هي درجه انتعيم، ثم يرتقى العهد من هذه الحالة إلى حالة الخصوص، وهو شهود كونه تعالى براك ولا تراه، وذلك أنك إذا صبطت شهوده تعالى في نفسك عند صلاتك مثلاً فقد أحسنت شهودك عن بقاء الوجود المحيط بك.

وإذا تحققت ذلك علمت عجزك عن رؤيته تعالى؛ لتعبيدك وإطلاقه، وصيقك وسعته. فإذا عرفت ذلك بقيت مع نظره المحقق (أي لا مع نظرك إليه) لأن نظرك يقبده ويحدده، وهو المنسره عن الحدود. فعلم أنه لولا تحييل العقل، لحن تعالى للأصابع في القلعة ما علموا من يتأدبوا معه.

ولما الأكابر فلا يحتاجون إلى هذا التحليل.

ولذلك كان القبط دائماً خلف الحجاب لا يرى ربه حي يموت، فامهم. ومن هذا الفرق أيضاً بين الرؤية والشهود: أن الرؤية لا تقدمها علم الغرني، بخلاف الشاهدة بتفهمها عنه بالشهود. وهو المسمى بالعمائد، وهذا مع الإقرار والإنكار في الشهود حين الشجعي الأخرى، ولا يكون في الرؤية إلا الإقرار. وانظر: الميراث الذرية (ص ٢٨) بتحقيقا.

(٢) رواه أبو داود (٣٥/٢)، والنسائي (٢٤٢/١)، وأحمد (٥٩/٤).

على نفسه وغيره، فليتبه لذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

شدة إقبال أحدهم على الاشتغال بعلاج نفسه ورياضتها دون الاشتغال بعلاج غيره؛ لأن هذه إما هي وظيفة الأشباح، أما المريدون فمن الأدب إقبالهم على ما يتعلق بموهم دون غيرهم، وهذه مكينة لا يشه لها غالب المريدين، فبصير يتشارك إخوانه بالموعة والإرشاد، وهو نفسه لم يتخلق بذلك.

وقد أجمع الأشباح على أن المريد لا يسمى له أن يكون مؤدباً للأطفال، خوفاً أن يسرقه حب الرئاسة، فلا يصير يفلح على يد أحد. وكذلك لا يسمى للمريد أن يكون حطياً ولا واعظاً ولا مدرساً إلا أن أدن له شيخه في ذلك، وأمن عليه من الإعجاب والكبر.

وقد كثر هذا الأمر في مريدي هذا الزمان حتى ربما ادعى أحدهم أنه أعلم من شيخه، لاسيما إن كان عنده علم من طرف العربية، وسار يرد على شيخه اللحن، فإنه يتلف بالكلية.

وقد صلى جماعة من الفقهاء خلف حبيب المعجمي، ثم أعادوا الصلاة وقالوا: إنه يحيى، فلما فارقوه لفهم السبع فأراد أن يأكلهم، ففروا راجعين إلى الشيخ، فخرج معهم إلى السبع فمسكه وعرك أذنه، فولى السبع وقال له: أما قلت لك مرات لا تتعرض لصبياني، ثم قال لهم: اشتعلتم بتمويم اللسان مختم من الأسد، واشتعلنا بتقويم القلب فحلفنا الأسد. انتهى.

وكذلك وقع لسيد إبراهيم السولي رضي الله عنه صلى وراه فقيه في صلاة المغرب، فنحيل له أن الشيخ يلحن فنوى المعارضة، فلما سلم الشيخ قال له: يا فقيه، المقمة الكسرة تقف في الحلق، فشهد تلك الليلة زوراً، وأحد عشرين دياراً من شهد له، فحرسوه وعزله السلطان قاتباي عزلاً موبقاً إلى أن مات. انتهى.

وكذلك وقع للشيخ علي المحلي أن شخصاً من أهل دمياط صلى حلقه، فلم تعجه قراياته، فلما سلم أنكر عليه، وقال للشيخ: إيش مدهك؟ فقال: حشني، فارداد إنكاره على الشيخ، وقال: هذا لا يعرف اسم مذهبه، فقال له: قل: حفي، فقال: بل حشني، فقال: ما معاه؟ فقال: إن أفعح عبيك فتموت، ففح عبيه من بعيد فوقع ميتاً. والحكايات في ذلك كثيرة.

فاعلم ذلك، واعرضه على مريدي زمانك، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكثر أحدهم من مراقبة شيخه حتى يصير مشهوداً له عسى الدوام ليلاً ونهاراً، حتى أنه لا يتكلم حتى يستأذنه بقلبه، ولا يسكت من ذكر أو علم حتى يستأذنه كذلك، وهذا من أعظم أخلاقهم.

ومن لم يكن كذلك فعبد عليه أن يرفق إلى مراقبة ربه ﷻ، وهذا الأدب واجب على المرشد ما دام بجهد ربه، فإذا عرف ربه المعرفة المشهودة بين القوم صار هذا الأدب مستحاً في حقه؛ لأنه حينئذ يجد معية الحق تعالى سارية مع جميع الوجود، فما من موجود إلا والحق تعالى معه، يمد بالوجود والانخفاض والصعود. فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مخافة أحدهم هوى نفسه على الدوام ما لم يكن له شيخ، فإن كان له شيخ فهو تحت إشارته، وليس له العمل بهواه ما دام تحت يده.

إذا خرج من تحت يده رجع إلى المبرأ، كان له قبل دخوله في يد الشيخ، فإذا أعجته روحته طلقها، أو جوحته تصدق بها، أو عمامته أهدها، أو وطبخته أو خلوته أسقط حقه منها، أو ماله خرج عنه للفقراء.

كل ذلك احتياطاً لنفسه خوفاً أن يشغله عن ربه فيستحق العقاب.

وهذه هي طرق المهين ﷻ الذين تطوى لهم منازل الطريق.

وأما من أقام مع روحته التي تشغله عن ربه ﷻ، أو أعجب بشيء من أحواله، فهو كاذب في محبة ربه ﷻ، ويا طول تبعه وتعب شيخه فيه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

حفظ أحدهم قلبه مع شيخه من حين يدخل في عهده إلى أن يموت، لا يدبر عن محبة طرفه عين، ولو هجره أو طرده لا يحول عنه أبداً، فإن الإعراض عن الشيخ كالردة من آداب الطريق.

وقد قال شيخ أهل الطريق أبو الفاسم الحميد رحمه الله: لو أقبل عارف على ربه ﷻ ألف سنة ثم أدرعه لحظة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله قبلها. انتهى.

وكذلك اقول في الإديار عن الشيخ؛ لأنه مرتبة إيمان دون الله تعالى، فمن ثم إقباله على شيخه فقد استحق الترفي إلى مقام الإقبال على ربه، ومن لا فلا.
فإياك يا أحي أن تتكدر من شيخك إذا طردك عن بابه بغير طريق تعرفها أنت،
وتصبر تحقد في نيك على شيخك، أو تنكوه في نفسك، فصلاً عن الناس الأجانب،
وفصلاً عن أعداء الشيخ، فإنك تثقت مقفلاً لا تفتح بعده أبداً، كما وقع ذلك لبعض من
يدعي أنه من جماعتنا.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك، ولا تنس نفسك، والحمد لله
رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يجعل أحدهم نفسه شيخاً له مع شيخه، فيصير يعرض عليها كل شيء أمره به
الشيخ أو سواه كالمستشير لها. هل أوافق شحني في ذلك أم أحالعه.
وقد أجمع الأشياخ على أن من لم ياتر إلى امتثال أمر شيخه أو نهيه فوراً ففعل ما
أمره به، وبنتهي عما سواه عنه من غير تهاون ولا تزوي فيه، فهو مخدوع لا يحسن منه شيء
في طريق أهل الله تعالى.

وقد قال الأشياخ: لا يجوز لمريد أن يكون له شيخان؛ لأن أمر الطريق مبني على
التوحيد، فكما أنه لم يكن وجود العالم عن إلهي، ولا التكليف بين رسولين، ولا المرأة
بين زوجين، فكذلك المريد لا يكون بين شحني. ويسفي أن يستثنى من كلامهم رسالة
موسى وهارون عليهم الصلاة والسلام؛ فإن تكليف قومهما كان بين رسولين بمصر
القرآن، ثم إن كلامنا إما هو في حق الشيخ الحقيقي والمريد الحقيقي، ومن لم نجتمع فيه
الشروط مبهما فلا حرج عليه في متعاده عدة أشياخ يرشدونه إلى الخير. كما كان عليه
السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فعلم أن كل من مال عن قول شيخه الحقيقي إلى
قول نفسه أو قول غير شيخه سرّاً أو جهراً، فهو كاذب في محبته الطريق، لا يحسن منه
شيء.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف هل وافق به أم لا، ولا تنس
نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم أبعد الناس عن الوقوع في خرق إجماع أهل الطريق؛ لأن الإجماع
كفص الشريعة على حد سواء، وهو لما لم يجمعوا عليه أشد تهاوناً، وقد أحسوا على أن

ترك العبد فضول الدنيا محمود في جميع الملل. فلو كان الفضول في يده يجرح عنه وإن لم يكن في يده لا يسعى في تحصينه، وما أمر الله الناس بالاكْتِسَاب إلا ليكفوا به نفوسهم عن سؤال الناس، بشرط ألا يتعلمهم عن عادة رهبهم، كما قال تعالى في حق الكُمَّل مادحاً لهم: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْهَارُ﴾ [النور: ٣٧].

فمن أهله الدنيا عن ذكر الله تعالى وما ذكر معه فطلبه لدنيا مدموم، وليس له في الرجولية نصيب.

وقد نقل الشيخ محيي الدين ابن العربي في الفتوحات المكية إجماع جميع الملل على دم حبة الدنيا، فقال: أصح أهل كل ملة على أن الرهد^(١) في الدنيا مطلوب، وأن إخراج العبد من يده ما راد عن حاجة يومه ولياته محمود عند الله تعالى ورسله وصالح المؤمنين. انتهى.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على مريدي عَصْرِكَ هل وفوا به أم لا تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرتكب أحدهم أثقل الأمرين أو الأمور على النفس، فإنه لا يشتد عليها إلا ما هو الخير لصاحبها، وذلك لأنها تطلب ألا تدخل تحت أمورها أبداً، وذلك لسر لا يذكر إلا مشافهة لأهله.

وفي بعض الكتب الإلهية: إن الله أوقف النفس بين يديه بعد أن خلقها، وقال لها: من أنا؟ فقالت له تعالى: أنت أنت، وأنا أنا، فعمسها الحق جل وعلا في بحر الجوع والبلاء خسة آلاف سنة، ثم قال لها: من أنا؟ فقالت له: أنت ربي، لا إله إلا أنت. انتهى.

ثم لا يخفى عليك يا أحي أن ذلك شأنها ما دامت تُسَمَّى نفساً، فإذا لحنت وصارت روحاً أو قنباً أو سرّاً فهناك لا يصح منها أن تأمر صاحبها إلا بخير سواء أخف عليها أم نقل.

(١) قال الشيخ المصنف: قد من الله تعالى عسراً بالرهد في الدنيا من حداثة سني إلى وفني هذا، حتى لو أمطرت السماء دهماً، ومكتوب على كل دينار من أخذ هذا لا يحاسبه الله تعالى عنه في الدنيا ولا في الآخرة، بكت لا أحد عندي داعيه إلى أحد شيء منه إلا بدني أوفيه به، أو لسد فاقة في ذلك الوقت الذي أنا فيه مضط، ومن شدت في وصولي إلى هذا المقام هذه تعالى بعث لي وله إن شاء الله. وانظر: الدرر والمجمع في بيان الصدق في الرهد والنور المصنف (ص ٣٢) طبع بتحقيقنا.

وأيضاح ذلك أن النفس حيث أطلقت في كلام القوم، فالمراد بها المحبوبة عن حضرة الله تعالى برعوناتها البشرية.

وهي المرادة في هذا الحلق، فإذا انحلت زالت حبها وصارت ملكية، فيحب على صاحبها موافقتها؛ لكونها صارت لا تأمره إلا بما يأمره به ربها **تعالى**، كما هو مشهور بين أهل الكشف.

فأعرض يا أخي هذا الحق على مريدي رمالك تعرف مقامهم حتى لا تنسى نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحس أحدهم إلى غروب الشمس ودخول الليل كما يحس الوالدة إلى الاجتماع بولدها بعد غيبته الطويلة، أو كما يحس العطشان الذي أشرف على الهلاك إلى انماء، وذلك لأن الله تعالى جعل النهار للنعمان وللإجماع بالناس، وجعل الليل لمحدثه ومناجاةه والسير معه.

وهذا دأب المريد ما دام سالكاً.

فإذا بلغ درجة انكمال تساوى عنده الليل والنهار في الحضور مع الله، وصار لا يشغله عن الله شغل، ويحس إلى كل وقت من ليل أو نهار.

فعلم أن كل مريد لم يحس إلى دخول الليل لأجل السهر في العبادة فهو كاذب في دعواه الإرادة.

وفي بعض الكتب الإلهية: يا عبدي جعلت النهار لمعاشك، وجعلت الليل لتسهر معي، فاشتغلت عني بالنهار، ونمت عني بالليل، فحسرت بحالتي في المارين. انتهى.

لأن العبد لا يجالس ربه في الآخرة إلا في مثل الوقت الذي جالسه فيه في دار الدنيا، غير أن مدة مجالسة العبد لربه في الآخرة أطول زماناً، فعم أن مثل مجالسة العبد ربه في الدنيا كأنه في الدنيا كانت في الدنيا، وعلم أن كل ساعة لم يجالس العبد فيها ربه في الدنيا فلا حط له في مجالسته في الآخرة، وإن كل من جالسه مقدار درجة مثلاً امتدّت له مجالسته تعالى في الآخرة بقدر همة وعمره في دار الدنيا، هكذا ذكره أهل الكشف.

ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ٣٢]، وبحسبها من الآيات.

وقد ينمّض الله تعالى على بعض عباده بالمجالسة له في وقت لم يكن جالسه فيه في الدنيا، لأنها دار حرق فيها الموائد.

فاعلم ذلك، واعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف مقامهم، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يتفقد أحدهم بظاهر الكتاب والسنة، ولا يترش برأي لم يعد له دليلاً، ولا يدعو بدعاء مخترع بصلاته قط؛ لأنها حصرة الله تعالى وحصرة رسوله ﷺ.

وقد ورد في السنة ما يغني العبد عن الأدعية المخترعة، فلا يسفي لأحد مراعاة الشارع في التشريع، فيكون متدعاً بحصرنه مع قدرته على الوصول إلى اتباعه بحفظ أديته المأثورة عنه، وكل من تأمل أن المخترعين للأدعية فيما ورد عن رسول الله ﷺ وجده أعم وأكمل من كل شيء؛ اخترعه هو؛ لأن دائرة علمه ﷺ بأحكامه أوسع الدوائر، فجميع الأنبياء والأئمة محبوسة في دائرته ﷺ.

وأيضاً فإن الدعاء بما ورد مرجو الإجابة؛ لأن الله تعالى ما أمراً بالدعاء إلا لأنه يريد بخلاف الدعاء الذي اخترعناه. فقد لا يحين الحق به؛ لاختراعنا وسوء أدينا مع رسوله ﷺ، بعد أن علمنا قوله ﷺ: ((ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئاً يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه^(١))). انتهى.

فعلم أن كل مريد يتفقد في أعماله وأقواله وعقائده على الكتاب والسنة فهو أسرع في سيره إلى حضرة ربه، ومن هنا طالت الطريق غالباً على المريدين، وماتوا ولم يصلوا إلى مقامات الكمال؛ لسلوكهم بالأراء والبدع.

فاعلم ذلك، واعرضه على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا ينعطى أحدهم أسباب الشهرة ولو بميل نفسه إليها، حتى أن بعض الصادقين لما طمح النور على وجهه من كثرة الأعمال الخائصة، وتسير بذلك بين الأقران سأل الله تعالى في محوده أن يحول ذلك النور من وجهه إلى قلبه، فحول الله تعالى في الوقت لموضع صدقه.

ومما وقع لي كنت جالساً عند سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى فمرُّ علينا رجل والنور طافح من وجهه، فقلت للشيخ: انظر يا سيدي شدة هذا النور الذي على وجهه هذا

(١) رواه الدررطني في المجلد (٢٧٣/٥).

الرجل، فطر إليه وقال: اللهم اكفنا سوء، فقلت له: كيف؟ فقال: إن الله إذا أراد بعبد خيراً جعل نوره في قلبه؛ ليعرف ما يأتي وما يدر من الأعمال، وإذا أراد به سوءاً جعل نوره على وجهه، وعرى قلبه من النور، فهو يقع في كل محذور ولا يهتدي لتركه، فقلت له: فإن جعل الله النور على وجهه من غير واسطة ميل إلى ذلك، فقال: إن العبد لا يأتيه شيء من خيرٍ وشراً إلا مع مقدمات النفس إلى ذلك، ومن هنا وقع التكليف.

وسعت سبدي علي الخواص رحمه الله يقول أيضاً: من شأن المرید الصادق أن يدوم أسباب الشهرة عنه بالقلب، فلا يظهر على وجهه قط نوراً، ولا يقبل أحد يده فضلاً عن رجليه، والكاذب يقبل ذلك، فعلم أن العبد لو حقق النظر في كل ما يقع على يده لوحدته، إنما يصل بواسطة محرم يقبل عليه.

فاعلم ذلك، واعرض يا أخي هذا الخلق على إخوانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أخذهم بعرائم الشريعة، ولا يرأون لرحمتها (لا عند الضرورة، وذلك لأن الرخص إنما جعلت للضعفاء من القوم وأصحاب الأشغال الشاقة؛ وأما الفقراء فليس لهم إلا الاشتغال بالله تعالى، وقد أضعوا أن العقبر إذا انحط من عرائم الشريعة إلى رحمتها فقد فسح عهد شيخه الذي كان عاهده عليه من افتتاح الشدائد؛ لأن المحب للمعادة لا يصرفه عنها صارف، ولا ترده عنها السيوف والمتالف، كالجهاد في سبيل الله على حد سواء.

واعلم أن المرید متى أكل أو لس مما فيه شبهة مثلاً، كطعام المباشري وأعوان العلم من غير ضرورة، فهو بطلان لا يجزئ منه شيء في الطريق، فليقتض شيخه يده منه.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مریدی أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكتف أحدهم أعماله الصالحة من التوكل عن الناس، ولا يظهر شيئاً منها حتى يتمكن في الطريق، وقد أصبح الأشباح كلهم على أن كل مرید أحب الظهور وشهر الصبوت بين أقرانه فهو كاذب في محبة طريق أهل الله تعالى، والكاذب لا يصلح للطريق.

وقد أجمعوا على أن مرید بنى أمره على الكذب، لا يصلح له أن يشتم من انصدق راتعة، كما أن من بنى أمره على الصدق فهو محفوظ من اندعاوى الكاذبة إلى أن يموت؛ وذلك أن شجرة الكذب لا يمكن لفروعها أن تخرج عن أصولها.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من أقوى سلاح الشيطان على المريدي أن يتعبر من الناس إذا اشموه، فإذا فعل ذلك وقد أعطى الشيطان سلاحه الذي يقننه به، وكفاه المؤنة. انتهى.

نعلم أن كل مريدٍ رمي بهاشية أو رياء أو زبدقة وتغيرت منه شعرة فهو كاذبٌ في محبة أهل الطريق؛ لأن الصادق لا يراعي إلا الله ^{تعالى}، ولا ينتمت إلى دم الخلق ولا إلى مدحهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاسم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يعني أحدهم بالعبادة والإقبال على حصرة ربه بعد الصبح وبعد العصر، أكثر من اعتناؤه بما ذكر في غير هذين الوقتين، كما درج عليه الصادقون، فكان أحدهم إذا صلى الصبح أو العصر يستمر في العبادة إلى طلوع الشمس أو غروبها، ولا يصير له التفات إلى شيء من أمور الدنيا، وذلك لأن ملائكة النهار يسزلون من طلوع الفجر، وملائكة الليل ينزلون من صلاة العصر، فيجتمعون مع ملائكة الليل وملائكة النهار، فيصير على العبد في هاتين الوقتين ثلحطين أربع من الملائكة، يشهدون عليه عند الحاجة إذا وقع أنه كذب الملكين للموكلين به في ليل أو نهار.

وهذا الخلق قل من ينسبه له من المريدين، بل بعضهم ربما كان في هاتين بضحك ويلعب، أو يتعاطى شيئاً من المحرمات، وذلك في غاية سوء الأدب وقلة الحياء. كمن يرسل الله تعالى له أربعة أملاك ياتون بصحيفته ليعرضوها على ربه، فيرسل نزيه صحكاً أو لعباً أو معاصي يستحي من ذكرها، فضلاً عن الوقوع فيها.

وقد أدركت سيدي محمد بن عماد وسيدي علي الخواص رضي الله عنهما إذا صلي أحدهما الصبح أو العصر يصير كأنه لا يعرف أحدًا من الخلق، ولا يجسه بكلمة لغو حتى تطلع الشمس ويصلي الصبح، أو حتى تغرب الشمس ويصلي المغرب، وكانا يذكران أن ذلك شأنهما من حين كانا في سن الصبا.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ما دام أحدهم فاصراً ألا يتزوج غير واحدة، ثم إذا نرقى في المقام بروج أخرى إن

شاء، ثم هكذا إلى الأربع، وليس له التزوج بأكثر من واحدة إذا حالف على نفسه عدم القيام بالعدل بينهما أو بينهما؛ لأن التزوج أكثر من واحدة إما يكون لمن أحسن من نفسه انتزعي إلى مقامات الرجال، وشهود مشاهدتهم، فهناك لا يحالف عليه عدم العدل بين النساء؛ لأنه حينئذ محفوظ بمعاينة الله عن الأربع؛ خروجه عن حظ نفسه، فإن الأكابر لا يتزوجون إلا ههنا رضا رسول الله ﷺ، بامتنال أمره في قوله: ((تزوجوا الولود الودود، فبني مكائز بكم الأمم يوم القيامة^(١))).

فلا يتزوج لقضاء شهوة نفسه من جماع أو حصول أولاد؛ لأن ذلك إما يحبه الدار الآخرة، وإن أهل الجنة يكفون بمجرد اللذة دون النسل، وقد يجعل الله تعالى مثل ذلك للخواص في هذه الدار من غير أن يحصل لهم أجر، فعلم أن من كان مشهده امتثال أمر رسول الله ﷺ بالتزوج بأكثر من واحدة فلا حرج عليه؛ لأن مراعاة خاطر رسول الله ﷺ أولى من مراعاة خاطر امرأة قد تكون فاسقة، لا نصلي لربها ركعة، مع أن كل من تزوج لامتنال أمر الله تعالى دون حفظ النفس محفوظ من الخور وعدم العدل.

بعض الحديث وهو قوله ﷺ فيما رواه البيهقي وغيره: ((من تزوج لله كفى ووفى^(٢))).

وذكر الشيخ محي الدين في المصاحبات: إن من شأن القطب الموث بحبة الكاخ؛ لما فيه من التحقق بالعجر الذي هو أكبر أوصاف العودية، فتراه يهي العبد عن شهوة نفسه حال الوقاع، ويقهره تحت الحجاب، انتهى.

وهذا مشهد خاص بالأقطاب، وقد يعطيه الله تعالى لمن شاء من عباده، فعلم أيضاً أنه ليس للمريد أن يتشبه في ذلك بالاشياخ الذين يتزوجون فوق الواحدة لحفظهم من الخور دونه.

قالوا: وليس في قواطع الطريق قاطع أقوى من الجماع، فربما يحامع أحدهم المرة الواحدة فترده تلك المرة إلى أنزل من مقامه قبل دخول الطريق، كما حُرِّب، فليكن المريد على حذر من كثرة الجماع.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٨١/٧)، والطبراني في الكبير (٢١٩/٢٠).

(٢) لم ألف عليه.

ومن أحلاقهم:

ألا ينام أحدهم في بيت فيه جب؛ لقوله ﷺ: ((لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جب^(١))). انتهى.

ومعنى أن الملائكة إذا لم تدخل ذلك البيت فهو مأوى الشياطين، فيسعى للعبد إذا جامع واعتسل دون روجته أن ينام في مكان آخر إلا لضرورة شرعية، وهذا خلق ما رأيت له ذاتاً إلى وقتي هذا.

فاعمل به، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

ألا ينام أحدهم إلا عن غيبة؛ لأن النوم بين يدي الله تعالى عث يحرم إلى المص؛ لعدم تعظيم حرمة ربه، وإذا اطلع الله تعالى على قلب مريد رأى فيه قلة التعظيم له بمقتة، لا سيما إن نام من غير غلبة وإخوانهم مستيقظون مع الشيخ، فإن ذلك يزيد مقتاً، فإن الإنسان ربما يكسل إذا رأى إخوانه نائمين فله راحة عذبة، بخلاف ما إذا راهم مستيقظين، وربما نظر الشيخ إلى يومه عثاً فمقتة، غيرة لحساب الله ويحزن. فلا يبلح بعدها أبداً، فإن مقت الله تعالى أحق من مقت الشيخ؛ لعلبة رحمة الله تعالى على عبده، فمقتة مخلوط برحمة، ولا هكذا مقت العبد لبعض الناسقين؛ لأنه لا يكاد يوجد فيه رحمة بل هو محض انتقام، كما سيأتي.

ومن هنا يعلم معنى قول أبي يزيد^(٢) حين سمع قارئاً يقول: ﴿إِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لِشَيْءٍ﴾

(١) رواه أحمد (٨٣/١)، والبرقي في مسنده (٩٩/٣).

(٢) هو الإمام الشح القطب، له طيفور من عيسى بن شروشان وكان حده موسى بن أسلم وكان سب إسلامه على ما ذكره شيخ المتابع أبو عبد الله محمد بن عبيد الله السطامي قدس الله روحه أنه كان يحاظر شروشان ولد إبراهيم الذي ورد بسطام في أول الإسلام فلام إبراهيم ونكده وأكر عليه صحة شروشان، وقال له: رجل موسى تصاحبه؟ فقال تولد: هو رجل مرصعي الحاصل لا يرد السؤال عن السؤال سخي وفي وإنما أحبه لذلك، فقال له والده: قل له: إن أبي يجهلك صبياً، فأخبره فقال: نعم إن فعل فعلني الهدية والكرامة، فلما حضر إبراهيم وأحضر شروشان طعام، قال له: لا أكله حتى تعطيني مرادي ومغضي حاجتي. قال: وما ذلك؟ قال: أن تسلم. قال: أفعل وكرامة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فكان هذا سب إسلامه. وقد كثر اسم طيفور في قبته وقومه في يومه وغير يومه. وفي الأحاديث من كل جانب كانوا يسمون باسمه ويكون مكنته تركاً واستمداً، ولكن هو ذلك الطيفور الذي هو نور على نور، ولا زال الشياخ المتقدمون في عصره يروونه ويتركون بدعائه وهو عندهم من أجل الصاد والرهاد وأهل المعرفة بالله. قد فاق أهل عصره بالورع والاجتهاد ودوام الذكر لله -

[البروج: ١٢]، فقال: بطشي أشد من بطش الله تعالى: أي بطش الله مخلوط برحمة؛ لأن الربوبية لا تنقسم لنفسها، ولا هكذا بطش العبد، فإنه محض انتقام لا يشوبه رحمة، فتحمله العبرة لله تعالى ألا يكون له رحمة لمن عصاه، كما هو مشاهد في حق السلطان، وربما قتل بعضاً في كلمة قامها إنسان في حقه، ولم يكتب بحسه وصره، فاهم.

ووافقه إني لأغار الله تعالى في ليلة الجمعة التي يحييها من الإخوان، وأمقت كل من رآته نام من عليه. فيصبح وأثر المفت عني وجهه لا يحصى (لا على أعشى القلب، كما في أمد كل من رآته سهرانا. فأصبر أمدته بمددي إلى الصباح، عكس من أمقته؛ فإني أمدته بمقت بعد مفت إلى الصباح، وبمشي الله تعالى الأمر في كل من الشخصيين، وقد تاعس بعض الإخوان ليلة فوضعت يدي في كفه كهنة الذي بعد له دراهم، فاستيقظ وطار النوم من عينيه، وذلك لغلبة محبته الدنيا على محبة ربه في قلبه.

تعالى حتى بال الدم من خشية الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن التلمي رحمه الله: مات أبو زيد عن ثلاث وستين سنة، وهو من قدماء مشايخ القوم له كلام حسن في المعاملات، ويحكى عنه في الشطح أشياء منها ما لا يصح ويكون مغلوفاً عليه يرجع إلى أحوال سيرة وفراصة حادة ورياسة لأصحابه حسنة. مات سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: أربع وثلاثين ومائتين.

من كلامه: مددت رجلي ليلة في عمراني، فبسط بي هاتف: من يحاسب الملوك يعني أن يحاسبهم بحسن الأدب.

وسئل عن السنة والعريضة، فقال: السنة: ترك الدنيا بأسرها، والعريضة: الصلحة مع الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا، واكتساب كنه يدل على صلحة التوكل. وكانت بقول: رأيت رب العزة سارحاً وتعالى في السوء، فقلت: يا رب كيف السبيل إلى الوصول إليه؟ فقال: غارك نفسك وتعال إلى.

وقيل له: متى يكون الرجل متواضعاً؟ فقال: إذا لم ير نفسه مقاماً، ولا يرى أن في الخلق من هو خير منه. ودخل على أبي يزيد عالم بلده ومقربها يوماً، فقال: يا أبا يزيد أحدث علمك هذا عن من؟ ومن أين؟ فقال له أبو يزيد: عسى هذا من عطاء الله، وعن الله، ومن حيث قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ وَرُئِيَ عِلْمُ مَا لَمْ يَعْلَمْ» فسكت الفقيه.

وسئل أبو علي الخرجاني عن الألفاظ التي تحكي عن أبي يزيد فقال: يسلم له حاله؛ فإنه يتكلم عن حد غلبة، أو حال سكر. ومن أراد أن يرقى إلى مقام أبي يزيد فيجدهد نفسه كما جاهد أبو يزيد، فهاك بهم كلام أبي يزيد عليه. وانظر: روضة الخبور في مناقبه لأبي الأظفاني (صحيفاً).

وربما يقول أحدهم: إني مغلوبٌ في معنيي للعالم وتقدمها على الآخرة. فقول له: ادخل في يد المربي؛ يوصلك إلى مقام يرول فيه حب الدنيا من قلبك، ويسكن محبة الله ويحقق، فإنه لا يعد مع المربي مقام، إما يكون ذلك عند عهد المربي، أو مع وجوده وعدم السماع لقوله.

وأعرف جماعة يحادعون الله ويحادعونني، ويدعون اليوم لعمه أوقات الذكر والخير، وإذا عمل أحدهم مولداً أو عرساً يصبر سهران تلك الليلة لا يأخذه نوم؛ للقوة الداعية إلى الدنيا، وضعفها في أعمال الآخرة.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مردي عسرك تعرف صدقهم أو كذبهم، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم تعلق أحدهم من وقوعه في الشدائد التي تطرفه أرائل دخوله في الطريق، فإنه لا بد لأهل الله تعالى من وقوع ذلك لهم شأنوا أم أبوا؛ لأنهم أهل دعوة محبة الله تعالى في بدايتهم، وكل مدعٍ ممتحن، فلا يزال أحدهم يُبتلى حتى ترول عنه جميع الدعاوى الطاهرة للناس، ثم يُبتلى من بعد ذلك من حيث سريره، فلا يزال كذلك حتى يدخل الجنة، هذا ما عليه عامة المتصوفة.

وأما على مذهب المحققين فما من أحدٍ إلا وهو مدع ولو ارتفعت درجته؛ لأن الصفات البشرية ترقى ولا تنقطع.

وما خرج عن ذلك إلا الأسياء عليهم النصالة والسلام، وجميع ما يهلمهم من الشدائد، ليس هو من باب الامتحان، وإنما هو لتقدي هم أمهم فافهم.

ثم إن أصل وقوع الشدائد للمريد في بدايته إنما هو لبيان عرة الطريق، وعمر سلوكها على غالب الناس؛ إذ هي طرفٌ مع النفس والهوى والشدائد؛ لأن الأصلح فيها جيبها في الله تعالى، وهذا يجعل النفس في الحق على الدوام عليه إلا إن حتمه العناية الربانية، ولولا ذلك لكان غالب الناس أولياء، وربما يقف الولي نحو ثلاثين ألفاً، فلا يصح منهم إلا واحد، والباقي لا يشمونه من الطريق رائحة وإن تحلوا بملابس الفقراء، كما شاهدنا ذلك في الأشياخ الذين أدركناهم.

وكان سيدي محمد السروي رحمه الله^(١) يقول: لفتت لأكثر من ثلاثين ألفاً، فطُبع

(١) سقى ترجمته.

منهم محمد الشناوي.

وسعته مرة أخرى يقول: لا يقع الانحياز إلا للصادق من المریدین، وأما المرآة فعلة حابط من أصله ولو عد الله تعالى إلى يوم القيامة، ومثل هذا قد كفى إبليس المؤنة، فيستدل على صدق المرید بكثرة الاجتهاد له.

فاعرض يا أحي ذلك على مریدی زمانك تعرف حالهم، ولا نس نفسك، والحمد لله رب العالمین.

وعن أخلاقهم:

قل أن يجد أحدهم الشيخ المعد شربة المریدین أن يخالف نفسه في كل ما نهوا حتى في موافق العبادات، فإنها لا تستحلي عبادة إلا إن كان فيها حظ لها من رياء أو عجب أو تكبر وبحر ذلك، وقد عمل بهذا الخلق بعض الرهبان، فعرض على نفسه الإسلام فتقل عليها فخالفها وأسلم، فاسترح صدره بعد ذلك للإسلام، وصار يصيق من صفات الصغار، وخرج عن قولنا قل أن يجد الشيخ، أما إذا وجدناه يجب عليه الامتنان بما يأمره شيخه سواء وافق هواه أو حاله، ثم لو قدر أنه بهاء عن عبادة فإنما ذلك لما رآه فيها من عدم الإخلاص، وإن كان الشيخ صادقاً فهو يأمره بكثرة ذكر اسم الله تعالى، والدوام على ذلك حتى يحصل الجلاء من الرياء في القلب، ويصير يدرك الحق والباطل حتى لو خبر بين بشره بالمشايير وبين الرياء في عبادته، لا اختار الشر ولا يترك باقاً شيئاً في عبادته.

وقد أجمع الأشياخ كلهم على أنه ليس لقلب جلاء أسرع من جلاء الذكر، وجعلوه كالخص للخص المصدي، وجعلوا عبره من سائر العبادات كالصابون للخص، فيا طول تعبها وبها طول زمن جلائه.

فعلم أن من طلب الطريق تلاوة القرآن أو كثرة الصلاة مثلاً، فيا طول تعبها، لأن تلاوة القرآن والصلاة إنما هما من أوراد الكمل من الأولياء الذين عرفوا الله تعالى المعرفة المشهورة بين القوم.

وعلامه الكمال أن تصير العلوم تحلج عليه في كل تلاوة حال التلاوة، ولا يحتاج في استخراجها إلى تفكير حتى لو كرر الآية ألف مرة، جمع عليه في كل مرة علوم لم تحلج عليه قبل ذلك، فما دام التالي لا يجمع عليه العلوم في كل مرة فاستعمال الذكر له أولى.

فاعلم ذلك، واعرض هذا الخلق على مریدی عصرك تعرف حالهم، ولا نس نفسك، والحمد لله رب العالمین.

ومن أخلاقهم:

ألا يقيم أحدهم في موضع يعتقد أنه فيه؛ لأن ذلك سُمّ قاتلٌ له وهو لا يشعر، وأيضاً لا يعمل الأعمال ليموق بها على أقرانه؛ لأن ذلك دليل على العجب وعدم الإخلاص، وإنما يقيم في موضع الإنكار والاعتراض على أفعاله وأقواله حتى يتفصل ويبلغ مبالغ الرجال، وفي ذلك من الأمان ما لا يخفى على صادق.

ثم إذا اكتفى بعلم الله تعالى فيه، وصار لا يلتفت لدم الخلق ولا مدحهم فله أدب آخر فيه مفصل، ثم إن كثرة الاعتقاد في العبد إنما هي تابعة لصدقه وعلو همة، فإن المرائي الكسلان لا يعتقد أحد، وهو يذل في كل محل أقام فيه.

وكان سيدي محمد الشاوي رحمه الله يقول: من صدق المرء أن يكون على عادة للتغلب، ومع ذلك لا يعتقد أحد لدفعه اليأس عنه لصدقه، فإن اليأس ما اعتقدوا في مرید إلا لعدم صدقه، وميله إلى شكرهم له في الباطن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فاعرض يا أخي ما ذكرناه على مریدی عصرک تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم لا يجد في بلده من يريه فله أن يسافر إلى من هو منصوب إلى تربية المریدين في عصره، ولو كان بيه وسه مسيرة سنة وأكثر، لاسيما إن كان أحدهم مثلي بشيء من الأمراض الظاهرة أو الباطنة؛ فيخرجه من تلك البنية بحس معرفته وسياسته، وذلك كحب حدث أو حاء أو رئامة، فإن كل ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب، وقد أجمع العلماء كلهم على وجوب علاج الأمراض الباطنة، كإظهاره عن حد سواء لما ورد في ارتكابها من الوعيد الشديد، ولا يتواهى في السفر إلى من يخرجه عن ذلك إلا كل شفي مطرود عن حضرة ربه مقبوت.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مریدی عصرک تجد أكثرهم مرتكباً جنة من الكبائر، فضلاً عن الصغائر، وما منهم أحد يطلب ذوائه ممن هو في بلده من المشايخ فضلاً عن كونه يسافر إليه، ولا تنس أن تعرض ذلك على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا سافر أحدهم لشبح بقصد أن يأخذ عليه الطريق وقائه بالجماء وعدم البشاشة فليصر على ذلك، ولا يرجع عنه بل يجب عليه الاعتناء به أكثر، وحمله على أنه إنما يفعل

ذلك بياناً لمعرفة همة ذلك المريد، وبياناً لحرارة الطريق وأهلها، فإن من شأن الطالب احتمال الذل في طريق تحصيله، ومن شأن المطلوب منه ذلك العزة.

قال سيدي عمر بن الفارض رحمه الله تعالى:

مسي به ذل الخسوع ومه لي عز المسوع وقوة المسضعف
وقال أيضاً:

لو قال نبيها: قف على جبر العصا لو قفتم مثلاً، ولم أتوقف
إلى آخر ما قال^(١).

ثم إن هذا الأمر لا يقع من الشيخ إلا في حق من تفرس فيه بعض خيانه، أما من تفرس فيه الصدق فلا يحتاج إلى امتحان. وعلى ذلك يُحمل حال من عبس في وجهه المريد أول قدومه عليه، ومن رحب به، فافهم.

فإن سيدي علي الطواص كان يقول: إذا جاءكم المريد يطلب أحد العهد عليه فلا تقولوا له: اصبر! فإن ذلك يخمّد نار هزيمته. انتهى.

وقد جاعني مرة ثلاثة من طلبة العلم الشريف من جامع الأهرار، يطلبون الطريق تفرست فيهم عدم الصدق، فقلت لهم: هل بلغ أحدكم مرتبة الإفتاء والتدريس؟ فقالوا: لا، فقلت لهم: لا تطلبوا الطريق حتى تعلموا ذلك. فرجعوا في الحال عما كانوا حاموا لأجله، وعملت أنهم إما جاءوا بشهوة نفس، فإن الطريق كلها مية عمى مخالفة الهوى والنفس.

وقد قال القوم: لا يمثل لشيء دخلته النفس وإن كان علماً أو عملاً، لأنه إلى الإنم أقرب، ولكن غالب طلبة العلم الآن محجوبون عن شهود عدم إحلاصهم في العلم والعمل.

ولو أن الشيخ قال لأحدهم: اترك هذا العلم حتى يصح لك مقام الإخلاص فيه لم يطمعه، بل يصير يرك في عرص الشيخ، فيقول في هذا: إن الشيخ ينمعي عن الاشتغال بالعلم ابدي يقربني إلى الله تعالى، كما وقع ذلك في كثير من طلبة العلم، وقد درج الشباب الصالح كله على دوام اتهامهم أنفسهم في الإخلاص.

حتى إن الإمام الموري رحمه الله أوصى بعسل كتاب الروضة، وقال: في نفسي منها شيء، وكان يذهب إلى الشيخ حسن المراكشي خارج دمشق ويشاوره في المسائل التي

(١) انظر: ديوان سيدي ابن الفارض قدس الله سره (ص ١٢٣، ١٢٤).

رجعها في مذهب الشاعبي قبل أن يصعها في كتبه، ويقول: أحاف أن أنفرد بترجيح حكم فيكون وباله عليّ يوم القيامة. انتهى.

واعلم أن كل مرید لم يفضل عليه شيعة أو محرره بغير سب طاهر متقفّل، فهو كذاب في طلب الطريق، لا يجيئ منه شيء.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مریدی زمانك تعرف حاله، ولا تفسد نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا جاور أحدهم في رواية شيعة على بية الترية أن يسره نفسه عن الوقوع فيما يظلمه الكذابون في تقريره في وطبعة في الرواية، فإن كل من يطلب ذلك ولو بقله فقد خان عهد شيعة، وإذا خان عهده فببب فوراً وليخرج من الرواية، فإن لم يخرج فقد عرض نفسه للمقت كلما وقع بهر الشيخ عليه.

وقد وقع ذلك لبعض المجاورين عدي والمترددین إليّ، فكما وقع بصري على الواحد منهم نزل عليه المقت قهراً عليّ؛ لعدم استحقاق الممدد، ولوقوعه بالاستهراء بالطريق وأهلها. ثم إذا ولي الشيخ أحداً من الفقراء في وطبعة، واتسع حاله فليتحمل كلفه عن الشيخ توسعة على إخوانه الدين لا وطبعة لهم في الزاوية ولا عبرها، أو هم وطبعة ولكن لا تكفي عباهم، ولا يبغى لمن وسع الله عليه أن يراحم المنقطعين في الحر والطعام؛ لأنه ما وضع بالأصالة إلا للمنقطعين إلى الله تعالى، كأهل الصفة في عهد رسول الله ﷺ.

وبذلك لما مات شيخ من أهل الصفة ووجدوا في داخل إزاره دهايز، فقال ﷺ: ((كيتان من فار^(١))). انتهى.

فعلم أنه لا يجوز للمجاورين أن يحافوا الشيخ إذا أشار عليهم بشراء شيء من القوت والأدم كل سبة، ويعمل بذلك حلواً لعباله، كما يقع فيه المخافون لعهد شيخهم، فإن ذلك حرام بين القوم، وربما جره إلى مقت الشيخ له. فلا يملح بعدها أبداً، وربما يش الشيخ في وجهه وهو ماقت له بقله، فيحذر المجاور من مثل ذلك؛ فإنه تفوق للوالد ولا يخفى حكمه.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مریدی عصرک تعرف حالهم، ولا تفسد نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) لم نقف عليه هكذا.

ومن أحلاقهم:

ألا يعد أحدهم نفسه من المرئيين حتى يجاور هذه العفصات الثلاث وهي: عفة الدنيا، والعمل لأجل الثواب، وتحمل البلاء والمحر إذا ترادفت عليه، وعدم القلق منها، بحيث يطلب الإقالة من البلاء، فمن لم يجاور هذه الثلاث عففات فهو لم يشم من طريق الصادقين شيئاً لأن أول السبر في طريق أهل الله تعالى لا يكون إلا بعد ذلك، وهناك يطلب الله تعالى صادقاً، يعني يطلب طريق معرفة الآداب المتعلقة بحضرته تعالى وأهله.

ومحك الصدق في عدم ميله إلى الدنيا أن يتساوى عبده المذهب والزبل على حد سواء، وعكس صدقه في طلب الآخرة أن يصير ويشرح كلما وعده الله تعالى عليه بالثواب، كضربه وجسه وضيق عرضه ودخو ذلك بغير حق.

وقد بلغنا أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق تسارعوا إلى حضرته ووقفوا كلهم بين يديه، فقال تعالى لهم: من أنتم؟ وهو أعلم بهم، فقالوا بأجمعهم: نحن المحبون لك، فقال تعالى: انظروا ماذا تقولون، فإن المحب لا يصرفه عن محبته صارف، ولا ترده السوف والمتأنف.

فقالوا: ها نحن بين يديك فامنحنا بما شئت. فخلق الله تعالى لهم الدنيا وزينها في أعينهم، ففر إليها من بين يديه تسعة أعشارهم وبقي العشر.

فقال لهم الحق تعالى ثانياً: من أنتم؟ فقالوا: محبوك. فخلق لهم الجنة ورؤسها في أعينهم، ففر منهم تسعة أعشار العشر، ثم خاطبهم الحق ثالثاً وقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: محبوك. فأتاهم في أبناهم وأولادهم وأموالهم وبنين، وهو الذي تسهم من فضله، فقال لهم: أنتم عبيدي حقاً، لا إلى الدنيا والآخرة ذهبت، ولا من البلاء مررتم، وأنتم حاصني من حنفي، وذاك أول سيركم إلى حضرتي، فسيروا على اسم الله تعالى إلى حضرتي، عبر متفتنين إلى أحد عيري، لأسمع عبيكم نعمتي، ولا أخرجكم من حضرتي أبناً لأبدين ودهر الداهرين. انتهى.

فأعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من إخوانك، تعرف حاله ولا تس نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

عص أحدهم بصره عن رؤية الصور المستحسبات التي لا يحل له نظرها أو يكره، فإن هذا النظر للقلب كالسهم المسموم، ومن وجد في قلبه ميلاً إلى مثل ذلك، فالواجب عليه أن يواصل الخوع بطريقه الشرعي، حتى يصير لا تدعوه نفسه إلى رؤية شيء من

شهوات الدنيا.

وكل من لا يسد عن نفسه باب النظر كما ذكرنا فيعلم أن الله خدله ومقته، ولا يجوز له ليس زي الفقراء، فضلاً عن الدعوى أنه منهم.

وهذا الخلق يحل به كثير من المسقة الذين يجمعون على المشايخ ولا يفهمون كلامهم في التوحيد، فيصير أحدهم يقول: كل حسن في الوجود فهو من جمال الحق، وجمال الحق مطلوب من الخلق أن يظفروا إليه.

وهذا أقوى من دسائس إبليس عليهم، ومنهم اليوم طوائف كثيرة على هذا الحال يسمون الإباحية، فيحب على كل مسلم الإنكار عليهم، وهجران أعانهم، ومع الصغاء من معاشرتهم.

وقد أنكرت مرة على واحد منهم نظر إلى أمرد فقال لي: إنما هي الله تعالى رؤية مثل ذلك للمحجورين بحجاب الإيمان، وقد خرجت من حجاب الإيمان إلى مقام الكشف والشهود. فقلت له: يكذب العبد، فإنك لو وصلت إلى مقام الكشف والشهود لكنت من أول الماديين إلى امتثال أمره تعالى، واجتناب هبه، فإن الذي ادعيت أنك صرت في حضرته هو الذي نهاك عن مثل ذلك، فلم أجده له جواباً.

وقوله أنه خرج من حجاب الإيمان إلى الشهود جهل منه؛ فإن حجاب الإيمان يرى مع صاحبه ولا ينقطع أبداً، كما أوضحنا ذلك في كتاب المس والأحلاق الكبرى مراجعه. واعرض يا أخي هذا الأمر على مريدي عصرك، فكل من رأته عاصراً بعصره فاشهد له بالصدق وإلا فهو كاذب، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يطالب أحدهم نفسه بالعمل بكل خلق سمعه عن أحد من أهل الطريق، وإذا لم تنجبه نفسه إلى التحلق به، فيمضيه الأكل والشرب. وأن يلزمها بالوحدة والسكون، حتى تنجبه، وهذا الخلق يخل به غالب من يدعي الصدق من مريدي هذا الزمان، فيقع أحدهم بحفظ تلك الحكاية ويعصير يحكيها للناس من غير تحلق بها فيها من الآداب، وربما طرأ الناس أنه صار من الصومية، فيصير يعتقد أنه عظمه، فيقطع بذلك عن الطريق ويلتحق بحزب الشيطان، وأعرف من أهل هذا الحال اليوم جماعة لا يحصون.

ومن هنا أجمع الأشياء على أن كل مريد تكلم في مقام من غير أن يدوقه مقت، ومنع وصوله إلى ذلك المقام بعد ذلك عقوبة له.

واعلم أنه لا يجوز لمريد أن يفرر للناس كلاماً لم يتلصق هو به، وأنه يجب عليه

السكوت لو سُئل هو عنه خوفاً من الفتنة، كما درج عليه المریدون الصادقون، والله أعلم.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يفع أحدهم في معصية بعد التوبة على يد الشيخ إلا ويستم الشيخ بها؛ ليعلمه كيف التوبة منها، ويرشده إلى سد الباب الذي دخلت له المعصية منه، ويسأل الله تعالى قبول التوبة، ومنى كنتم عن الشيخ شيئاً من المعاصي التي وقع فيها خاف نفسه.

وما قوله يَنْبَأُ: ((ومن ابتلي بشيء من هذه القادورات فليستتر بستر الله تعالى)) فهو محمولٌ على من يتظاهر بها حال وقوعها منه، أو عني ذكرها لغير من يرشده إلى كيفية الخروج منها، أو على من لا يستغفر له.

هكذا قال بعض العارفين: إن أكثر من يقع في حبانة هذا العهد من وقع له إجارة من شيخه بالمشبهة، فيصير يقع في كل محذور، ويخاف أن يحكيه لشيخه، وقد قالوا: شيخك وربك لا تكذب عبيهما، وذلك لأن من نجراً على الكذب على شيخه فهو شاك أن يحرق الكذب على الله تعالى؛ لأن الشيخ مرئيه (دما) للمريد في مقام الصدق أو الكذب مع الله. فكان كل شيخ يقول لمريده: تعال أعلمك كيفية معاملتك مع الله تعالى، وأتعلم منك سوء الأدب الذي يقع منك في حقِّي، ثم أعلمك طريق الخلاص من ذلك، فإنه ما ثم عارف بالله تعالى إلا وهو يحب أن يهدي جناب الحق تعالى نفسه، وأعلم أن الصادق لا يكتف عن شيخه شيئاً من خواطره التي تستقر فضلاً عن الأقوال والأفعال.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من المریدين تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يأخذوا معلوماً على شيء من الوظائف الدبية، كقراءة القرآن، والخطابة، والإمامة، والتدريس، والوعظ، وغير ذلك. إلا عند حصول الاضطراب بوجود شدة ألم الجوع أو البرد ونحوهما، ومنى وجد أحدهم اللقمة وما يستتر عورته، ويرد عنه الأذى فلا ينبغي له أخذ شيء من ذلك المعلوم؛ لأن ذلك يوقعه عن السير. ومن كان يأخذ أجرة

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/٨٢٥).

عمله ولا ترقى له في المحبة عند من استعمله، بخلاف من يخدم سيده امتثالاً لأمره، ومحبة في إظهار شعار شرع سبه ﷺ، فإنه يترقى بذلك إلى فوق ما كان يؤمله من المقامات، كما هو مشاهد في خدام الملوك وغيرهم.

وكان سيدي عليّ الخواص رحمه الله يقول: من اضطر إلى أحد معنوم وطبعة دبية فليأخذ ذلك سبة أنه اتلي عطاء من الله ﷻ، لا في مقابلة ذلك للعمل.

قال: وهذا شأن المرید ما دام في مقام الشراك مع الله في الأعمال، فإذا بلغ إلى مقام توحيد الفعل لله تعالى وحده، ورأى نفسه إنما هو محل برور ذلك للعمل لا غير، فهناك بصير يرى العمل لغيره. لا يحظر قط طلب أجرة عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولولا أنه يستحي من الله تعالى أن يقول: (يا رب ليس لي شركة معك في فعل من الأعمال) لقال ذلك، ولكنه أضاف الفعل إلى نفسه أدباً مع الله تعالى، كما أضافه الحق تعالى بقوله: تعلمون، تعملون، تكسون، تصعون، ونحو ذلك، فإنه يولا صحة إضافة الفعل إلى العبد ما صح له تكليفه، كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب المنز والإخلاص.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على من يدعي الصدق في الإخلاص من المریدین تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يأكل أحدهم من كسب امرأة لاسيما زوجته؛ لأن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء، كل من أكل من كسب امرأة فهو من أردأ الناس، وكيف يليق لمن عنده أدب مروءة أن يكون معدوماً من أهبال النساء.

وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن من قبل رفقا من امرأة فهو مخدول، لا يجزئ منه شيء في انضريق، وقد رأيت الأشياخ الذين أدركتهم أول انصف من القرن العاشر يمنعون تلامذتهم أن يأكلوا من وليمة صنعها امرأة، لكنها إن كانت بدرتها لشفاء ولدها مثلاً.

وما ورد من أن الصحابة كانوا يأكلون طعام امرأة كانت تصعه عم كل صعة، فذلك بتفدير الشارع ﷺ لهم على ذلك، فهو مستثنى بما هي عنه الأشياخ.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مریدی عصرک تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة الشاعد عن أبناء الدنيا، لاسيما إن ماهم شيخهم عن ذلك؛ لأن المرید لصعته يسرق صعه من طباع أبناء الدنيا، فيصير في طلب الدنيا وشهواتها كأحدهم ولو غلط،

كما هو مشاهد فيمن يخالف العقراء على صدق، فيصبر يردري ليس الجبة التي كان يمسها في الزاوية والطعام الذي كان يأكله فيها، ويطلب أعلى من ذلك، ولا يتيسر له ذلك إلا بالدخول في الكسب بطريق حلال أو حرام، فيتلف ويخرج من طريق الزهد والفناعة التي كان عاهد شيعه عليها، وقد وقع مثل ذلك لبعض من حرج من طاعتي من الماوريس، فينقطع عن محالس السكر والعلم وتلاوة القرآن، وصار عليه ظلمة من شدة المقت، ولو أنه كان أطاعني ووقع بما في الزاوية من اللقمة والخرفة لكان عليه وعلى ثيابه السوء كالجماعة المقيمين في الزاوية، فلا حول ولا قوة ولا سعادة إلا من الله العلي العظيم.

وقد كان سيدي محمد العمري رحمته ^(١) يكره للفقير النظر إلى تحسين ثيابه، والخموس على باب المسجد أو شياكه الذي على السوق، ويقول: إن ذلك يشغل قلب الفقير عن أتباع طريق القوم، فعلم أن كل فقير ناه شيعه عن مثل ذلك، أو فرض له به وخالف فهو كذاب مخلول مغفوت، ولا يجرى منه شيء في الطريق.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من إخوانك تعرف حاله، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة حرر أحدهم على نفسه وتوبيخها، وعدم استحسان حالها كلما ازدادت من الأعمال الصالحة، ولا يرضى عنها أبداً، وهذا الخلق قد قل المتخلفون به هذا الزمان، بل ربما رأى أحدهم نفسه على شيعه، وقد رأيت طائفة من المریدين حتى ذاب قلبي من علاجهم، ثم تغيروا وانقلبوا من طريق الاستقامة.

فلا تسأل يا أخي ما حصل لي من الأسف عليهم، وذلك تندسهم على مرتبتهم، وكنسهم عني صفاتهم الخبيثة، فقصى عليهم ذلك النجس أواخر أعمارهم، ولو أنهم كانوا بنوا أمرهم على الصدق مع مربيهم، ولم يكتفوا عنه شيئاً لمدهم بالصدق وأصبحوا وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن كل من لم يوبخ نفسه، وينهم نفسه على الدوام لحقه عجب، ونكص على عقبيه في أثناء الطريق.

وكان حكمه حكم النحل إذا اشرفت على ختام أقراص الشهد، ثم سرحت أواخر

(١) قال الشيخ النصف: هو ابن سيدي أبي العباس العمري، كان من العلماء والصالحين على حد عظم، توفي سنة ٩٣٩ هـ بمصر ومسجده بالقاهرة. وانظر: الطغقات الكبرى (١٣٢٢).

الختم على شعر الخنظل، فرعت منه ثم بحث ذلك على الأقراص فمررتها كلها. انتهى.
 فويح يا أخي نفسك، ولا تخرج شيعتك إلى توبيخك، وتعب سره فيك، فإنه ما
 وبخك إلا وأنت مستحسن أحوالك في الباطن، فأخرج الله تعالى له بعد ذلك ما كان في
 نفسك وصدقه وكذبك، وقد ربيت فقيراً في باب بيتي، فكان يقوم بذكر الله ويصلي من
 الليل، مرأى نفسه أنه صار من المقربين بذلك، ولولا لطف الله لحسف به باب البيت،
 وأخرجني إلى عمارته.

وقد ورد في بعض الكتب الإلهية: أين العاصي أحب إليّ من رجل تمسح به.
 انتهى.

وذلك لأن العاصي يطلب بآية من الله المعقرة، والمسح يطلب برحله بالتيح مع
 العجب المفت، فليتب.

واعلم أن كل مرید لم ير نفسه أنه قد استحق الحسف به لولا حله الله تعالى، فهو
 هالك والسلام.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي انصدق من مریدی زمانك تعرف حاله،
 ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عده أكل أحدهم أو لبسه بالدين، أو إطعامه الصيف، كذلك بل يصير أحدهم على
 الجوع والبرد حتى يوسع الله تعالى عليه.

وأما الضيف: فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد استعاد رسول الله ﷺ من عليه
 الدين وقهر الرجال^(١).

فأما الدين: فإنه أثقل ما يكون على من يؤمن بيوم الحساب، ويعرف شدة ذلك اليوم
 وما فيه من الصيق، حتى أن الرجل لينفي يوم القيامة بمثل عمل سبعين صديقاً، لا يطعن
 بنفسه النجاة، ولا يمكن المديون أن يدخل الجنة وعليه ذرة من حردل، بل يُحس عن
 الجنة حتى يوفي صاحبها من أعماله، ويتحمل عن ظهره من سباطه، ثم يُطرح في النار
 كما ورد، ومثل ذلك من يستعاد منه.

وأما قهر الرجال: فسب استعادته ﷺ منه، إنما هو من جهة حجاب صاحبه عن
 شهود أن العمل لله ﷻ، مكانه ﷻ استعاد من إرجاء الحجاب عليه حتى يصير يرى العمل

(١) رواه أبو داود (٩٢/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٤٨/٥).

من الخلق، فيقهر إذاً ذلك، فإن أحداً لا يقهر وهو يشهد الفعل لله أبداً، فما ثم عارف يقهر في الدنيا أبداً إلا وهو محجوب عما ذكرناه.

وقد قال الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله^(١): ما فهرت في عمري قط، وذلك

(١) هو من تعني معرفته عن الإشارة إليه، وإن كانت معرفته مستحيلة على غير أبناء حسنه، «وقيل»
بن عبادي الشكوة [سب: ١٣]، وانضموا:

لُصاك واسم العامرية أنسي
أغار عليها أن يراها مواري بل

فهو ممن ورنوا: (لا يعرف قدره غير ربي)، فكان من موزونه بركة مربي وبغيره مربي، مشروا في
مدى، تحقفاً بأحلاق سيدهم، وعدا. (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا محرو)، حاتم الولاية
الحمدية، حجة الله على أوسائه، الذين انني يشرب بها عباد الله، التولي، الكامل، المقرب، السند.
المعلم بالله تعالى، المؤيد من الله ورسوله في جميع شئونه، سيدنا محمد بن علي بن محمد الصافي
الأندلسي، المعروف بالشيخ ابن العربي عتد، ونصا به في المدارس، آمين، وأمانا على محبته وعنه
جميع الصالحين، آمين.

ولسد عتد في يوم الإثنين السابع عشر من رمضان عام خمس مائة وستين هجرية، الموافق الثامن
والعشرين من يونيو سنة ألف ومائة وحسي وستين ميلادية في مدينة مرسية (من أعمال ولاية
إندلوري) إحدى ولايات الأندلس (المعروفة الآن بأسبانيا)، وكان أبوه من أئمة الفقه والحديث،
ومن أعلام الزهد والصلوة، وكان جده أحد قصاة الأندلس وعلمائها، نشأ نشأة دينية تربية
صاحفة، وما كاد لسانه عتد ينحني حتى دفع به والده إلى نكر بن حنف عميد الفقهاء، فقرأ عليه
تفسير الكريم بالسبع في كتاب الكافي، مما أتم العاشرة من عمره حتى كان مروراً في الفرائد.
متسهماً في المعاصي والإشارات، وكان عتد من المومنين عند بعض ملوك المغرب، ثم أنه طرده
طارق من الله، فخرج في البراري على وجهه، إلى أن برز في قبره، فمكث فيه مدة، ثم خرج من
القبر فكلم بذلك الملوك التي تطلعت عنه.

وقال الشيخ الساري في «الطبقات» وقال بعضهم: برز الشيخ معروفاً مؤثراً لتخلي ولاهران عن
انسان ما أمكنه، حتى أنه كان لا يجتمع به (لا الأفراد، ثم أنز انزاله)، فبررت عنه مؤلفات لا
هابة لها، تدل على سعة باعه في العلوم القاهرة والباطية، وأنه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع
والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاعدا، التي لا يدركها ولا يحيط بها إلا من طالعها بحقه، اهـ.
ولم يزل سائداً في كل بلد بحسب الإذن الحمدي، ثم برحل منها، وبحلف ما أُنعم من الكتب
فيها. وكان آخر إقامته بالشم، وكان عتد متقياً بالكتاب، محموداً بالنسبة، وبهول: كل من رمى
ميراث الشريعة من هذه لحظة ذلك.

وله عتد كرامات أكثر من أن تحصى، ومن أجلها مؤلفاته التي لم يجد الزمان مثيلاً، وعمر
أرباب الفضول العظيم عن السبع على موالها، ومنها: الإخبار به قبل رسمه على لسان الحكيم
اترمذي حين ألف كتابه «حضم الأولياء»، فأحر أنه لا يجل تلك الأسئلة إلا رجل من أهل

أولاً: يكون اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبي، فكان هو الشيخ الأكبر؛ لأن اسمه الحكيم الترمذي محمد بن علي، ومنها: إخباره عنه عن السلطان سليم وعن دحوه الشام قبل رمي هذا السطاب، فوقع الأمر على ما أخبر به، وبني عليه السطاب قبره المعروف بسب ذلك، واختلف الناس في شأنه: بين معتقد، أو مسلم، أو منكراً، ويعود بالله من الإنكار؛ ذلك قصه يؤيه من يشاء من عباده، لم يشاركه في حبي حتى يشاركه في تسميته، وإذا أردنا أن نُس السكير من المعتقدين فلا بد أن نأخذ في الاعتبار ما يلي:

أن كتب ومؤلفات الشيخ الأكبر قد علمها وأطلع عليها جميع علماء الإسلام من وقت الشيخ إلى يومنا هذا، ومن يقل بعد سب التحيل إلى علماء الإسلام، وحاشاهم من ذلك؛ لأن كنهه وغفائده أشهر من أن يُشار إليها، وما من بلد مسلم أو حتى غير مسلم إلا وكتب الشيخ موجودة فيه، معبومة عند علمائه، وإذا نظرنا إلى المنكسرين في كتب الشيخ وعملائه جدهم كالآتي:

أولاً: المسلمون للشيخ علومه وسكنوا عن التكلم فيه، ومنهم شيخ الإسلام النووي؛ فإنه استغنى في الأمر، فكتب قوله تعالى: «بَلِّغْ قَوْمَكَ قَدْ حَلَّتْ بِهِ مَا كُنْتَ وَكُنْ مَا كُنْتَ بِشَيْءٍ لَا تَنْتَظِرُونَ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [البقرة: ١٤١]، لكن الذي عدنا أنه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله ويحجب عنه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام لم يلحق بلزجهم، ولا يصح عن ذلك إلا قليل التوفيق.

وقال في «شرح المهدب»: ثم إذا أوَّل مليؤول إلى سبعين وجهًا، وإن لم يقل عنه إلا تأويلًا واحدًا، ما ذلك (لا تَعْتَبُ أَهـ).

لست شعري ومن يسترق لديه مثل هذا الخبر الآن، وكذلك شيعه الخواري حين استغنى، فقل: اختلف فيه من الكفر إلى القطعية، والتسليم واجب، ومن لم يدك ما ذاقه القوم ويحاهد محامداتهم لا يسعه من الله الإنكار عليهم أهـ. وسبهم على ذلك حتى كثير من سالكين طريق السلامة.

ثانياً: المكرون علوم الشيخ عليه ومقامه: وهم فرعان: الأول: من قصد الإنكار لحسد، أو حظ نفسي، أو نقيصة بما فهمه تفهمه السقيم لكلام الشيخ، وهم نفر معدودون: كابن نيمية، وقام بآرد عليه كلاً من: الشيخ محمد المرحاجي في كتابه «هناية السائل في أسس المسائل»، والشيخ محمد المكي في كتابه «عين الحياة في معرفة الذات والأفعال والصفات»، والشيخ إبراهيم الكوراني (المنقب بمحمد الأشاعرة) في مواضع متفرقة من كتبه، والرد لندك كتاب ((مطلع الخواري في نهج التسوية في وحدة الوجود ومنهج التورود إلى مضاع الخواري)) وهو شرح على استنكالي في الكتاب السابق، والشيخ الشافعي في كتابه «الرد لمتين على متفحص العارف بالله سيدي محي الدين»، وهو من المواقف في الرد، والشيخ الشعراوي في كتابه «نقول محي الدين في الرد عن الشيخ محي الدين»، وهو يدافع عن الشيخ بقل بوضوح، ومنهم كذلك الشافعي، والنصاري، وقام بآرد عبيدنا الشيخ عمر حميد الخطار الدمشقي في كتابه «الرد على المعترضين على الشيخ محي الدين».

مدين»، وتناول كلامهما مسألة مسألة، وقد طبع هذا الكتاب فبينما، ومنهم أيضاً الفاعلي، ورد عليه الجلال السيوطي في رسالته «سنة العتي في تركة ابن العربي»، وكذلك الشيخ محمد بن جمعة المحضكي في كتابه «نزهة الأديبي في الرد على أحوار حجة الفاعلي»، وإن كان سبب التأليف هو رسالة الفاعلي في الشيخ ابن الفارض، وكذلك قد أمتى في الشيخ ابن أبيط، ورد عليه العلامة الفيروز آبادي في كتابه «الرد على المعتزليين على الشيخ محيي الدين»، أو الاعتباط بمعالجة ابن الحياطة، أما الملاء النجاري وكذلك السجواني فلم يفرح بإنكارهما عن واحد من ذكرهما، فكلامهم مكرراً، ولقد رد على من ذكروا رداً عليهم.

وأما المريق الثاني ذكره الشيخ السجواني في «اللطائف»، فقال: مريق قصد بإنكاره تعبير الناس عن مصالحه كنه، لما اشتملت عليه من المشكلات وغويص المعصلات، فلم يقصدوا بإنكاره خطأ نفسياً.

قلت: ومنهم بعض الصوفية من يحتفدون بولايته وقطابته، مع سبب اتعاهم عن الطر في كنه حشية أن يفهموا بالفهم السقيم أقوال الشيخ، فيظن به سوء، فيهلك مع الفالكون.

واعلم أنني ذكرت لك ما وقعت عليه من المؤلفات مما هو تحت يدي، وإلا فإن الرد على الإعراضات الواردة بسبب أهمهم السليم على الشيخ، كثير، أكثر من أن نستقصي، وسبب على سبيل المثال «الحجاب العربي في حل مشكلات الشيخ ابن عربي»، للشيخ محمد المكي. ولا يحصى عليث أيضاً أن الرد على من ذكروا منشور في كتب تقوم، وفي فتاوى مشايخ الإسلام ومؤلفاتهم، هذا فضلاً عن أن بعض من ذكروا عليه اختلافات بين أهل الإسلام كان تنمية فإن العلماء قدموا عليه في كثير من الأمور التي حرق بها إجماع المسلمين. كمسألة (البراءة النبوية المشرفة) وغيرها من المسائل في علم الكلام، وراجع في ذلك «شفاء السقام» لفتحي المسكي. ودفع شه من شه وشهد وسب ذلك للإمام أحمد، تعمي الدين الحصري، وغيرها كثيراً ولكن أميرة عبد الله في الدفاع عن الشيخ هي بالقول لا بالقاتل، حتى وإن لم يكن معتزلاً عند أهل العلم. ثالثاً: المدافعون عن الشيخ وأصحابه، وهم كل أهل المصوف من عصر الشيخ إلى قيام الساعة، وكل من كان محباً لهم، أو تابعاً لهم من الفقهاء وعامة المسلمين، وترك بدكرهم، فقول: منهم المعز بن عبد السلام، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وحيد الدين الصمدي في تاريخ مصر. والشيخ رروي، فقال: هو أعرف بكل من أهل، وحيث أضيق أقوم (الشيخ الأكبر) بمقصودهم هو اهـ.

والشيخ كمال الدين ابن الرمككي قال في كتابه المؤلف في إسمي والملك: كان الشيخ ابن عربي بحرًا زاحراً في المعارف الإلهية.

والشيخ قطب الدين الشيرازي، وقاصي الفصاح الشنمسي الساسطي المائكي، وبدر الدين ابن جماعة، وقبل أن له شرح على «المصومين»، والشيخ تعي الدين المسكي، وقد ترجمه ثالثاً: كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله.

والشيخ سراج الدين المخرومي، وألف في الرد عنه كتاباً حاولت ذكر الشيخ الشنمسي نقل منه في

مقدمة: البيروني، وشيخه فيه الشيخ المحروسي على أن شيخ الإسلام سراج الدين البغوي لم يمت في الشيخ بسوء، وجعل يستشهد لذلك.

وكان القاضي شمس الدين الخوجي الشافعي يخدمه خدمة العبد.

والشيخ البغوي في إرشاده، وكان يقول في ذلك: إن حكم إنكار هؤلاء الجبهة على أهل الطريق حكم ناموسية نطحت في الجبل تريد لإزالته من مكانه بهتتها.

والشيخ محمد العربي شيخ الخلال السيوطي، وغيرهم كثير مما لا يحصيهم العدد رضي الله عن جميعهم.

وأما: وهم ممن لم يعرف لهم إنكار، ولا قول بسبهم ولا محبة من علماء الإسلام، فالقول فيهم: أن جميعهم كما قلنا قد عسوا بولاعات الشيخ وعقيدته، وإلا لمهمم الجبل مأمور المسلمين، وإهم مؤيدون عقيدة الشيخ وعلومه، مقررون بعلوم مسرته وروحه، وإلا لو كان الأمر كما توهمه المكرون لأحدا جميع علماء الإسلام قوون الثقات: (السالك عن الحق شيطان أخرس)، وإما أن يكون سكوتهم لحوف المؤيد بسبب الشيخ وهذا بعيد، مما بق إلا أن يكونوا مقررين، فيكون كل من لم يمت في الشيخ بشيء محبا له، معرا بعقيدته، وإما كان المانع له عن بيان القول ما رآه من مسطرة المنكرين، وقوة ما رآه به مشايخ الإسلام عليهم.

تعقيب: أسمى الحافظ الذهبي، وكان من المكرون على الشيخ بسبب: «المقصود» مع تقريره لجميع مؤلفاته عن قول الشيخ في «التصوف»: «أنه أعطى الكتاب من الحصرة السوية الشريعة، فقال: ما أظن أن مثل الشيخ حيي الدين يكذب أصلاً»

لهل هذا بعد رجوعاً عن قوله في «المقصود»: «الله أعلم!

تنبيه: أعلم أن لا نتر أحد من مشايخ الإسلام المذكورين حجة على الشيخ الأكبر، فإن كانوا هم مشايخ الإسلام فهو شيخ الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان وما فوله من مراتب الصبر؛ إذ من شروط الوارثه محمدية أن يكون أعلم الناس في عصره بالكتاب والسنة، وأكثر أهل عصره أساغاً لها. ومعاد الله أن يكون واحداً من غير الوارثين بسندنا محمد ﷺ حجة عليهم، فكل واحد من محمديين حجة لأخيه، وليس غيرهم حجة عليهم، وإما قول هؤلاء المشايخ رضي الله عنهم حجة عليهم؛ لأننا بقولنا المقيدة وبحملنا حقائق الدين لم نكن نقبل علوم محمديين؛ فجعلنا إقرار من هو أقرب إلينا في مرتبة العقل والفكر النظري كالواسطة التي قلنا بها تلك العلوم؛ ففرعهم من مربا العقيدة، وإن كانوا هم فوقاً في تلك المرتبة؛ لوسع اطلاعهم على النص الشرعي الظاهر.

وأعلم أن هذا القول ليس قدحاً في علماء الشريعة معاد الله، بل هو علامة على عو مرتبة الوارثه المحمدية، بل أن من ظهروا بالمعلم الظاهر كالأئمة الأربعة هم عند اليوم من أهل الوارثات، وإن اختلفت مراتبهم بين وقد أو صديقه، أو غير ذلك من مراتب الولاية.

وبالجملة: فإن القول في الشيخ الأكبر بما الله به في الدنيا والآخرة أعظم من أن يحمله هذا الكتاب، وليس هذا محل بسطه، وإن شاء الله سقوم بتحقيق الكتب التي تدافع عن الشيخ والتي سبق ذكرها، وتذكر الدليل والشواهد على كل مقولة أو عصبه أو فتوى.

لشهودي أن الفعل لله وحده، فما تحلى تعالى لقبني في اسمه القاهر ولا القهار أبداً، وإسماء عرفت القهر من شهوده في غيري حين حُجب. انتهى.

فاعرض يا أخي الخلق على من يدعي انصديق من مريدي رمالك نعرف حانه ولا ننس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عجبتهم لسنة أخير إلى غيرهم دونهم بادئ الرأي. فإذا قاموا الليل وصلحوا بصدقة أو بنوا مسجداً، وسعوا شخصاً بضيف ذلك إلى غيرهم اشترحوا لذلك من غير تفكير، وإذا كانوا بعمرون مسجداً، ويصرفون عليه ما هم، وكان شخص بهم كذلك مسجداً، فطلب منهم المساعدة سرّاً فرحوا لذلك.

وحق عليهم أكثر من صرفهم على بناء المسجد المنسوب إليهم.

ومنى نقل عليهم سنة أخير إلى غيرهم فهو دليل على عدم الإخلاص.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك نعرف حالهم، ولا ننس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم احتقارهم لمن كان من أهل المادة؛ لأن خاصته محبوبة، ولأنه يصبر بذلك بصل الله وحوده وحلمه على عبادته مع إحسانه إليهم ليلاً ونهاراً، وقد قال تعالى: ((إن رحمتي سبقت غضبي^(١))).

واعلم لي ذكرت من أقوال الشيخ ما كللت به تحقيق هذا الكتاب، وانتي مثالي في محلها إن شاء الله: من الأقوال بحديث العالم، وبه لملول والاتحاد، وغير ذلك مما نسب إليه إما بحضر لبراء أو بهم كلامه على غير مقصده. ولنحسم تلك الترجمة بما ذكره سيدي عبد الوهاب رحمه الله: رأيت في الرسالة الشيخ الأكبر فلنس الله سره ومعه سيدنا آدم عليه السلام، فقال الشيخ لسيدنا آدم: أنت هذا مولد يحيى كثيراً. وكنت في هذا الوقت مولداً بقراءة كتب الشيخ والرد عنه والأجوبة عن مسائله، فقال لي سيدنا آدم: يا ولدي، ألم تقرأ القرآن؟ فقلت: بلى يا سيدي. فقال: ألم تقرأ قول الله تعالى: «ولا يبرأون حتى ينطقوا» [هود: ١١٨]؟ أهـ. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(١) رواه البخاري (٢٧٠٠/٦)، ومسلم (٢١٠٨/٤).

فائدة حليلة: قال الشيخ ابن ماء العيين: وبذلك قال إلا في الحديث الرباني: رحمتي سميت بالعين المعجمة، عصى، في بعض الروايات: أي وسعتها وتعلمها، وذلك لأن الرحمة صفة لا تعق لها بفعل ولا غيره، وأما العصب فتعنيته فعل العبد. وهذا أمورٌ تفصّل عنها العاراب، ولا تقع

ومعنى (سبقت الرحمة الغضب) ما قاله بعض أهل الكشف أن أسماء الرحمة يسبق معها إلى العبد، فبأنى معنى الغضب فيحد الرحمة سفته إليه، فلا يعض فيه الغضب.

وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [فاطر: ٤٥].

ومن كان يظهر فصل ربه عليه لا ينبغي له إلا الشَّعْطِيم، ولكن يحتاج صاحب هذا المقام إلى عينين: عينٌ ينظر بها إلى كونه مظهر رحمة ربه وفضله، وعينٌ ينظر بها إلى تفریطه في جانب ربه، وقلة حمده، وشكره بالعقل، فبإيه دون من كان أكثر عباده منه، وهذا خلقٌ غريب.

فأعرض يا أحمي على مریدی عصرك تعرف مقامهم، ولا تفسد نفسك، وعظم الناس بحق، واحتقرهم بحق بحسب ميراث الشريعة، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

اتحفظ من دخول مقام التوحيد دوقاً، فإن فيه عوائل تحالف إجماع سائر الملل، وهو اعتقاد الوحدة المطلقة، حتى أن بعضهم قال: إن حقيقة الروح هو الله، وحقيقة إبليس هو الله، وأنه يحب طاعة النفس وطاعة إبليس في كل شيء أمر العبد به، وهذا أعظم مراتب الجهل والخرافات.

فإن العبد لا يلحق مرتبة السبيل أبداً بالإجماع، ولو تأمل انقائلاً بذلك في قوله لوجده كلاماً غير مغفول، كيف يقول بالوحدة المطلقة وينت هناك عبداً يعصى مثل إبليس أو غيره، فتعود بالله من اعتقاد يحالف اعتقاد سائر الملل، وتعالى الله عما يقول الخاطبون علواً كبيراً.

فيها الإشارات؛ لأنها أرق من الشعر، وأدق من النظر. ولذلك هذا الشعر صاحبه هو الفرد الكامل، وهو الموت الفاصل عيه يدور أمر الوجود، وهو حبيبة الرب المصودا لأنه صارت له الصفات الإلهية دائماً محبة، فأعطي كل رتبة من مراتب الموحودات الإلهية والخلقية حقها؛ لتحقيقه بالأخلاق الرحمانية، كما قال ﷺ: «تخلقوا بالأخلاق الرحمانية»، وفي رواية: «تخلقوا بأخلاق الله».

وهنا نكتة لطيفة من بعض جوامع كلمه ﷺ وهي قوله:

(بالأخلاق الرحمانية). ولم يقل بالمحاربة ولا العظيمة ولا الكبرياء، قال بالرحمانية لما فيها من الشمول العبر مثبته بشيء، وتقدم أن الأصل في الصفات هو (الرحمن). كما أن الأصل في الأسماء هو (الله).

ولعلم أن اسمه (الرحمن) على وزن (معلن)، وهو يكون في اللغة لقوة أخصاف المتعصب به وظهوره عليه، ولذا وسعت رحمة كل شيء. وانظر: شرح الكبريت الأخير (بمحمدا).

وقد عجز العقلاء كلهم أن يتكلموا بلسان فرد لا ثاني معه، واعتبروا بالقصور عن ذلك، فإنه يبطل رسالة جميع الرسل، ويبطل أحكام جميع الكتب؛ لأنها كلها إنما جاءت إلا تنبية رب وعيد، كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب ((فراند القلائد في علم العقائد))، وذكرنا فيه أن جميع الأكابر من الأوثياء ملازمين لأدب العبودية^(١)، لم يخرج أحد منهم إلى قضاء مساحة الربوبية للناس في كل عصر، حتى أن بعضهم أعطاه تعالى

(١) قال الشيخ الشرفاوي رحمه الله (العبودية)، وهي الدلة والافتقار وليس بمع إلهي، وهذا لما لم يجد أبو يزيد السطامي شيئاً يتقرب به إلى الله تعالى ليس للأنوهمية فيه مدخل، قال: يارب نادنا انقرب إليك؟ فقال الله تعالى له: تقرب إلي بما ليس لي: لعلني والافتقار انتهى.

والعبد معناه الدليل، يقال: أرض معنودة: أي مدله. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لَعَنُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] أي لعلوا لي، ولا بد من لا يعرفه، ولما ستر ذلك ابن علي بقوله: أي ليعرفوني فهو تفسير باللام، وإنما خص هديي الحسين بالذكر؛ لأنه لم يدع أحد الأنوهمية والشكر على الله تعالى من سائر المخلوقات غيرها، ولم يتحقق مقام العبودية على كمانه أحدًا مثل رسول الله ﷺ، وكان عبدًا مخلصًا في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتته؛ ولما شهد الله تعالى به بأنه عبد مضاف إليه بقوله: وإله لما قام عبد الله ﷻ شحان الذي أسرى عبده ﷻ [الأنبياء: ١]، وبما أمره تعالى بتعريف مقامه يوم القيامة قل: «أنا سيد ولد آدم ولا جبر، نابع: أي ما قصدت الصخر عنكم بالعبادة، بل أردت تعريضكم بشري لكم؛ إذ أنتم مأمورون بالتأني، ورؤي: «ولا جبر بالمرأى: أي ما فتنه مسح؛ إذ الصخر: السطح بالاعمال في صورة الحق، والعبد مع الحق في حال عبوديته كالظل مع الشخص في مقابلة السراج، كلما قرب من السراج عظم الظل، ولا قرب من الله إلا بما هو بك لا به، وكما بعد من السراج صغر الظل، ولا يبعدك عن الحق إلا خروجك عن صفته التي تستحقها، وطعنك في صفته تعالى.

قال الشيخ الشعراوي في رسالة الأنوار القدسية في معرفة أدب العبودية: واعلم أن سبب عدي بعد عن حدوده كونه مخلوقاً على الصورة، والله تعالى العز والكبرياء والعظمة فسرت هذه الأحكام في العبد تحقيقاً للواقع، والكمال من العبد هو الذي لا يعرفه خلقه على الصورة عن الفقر والبنية والعبودية؛ ما يعرف من نفسه من العجز والضعف والافتقار إلى أدنى الأشياء، والسالم من فرصة برعوت، وهذا يدركه كل إنسان من نفسه ذوقاً، فليحذر العبد من رؤية نفسه حتى أحد من رعبته. ولو عبده الذي في رقبته؛ لأنه ربما يكون عبد الله أحسن منه حالاً، كما ورد في الحديث، وليحذر من قوله: تجعل رأسك رأسي أو مثلك بعثني أو غير ذلك، فإن هذا كله دليل على الجهل والقسوة والكبر، والله لا يحب المتكبرين.

ولو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى يكرهه فكان ذلك كافياً في الزجر؛ لأن العبد كلهم حرمهم ورفضهم منك به تعالى. لا فصل لأحد عن أحد إلا بما فضله سيده به، وهو لا يعلم إلا بوحى، فالزم الدل وبرك البحر لعبدك وخدمك إن كتب عبد الله. انتهى. وأطر: شرح الحكم الكرديه للشيخ الشرفاوي (١٣٧) جعتهنا.

حرف (ك) في هذه النار، فلم الأدب، ولم يتصرف به فيها، وقال: لا أراحم أوصاف الربوبية.

وعنهم: أبو السعود بن النسل^(١)، الذي شهد فيه الشيخ عيسى الدين بن العربي أنه أكمل من شيعته الشيخ عبد القادر الحلي^(٢)، وما أعطى الله تعالى عباده علم التوحيد إلا ليعلموا به أنه تعالى إله واحد، لا ليتصرفوا فيه فيما ليس لهم، فإنه يخالف أوصاف العبودية التي بها تقررة العبد من حصرة ربه.

وسعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من حين خلق الله تعالى الخلق مهم معه ولا وصل ولا فصل؛ إذ الوصل والفصل لا يكون إلا مع المحاسن، ولا محاسبة بين الله تعالى وبين خلقه بوجه من الوجود، وما تعلق علمه تعالى بهم إلا وهم مفصولون عنه.

قال لهم: كونوا، فكانوا ونو كانت حقائقهم موجودة، كما يقول من يقول بقدم العالم ما كانوا يحتاجون إلى قول (ك)؛ لأن قول (ك) لا تتوجه إلا على معلوم لتوحيده، فقد أخطأ والله من قال بعضه يعشق بعضاً فهو المعشوق والصب إن كان قال ذلك عن صحو، وإن كان قاله عن سكر فالسكران غير معتبر بالعبادة.

وأما ما يستدل إليه أصحاب شطح من نحو قوله ﷺ: ((ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكل نعيم لا محالة زائل، وأنها أصدق كلمة قالها شاعر لبيد^(٣))).

فلا يصح دليلاً للقائلين بالوحدة المطلقة؛ لأنه صرح بأن مع الله تعالى خلق، ونكر وجودهم بإمداد الله تعالى لهم بالوجود، لا مستقلاً بأنفسهم.

ومن كان وجوده بغيره فهو كالباطل؛ لأنه باطل من كل وجه.

فاهم يا أحمي، واعرض هذا التقدير الذي قررناه على مريدي عصرك تعرف حاجهم.

(١) هو العارف الأنجم والصوفي الأعظم سيدي أبو السعود بن شل البغدادي، مهم كملت يافه إرادته.

وصفت في مشاهد الحق ذاته، أجهل أتباع الشيخ العارف يافه عبد القادر الجيلي بن

وفان الشيخ الشرفلوي: كان مقامه الصادق لا حاله، فكان في العالم مجهولاً؛ تمكنه من مقام الصادق مع الله، بقيض الشيخ عبد القادر فإنه كان محققاً متمكناً في حال الصادق، فظهرت على يديه الخوارق، وكان مشهوراً في العالم رضي الله عنهما لما سمعا في زمانهما مثل الأول في مقام صادق، ولا مثل الثاني في حاله، فالصادق الذي هو حق إلهي لا يكون إلا لأهل الله تعالى، والصادق المعروف عند الناس سار في كل صادق من مؤمن وكافر، وهو ظل الأول كظل الشمس بالنسبة له. انتهى. انظر الكواكب الدرية (١/٦٤٥)، وشرح المحكم الكردية (٨٩) بتحقيقنا.

(٢) رواد البحاري (٤/١٧٦٨).

ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يهرح أحدهم بكثرة تحجير شيخه عليه، ومعه مما هواد معه كحس الهبة وبطاقة الثياب، ومعه من محالسة أصحاب شيخ آخر، وهد عمامته وتعميمها على غير مراده، ومنعه من وضع جنبه إلى الأرض ونحو ذلك. وكل مريد تكثر من شيء من ذلك فهو كاذب في دعواه الإرادة، وربما بالغ أحدهم وكره شيخه ومارقه وصار يحط عليه في المجلس.

وقد كان الشيخ عيسى الدين رحمه الله تعالى يقول: يسعى للشيخ أن يأخذ من المريدين أشد احذر، ولا يريهم إلا سياسة تامة، فإن أكثرهم كادبون، وليحذر من أن يتركهم يحالسون أصحاب شيخ آخر، فإن المصرة في ذلك كثيرة واقعة، والنفس من شأها الخيانة إلا من حفظ الله أخذ مريده مع مريد غيره، فحصل منه رحر له، فتحول عنه إلى ذلك الشيخ فمقت.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على أقرانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التجرد عن الدنيا، ولا يمسك أحدهم منها إلا ما لا بد منه من خرقه يسر بها عورته، أو كسرة يسد بها جوعته، وفروة يدفع بها ألم البرد، ونحو ذلك، وهذا ما درج عليه الفقراء سلفاً وخلفاً، فإذا كمل حالهم فإن شاعوا وأجمعوا الدنيا وصرعوها في مصارفها، وإن شاعوا ناموا على التجرد، ومقام الغفر إلى الله تعالى بجميع الناس كلهم، وقد بسطنا الكلام على ذلك في المتن الكبير في مواضع.

وملخص ذلك أن المريـد لا يكون صادقاً في تجرده عن الدنيا إلا إن وصل إلى حد الصدق، وذلك أن يصير يشترح بضيق اليد. وينقص لسعتها، ولا يكون ذلك إلا بجذب إلهي، أو بالسلوك على يد شيخ ناصح.

فاعرض يا أخي هذا على من يدعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الخروج من مخالفة الأئمة، فيأتوا بعبادتهم على أكمل ما يقدرون عليه من مراعاة الخلاف، ولا يقتصرون على العمل بمناهيهم، وربما فاتهم العمل بأحاديث كثيرة لم يأخذ

ها إمامهم، وكل قولٍ أو فعلٍ لم يبين الشارع ﷺ رتبته في الوجوب أو الذب عبادة على وجه التأسّي، مع قطع نظرهم عن جعله واجباً أو مندوباً، ويكفيهم التأسّي برسول الله ﷺ في ذلك، وأثبته على بية الوجوب كان أفضل، لكن ليس لهم أن يأمرُوا أحداً به فيصنعوا على الأمة.

وكان أخي أفضل الدين رحمه الله لا يدع عنده قط شيئاً لعب من دراهم أو طعام، ويقول: إن أباً در وغيره من أصحاب الصفة كانوا يرون تحريم الادخار فلا يحافهم، وكان يثب الوصوء في شدة الرد، ويمسح رايضه كله. ويرتكب الأشد في الأعمال حتى كان يتوصاً من النوم متمكناً، ولا يعصلي بعير وصوء إذا نام متمكناً أبداً. وكان يقول: الرخص ليست لأمثالنا.

فاعرض ذلك على من يدعى الصديق من إخوانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عص البصر عن النظر إلى زينة الدنيا، وإذا لبس أحدهم مصربة جديدة أو صوفاً جديداً لا ينظر إلى ذلك خوفاً من المقت.

وقد لست فاطمة رضي الله عنها مرة حلة فأعجبها، فأمر رسول الله ﷺ بسزائها، وصلى اثني عشر مرة في كساء له أعلام، فنظر إليه فأعجبه فتركه تشريعاً لأمنته خوفاً أن يصير لهم بمنله فتشه، وإلا فاعتقاداً فيه ﷺ أنه لا يشعله عن شيء من الكويين.

فاعلم يا أخي ذلك، واجتنب لبس كل ما يميل إليه النفس، ولا تشبه بالكُمُل من الرجال إذا لبسوا الملابس الفاخرة؛ فإنهم ما ساعوا بفوسهم بلبسها حتى تساوى عندهم المخرات، وعلط المشاق في غلو شها ورحصه وحسه وحقارته، فإن وصلت إلى ذلك فالبس مثلهم.

وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى يقول: المریدون في لباسهم على قسمين: منهم من يلبس الحرقة، ومنهم يحكم الوقت من سعة اليد وصيقها، والذي يلبس لأخرته هو من يلبس ما يستر عورته، وتقية من الحر والبرد، مما لا قيمة له ولا نص، كشراميط الكيمان، والذي يلبس يحكم الوقت فعلاصة صدقه أن يلبس ما لا يعيبه.

وقد كان أويس القرني^(١) يكتسي من حرق المرائل، والذي يلبس يحكم الوقت فعلاصة

(١) نه مقام قديم في العراق، وموقفه مشهد محترم قديم من بقاء المتقنين، بروره المسلمون كثير؛ ويرون

بركته. وقد حُرِّب كثيرًا، واشتهر في بلدنا أن كل ولد يكون سيء الأخلاق، قبل الاسم، كثير الأسقام، يروى هذا المقام الشريف بهذا ويرى ما أن الله تعالى سريًا، وبكفي سرًا، ومحرًا لشرف هذا المكان ما ورد في الخبر عن نبينا ﷺ: «خلفي من هذه الأمة أويس القرني».

وعن أبي هريرة ع قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب من حلفه الأصفياء الأتقياء، المشقة رؤوسهم، المعرة وجوههم، الخميصة بطونهم، الذين إذا عابوا لم يفقدوا، وإذا استأدوا عسى الأمر لم يردنهم، وإن حطرو المصنات لم يحكوا، وإن طعموا لم يفرح بظلعهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، قالوا: يا رسول الله، وما أويس القرني؟ قال: أشبه ذو صهوة بعبد ما بين المكين معدل إقامة آدم شديد الألفة، صارت بقلبه إلى صدره، وأم بصره إلى موضع سجوده، وأصع يديه على شائه، يكي عن نفسه ذو ضربين: أي توبين خلقه لا يؤبه له: أي لا يبالي به ولا تقتل إليه مقرر دار صوف. ورداء من صوف محمول في الأرض معروف في السماء أو اسم على الله ذكره، إلا وأن يحب مكته الأيسر بعة بقاء إلا وأنه إذا كان يوم القيامة قبل للصادق: ادخلوا الجنة وقيل لأويس: اشفع مشعته الله تعالى في مثل عدد ريعه ومضرب يا عمر يا علي إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكم».

ولقد اجتمع به السيدان عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما في السنة التي مات فيها عمر ع. انصبا معه بأراك عرفات وهو يرعى الإبل، وعمره بالأوصاف، وسأوه الاستغفار لهما بعد أن سلما عليه فرد عليهما السلام، وقال: من أنتم؟ قال علي ع: أما أنا وعلي ع. من أبي طالب، وأما هذا فعمر بن الخطاب أمير المؤمنين، فاستوى أويس ع. فأنما، وقال: جراكم الله تعالى عن هذه الأمة حبرًا، قالوا: وأنت جراكم الله تعالى عن نفسك حبرًا، فقال له عمر ع: مكانك رحمتك الله تعالى حتى أدخل مكة، فاسك بعقة من عصائي وفصل كسوه من ثيابي، هذا المكان ميعاد بي وبيلك، قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بي وبيلك، فعرمني ما أصعب بالعقة ما أصعب بالكسوة، أما ترى عني إردًا من صوف ورداء من صوف؟ متى تراني أحرقهما؟ أما ترى أن علي ع يخلصني متى برمي أنبيهما؟ أما ترى أني أحدث من رعايي أربعة داهم متى ترمي أكبيها؟ فلما سمع عمر ع ذلك صرب بذكره الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تده أمه، يا ليه كذب عقينا لم نعالج حبسها إلا من يأخذها بما فيها: يعني الخلافة، ثم قال: يا أمير المؤمنين حد أنت هاهنا حتى أحدها هاهنا، فذهب عمر ع. ناحية مكة، وساق أويس إليه فوافي القوم فأعطاهم إياها، وخلق الرعاية، وتقبل على العبادة حتى لحق بالله ﷻ.

ورأيت في كتاب بحر لأسباب أنه: «قد قل نصفين بالقرب من البيرة مع مولانا أمير المؤمنين عني ع أبي طالب ع. وقره الشريف هناك مشهور بمرار في سنة ستة وثلاثين من الهجرة، وعشبه أمير المؤمنين وده بيده الشريعة، وله ع. هذا المقام في يندبا المشهور بمقام السلطان أويس القرني، فلهذا ﷻ قد تعبد فيه أياها، والله أعلم.

والظاهر أن لقب السلطان له مأخوذ من قوله ﷻ في حق خير التابعين، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن سيد بن جبير، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أن

صادقه أن يلبس ما لا يعبه عليه العلماء، ولا يزدريه لأجله السعفاء.

قالوا: ولا يفي للمريد أن يتعرد عن الدنيا بالكيفية، بحيث يصير كلاً على الناس يطعمونه ويكسونه، كالنساء مع القوائم عليهم، فإن ذلك من رذالة الهمة.

وقد ذكرنا في كتاب ((المنن الكبرى)) أن شخصاً من المخترعة جاء يزور سيدي إبراهيم المتبولي^(١)، فأعجبه الفقراء وترك حرفته، فقال الشيخ: لم تركت حرفتك؟ فقال: دخلت النراوية رأيت بومة عمياء في طرفة النراوية، ورأيت صقراً بأيتها كل يوم بقعة لحم تأكلها.

قلت أنا الآخر: أتوكل على الله وأجلس مع الفقراء.

فقال له الشيخ: لأي شيء تجعل نفسك بومة لا تجعلها صقراً، فتأكل من كسبك وتطعم منه غيرك، فتأكل ذلك الشخص، ورجع إلى حرفته. انتهى.

فاحذر يا أخي النظر إلى صوفك الحديد وجوحتك الحديدية على جاري عوائد الهوام، فإن ذلك يحري إلى الممات، ونه إخوانك على مثل ذلك، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أهم لا يأكلون ولا يشربون إلا عند شدة الجوع والعطش، وكذلك لا ينامون ولا يتكلمون إلا عند الضرورة، وبذلك يثابون ثواب الواجب.

فإن الإنسان إذا اضطر إلى شيء من المباحات صار معه واجباً عليه.

وأبى مرتبة المباح من مرتبة الواجب، فعلم أن كل مريد أتى المباحات من غير

رسول الله ﷺ قال: «حر الثابطين رجل يُقال له: أُويس، يأتي عبيكم في امتداد أيمن لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستعفر لك فافعل».

فلما قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يستعفر له حديث بطونه. وروى الإمام أحمد في الزهد عن الحسن البصري رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة شفاعاً رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر قال الحسن: هو أُويس القرني رضي الله تعالى عنهما. وفي حوش هذا المقام الشريف قبور كثير من السادات الحسبية والأكارم [الأشرعة] رحمة الله تعالى عليهم أجمعين. وانظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/١١١)، وأحلية (٢٩/٢)، وشهيد التهذيب (١/٣٨٦)، ولسان الميراث (١/٤٧١)، ولا تنسار بموصلي (ص ٥٤٠) بتحفيهما.

(١) كان من أصحاب المدوثر الكبرى في الولاية. ولم يكر له شيخ إلا السي ﷺ، وانظر: أحاربه ومنايه المنظمة في الطلقات الكبرى (٢/٧٧)، وأخلاق المتولية للمصنف.

ضرورة فهو مترخص، لا يجئ منه شيء في الطريق.

وقد كان سيدي عبد القادر الجيلي رحمه الله معنا به يقول:

ربما كنت أمكت في بدايتي السعة أشهر وأكثر لا آكل ولا أشرب لعدم الضرورة،
ومكثت مرة سنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام، ولا أصح جسي على الأرض، ولا أمد
رجلي.

وما كنت أتذكر الطعام إلا إن حضر بين يدي.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصديق من المريدين تعرف حاله، ولا تنس
نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تفتش أحدهم نفسه كل ساعة؛ لينظر إقباله على حصرة ربه سائر أوقاته. فيجد في
العمل ويريد فيه، فإن الله سبحانه وتعالى لا يظهر حتى يشهده بقلبه إلا في العبادات التي
فرضها لا غير، ولا يظهر قط لعدو في مكروه أو مساح أصلاً، إلا إن فعل المساح بنية
صالحة، فيسعي للمريد إذا عرف من نفسه التلبس عليه ألا يقل ما تلقى به، بل يسأل
عن أحواله من يعرف أنه يصححه ولا يداهيه، ثم يقل ذلك الأمر الذي تبه له بحكم
الجرم، ويقول لنفسه: اقبل هذا الصبح من هذا الأح الصاخ، ويكثر من توييحها.

فعلم أن كل من لم يقد نفسه كما ذكر، أو لم يقل قول من يصححه من إخوانه فهو
منافق ككتاب على الطريق.

فاعرض يا أخي هذا الأمر على غالب المتمشقين من أهل عصرك نجده عاشاً
لنفسه، وإن وقع أن أحداً يصحبه ويش له نفسه عاداه وحرره، وإن شككت في قولي
فحرب وانصح شيخاً منهم بحصرة نلامته فيها هو مرتكبه من محبة الدنيا وشهواتها،
وانظر ماذا يقع لك من جماعته، وما هكلا المريدين الصادقون، رحم الله من أهدي
لأي عيوي، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عده رؤية أحدهم نفسه على أحد من عصاة هذه الأمة، بل يرى نفسه أمسق الناسقين
دائماً سرمداً، ويحصى عن نقائص الناس صلة واحدة.

ومنى رأى نفسه مساوية لأحد من إخوانه في الدين والتقوى فقد أساء الأدب، وخرج
عن طريق الإرادة.

وكان سيدي عبي الخواص رحمه الله يقول: لا يصح لمريد قدم في طريق الإرادة يرى

أن كل بلاء نزل على بلاده سب ديوه هو، وأن ذنوب الناس كلها معصورة إلا ديه. انتهى.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على المتمشحيين في أهل زمانك تعرف صدقهم وكذبهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

وعن أخلاقهم:

عدم تصدرهم لإزالة مكرات عصرهم؛ لأن ذلك إما هو من وطائف الأشباح لمعرفتهم بطريق السياسة، وعدم خوفهم من الوقوع في الإعجاب إذا رآوا المكر بخلاف المريدين؛ فإن أحدهم جاهل بطريق السياسة، وعدم خوفهم من الوقوع في الإعجاب إذا رآوا المنكر، ويدخله الإعجاب بذلك، ويشغفه عن الله تعالى ولا سيما إن حصل له بسبب ذلك صرب أو حيس أو جرح في جسده من جلد السلطان، وقد عدوا مثل ذلك من دساتس إبليس.

حكى لي شيخنا سيدي علي الخواص رحمته، أن جماعة من المريدين أقاموا في ساحة، فكانوا يحصدون بالأجرة، ويعملون من عمل أيديهم، وقيهم حي من الذكر، وكان إبليس كلما قرب منهم يكاد يحترق من أعباسهم، فلما عجز إبليس منهم وموس لجماعة من العياق فصرخوا بعضهم حتى أدموهم والمريدون يظفرون، ثم وسوس لهم أن ذلك حشر يعتدي عليه، وهو أفضل مما هم فيه، فحبسوا بهم، فهو أفضل لكم، فتركوا المجلس وقاموا للعياق فأدموهم كذلك، وكان مقصود إبليس منهم أن يقطعوا مجلس الذكر لا غير. فاحذروا أيها المريدون من ذلك، فإن عوائل الشيطان كثيرة، ودساتسه أخفى من ديب المل.

فاعلم ذلك، واعرض ما قررنا لك في هذا الخلق على مدعي الصادق من مريدي زمانك تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

وعن أخلاقهم:

ألا يتكدر أحدهم من عدم إدد شيخه له بالدخول عليه في بيته أو حلونه، وكل مريد أحد في نفسه من الشح إذا سعه من الدخول عليه مفتته الله تعالى. وقد وقع لي ذلك في بعض المريدين الذين خرجوا من تحت التربية، فحاء إلى باب داري، فوجد انياب مردوداً، فرجع مفتوئاً، فمكث نحو شهرين لا يجتمع بي. وظهرت أمارات المفت عليه، فطرت إليه فوجدته نزل إلى دون الخالة التي كان أتى عليها من بلاد الريف من نحو عشرين سنة، ولم أعين اسمه لكونه معروفاً بين أصحابي.

وعاب عن هذا المريد أن الشيخ مأمورٌ بأن يكون له خلوة لا يدخلها إلا الخواص من أصحابه، ومأمورٌ أيضاً بأن يكون له رابطة تحصى عموم أصحابه دون الأجانب من أبناء الدنيا، ثم بتقدير أن الشيخ قال له: ارجع يا منافق لا تدخل علي، فيحب عليه تأويل ذلك على أحسن الوجوه، ويقول: إن الشيخ ساني منافقاً، وما ذلك إلا لنفاق مبي، فإنه صادق بلا شك، فيصير يفتش نفسه ليعرف صفات النفاق ويتوب منها، هذا الواجب.

وأما التكثر من نسبه إلى النفاق فهو عين النفاق.

فأعرض يا أخي ما ذكرته لك في هذا الحق على حال من يدعي الصديق تعرف ما له مقام، ولا تفس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أمر أحدهم كنه جذاً لا لعب فيه ولا مرح، وإن وقع من أحدهم شيء من ذلك عوقب عليه في المسامح لأن عمل المريد في بدايته دائماً إنما هو فيما فيه من نواب أخرى، ولا تكاد تجده في لعب ولا غيبة ولا سهو عن فعل شيء من الأمور التي تقر به إلى الله تعالى.

وقد وقع لي أني قلت مرة كلمة مصحكة من حال تدريس العلم، فرأيت نفسي تنك اللبنة مع خلوص المعاني، وأنني مرافقه في سفر من مصر إلى أن أشرنا على الهلة الكبرى، فاستمطت مرعوباً من ذلك؛ لأنني خلصت مع الشرع ما لا يلبق أن يُذكر معه، وسافرت إلى ورائي لا إلى قلبي، إن انحدرت عن مقامي، والكلمة المصحكة إلي قلت لما فرأ علي: يستحب أن يكون المؤذن أميناً، فقلت أنا: لاسيما إن كان بجانب المنارة امرأة جميلة فاسقة، ربما غمزها من المنارة وغمزته.

كما حكى أن امرأة كان يسها وبين مؤذن أماراً، وهي أنها إذا قال المؤذن في تسبيح الليل: لا إله إلا الله، وكان زوجها عندها تقول كذلك: لا إله إلا الله حاصر ناظر، فيعرف بذلك المؤذن. فيمتنع عن الجيء إليها، وإذا قالت: لا إله إلا الله، مسحانه ونعالي يعلم المؤذن أن زوجها عائب فيأتيها، وكانت تنصده بقولها: (تعالى): أي يا مؤذن تعال فإن روجي عائب، فلما حكيت هذه الحكاية ضحككت الجماعة، فهوتت في المسام على ذلك، وقبل لي: تحبط مع تقريرك للشرعية غيرها، فمن ذلك اليوم وأنا أُنحرر من ذلك.

وقد أجمعوا على أن كل مريد حبط جداً بهزل، لا يجيء منه شيء في الطريق، فإذا كان في مثل هذه الحكاية التي ذكرناها من أن فيها نصحاً ونحذيراً للإخوان، فكيف بالعبية والنسبة ونحوهما. نسأل الله العافية.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على إخوانك، ولا تسر نفسك، واخمد الله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم تاجرًا أو يفرح كلما حسر، ويعنه كلما ربح، إلا أن يكون المال لغيره. وذلك لأنه كلما حسر فقد قرب من الفقر وصيق اليد، وذلك من صفات الأولياء والصالحين، وكلما ربح قرب من صفات الخبارة والعاصين، تعلم أن كل فقير ادعى الصديق في حمة الطريق وحزن لموات شيء من الدنيا فهو كاذب.

ويقع لي بحمد الله تعالى أنه يصيق صدري كلما دخل علي شيء من الدنيا، وأشرح كلما منع الله عني شيئًا من الدنيا، فأشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك.

وقد وقع لنسبحنا الشيخ نور الدين الشوي^(١) أنه دخل عليه مال من بعض التجار، فاشترى به قمحًا للتجارة موسوم كله، فباعه بأقصر من رأس ماله، قال: فرحت بذلك غاية الفرح، وعلمت بأن الله تعالى لم يرد مني الاشتغال بأمور الدنيا. انتهى.

وكذلك ما أحبرني الشيخ الصالح عمر النشيتي^(٢) المكشوف الرأس أنه حصل له من بعض الولاة نحو ثلاثمائة دينار، فأعطاهما لشخص يتحرر نه فيها يسره وبين الله سبحانه وتعالى. فمجدها وصار يقول: يا مسلمين، الشيخ أبو شوشة مكشوف الرأس يدعي علي باطلا بثلاثمائة دينار. (يش بقي في الدنيا حبر، إذا كان هذا الصائم الدهر يدعي باطلا، فكيف بغيره؟) فدار مدينة الخانقاه كلها وهو يقول كذلك حتى حرمست، قال الشيخ عمر: فتركت مطالعته من ذلك اليوم، وعلمت أن الله سبحانه وتعالى ما أراد لي الدنيا، فله الحمد على ذلك. انتهى.

وكذلك وقع لي أنا وولدي عبد الرحمن بأن أحد شخص من ومنه حسنة دينار،

(١) الشوي: سنة إلى شوي من أعمال العربية. نشأ معروفاً عن النهو، ويحتج وهو حتى رابع أول مجلس لصلوة علي النبي ﷺ وذلك بمسجد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنهما - ثم انتقل إلى القاهرة وأبنا مجلس صلاة علي النبي بالجامع الأزهر تحت سح وبصر لعملاء المحققين. وعنه انتشر في جميع الأنظار. وهو أحد شيوخ المؤلف، ومن الأقطاب الوراثين. توفي سنة ٩٤٤ هـ عندهما الله به. وعرف بالصب، وأخيه هو مجلس الصلاة على النبي ﷺ. وصريح الشيخ بهصر، يرار قدس الله سره، ونور صريحه.

(٢) قال الشيخ المصنف: أحد أصحاب سيدس أبي العباس العمري، وكان من الرجال المعبودة في الساندة، وكان صاحب همة، يكاد يقل عنه في قضاء حاجة الفراء، توفي سنة سبع وتسعمائة، ودفن في بيت في رلويه، وله أجمع عليه غير مره واحدة، فدعا لي بأن يسري الله بين يديه في اقامة. وانظر: الطغيات الكبرى (١١٤/٢).

كما جمعها على اسم الخج يسا وبين الله تعالى، فادعى أن الله تعالى أذهبها كلها من بين يديه، وصار يقول: فلان وولده ظلموني، ونفسهما عندي حق، فأما الثلاثمائة التي تعبق بي فسامعته بها في الدنيا والآخرة، وأما مدوس الولد فحسبه، ووصل منه إلى غالب حقه، فليمرح المرید الناجر كلما ناجر وخسر، فإن الله تعالى أراد به الخير، وكل مرید تكسر خسارته في الدنيا فقد تودع منه في الطريق، وهو من أبناء الدنيا لا من أبناء الآخرة. فاعرض يا أخي ذلك على نفسك وإخوانك تعرف حالك وحاجهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مأذرتهم إلى السعي في إزالة الخجل من جلسهم إذا وقع في شيء يحمله، كما إذا كثر اللغو واغذيان، فقال شخص من القوم وهو في وسط الحكاية: الفاتحة يا جماعة، وذلك بأنا نقرأ الفاتحة ثلاث مرات وأكثر، وبكلمة كلامًا طيبًا ثم سأله الدعاء، فيقول في نفسه: لو كانوا ضجروا من كلامي ما قرأوا الفاتحة أكثر من مرة، ولا سألوني الدعاء، وهذا خلق ما رأيت أحدًا من أقراني يراعيه. فاعمل يا أخي بذلك؛ ليعاملك الله بظهره إذا حصل منك ثقل لجليسك مع جماعة فيزيلوا طبعك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يطلب أحدهم من الشيخ أن يجيبه عن كل ما سألته عنه. فإذا وصف أحدهم لشيخه رؤيا وآها، أو مكاشفة كاشفها، أو مشاهدة شاهد بها أمرًا ما، وسأله عن مسألة ما من الشريعة، فلا يسمي له مطالبة الشيخ بالجاب ولو سألته: لأن شيخه حكيم الرمال، والمرید غليل محجوب عن رؤية ما يمتعه وما يصره، وربما كان ذلك الجواب يصر بالمرید، إذا اشتمل على أمر فيه تعظيم قدر للمرید، وربما رأى نفسه بذلك على شيخه، فسقط من حرمة الشيخ في قلبه بمقدار ما رأى نفسه عليه، ووقعت الإنابة منه عدم الانشاع بكلام الشيخ، وترك العمل بما يصححه، وإذا ترك العمل بما يصححه به وقع الحجاب والمطرود، وإذا وقع ذلك خرج المرید عن حكم الطريق، وأُعيد إلى أرض الشهوات، فمثل كمثل الكلب. نسأل الله العافية.

وكان سيدي يوسف المعجمي رحمه الله تعالى يقول: لا يسمي للشيخ أن يتكلم على ما يحكيه له المرید، أو يسأله عنه التثنية، وإنما يعطيه من الأعمال ما يدوع به ما في ذلك من المضرة أو الحجاب، ويرقيه إلى ما هو أشرف من ذلك.

فاعرض يا أخي ما قررتَه لك في هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حاجهم في الأدب مع الشيخ، ولا تنسَ نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يعتر أحدهم بطول صحبة الشيخ، ويرى نفسه انفصل ممن صحب الشيخ بعده، وأنه أرقى منه في المقام؛ لكثرة صحبته للشيخ وصدقه معه، لاسيما إن صار المريد القديم حطباً أو واعظاً، فما كل من سبق سبق، ويجب على المريد إذا صار له جاه في قلوب الخلق أن يحصل رحر الشيخ له بين الناس، وإخراجه من الخنفة، فإن جرى برجله فإن الشيخ ما أخرجه من محبته إلا لمصلحة تعود عليه، ومتى تكدر من شبحه لأجل ذلك فقد خرج عن الطريق، ووجب عليه تجديد العهد.

وقد قانونوا للشيخ ثلاث محال: مجلس العامة، ومجلس لأصحابه من المريدين، ومجلس للخواص منهم، كل واحد على أفراد، ولكل مجلس كلام يخص أهله متى سمعه من ليس هو من أهله أصراً بحاله، فأما مجلس العامة فيجب على الشيخ ألا يترك أحداً من المريدين يحصره، ومتى سامح أحداً من المريدين في حضوره فقد أساء في حقّه، إما الواجب عليه أن يأمره بالانحسار عنه على الأفراد، وذلك حتى لا يسمع العامة أو غيرهم شيئاً من رحره وتقريعه وتوبيخه، وأن الواجب على الشيخ ألا يفعل عن زحر المريد وتقريعه وتوبيخه، وبأن أن الأمر الذي هو عليه حال ناقص عن مقامات الرجال، ونسبه على زياده منه ونقصها؛ لأن لا يختص برؤية محاسن نفسه.

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى يقول:

من شرط الشيخ إذا جالس العامة ألا يخرج عن نتائج المعاملات من الأحوال والكرامات، وذكر ما كان عليه أهل الله تعالى من المحافظة على آداب الشريعة، وأحكامهم إليها ونحو ذلك، انتهى.

وأما مجلس الشيخ مع خواص المريدين فنشرطه: ألا يخرج عن نتائج الأدكار والخلوات والمراقبات والرياضات.

وإيضاح السبل إلى طريق المجاهدة إلى المسات، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا لَنَا لَسَنَزِيدُهُمْ مَسْئَلًا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فاعرض يا أخي ما قررتَه في هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولعلك تتحد أكثرهم بتعبير مه كل شعرة إذا رحره شيخه من الجلوس معه، وربما صار ينقص في المجالس بسبب ذلك، وربما كان الشيخ حال رحره للمريد عن الجلوس في وقت لا يسهه

فيه غير ربه **يُخَلِّقُ**، وصاحب هذا المقام يرحر السلطان ولا يبالي به، فاعلم ذلك، ولا تس نفستك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم قناعة أحدهم بما حصل له من الحضور مع الله في غالب أوقاته، ولا بما حصل له من التوكل والتسليم، وغير ذلك من الأحوال في المقامات، فإن الأمر بداية ما تم فيه نهاية. وقد كان سيدي إبراهيم المتولي **رحمه** يقول: لا يكثر تعظيم أحدكم نفسه، وإنما يرى نفسه دائماً صغير اليد، قدمه ومتاعه من إمداد ربه **يُخَلِّقُ**.

وكان يقول: لا يعتر أحدكم بما حصل له من الحضور مع الله تعالى في عبادة وترك ما سواه، فإن ذلك ليس من طبع النفس، والآخر مثلها، أن ما هو أمر عارض عرض لها، وربما رجعت إلى طبعها من الغفلة والحجاب في أسرع من لمح البصر، فعلم أن كل مرید لم يتعقد نفسه في كل ساعة ولحظة فهو بخدوع، ولو كان من أكبر المشايخ فصلاً عن المریدين.

قال تعالى: **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَنَّ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَنَّ الْخَيْرُ مُنُوعاً** [المعارج: ١٩، ٢٠، ٢١]، وكل رديلة في النفس قد أبان فيها أن الفصائل فيها مكتسبة لها، ليس هي في جبلتها، ومعلوم أن الأمور المكتسبة سريعة الذهاب من رهد وورع وإقبال على عبادة، وغير ذلك.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مریدی عصرک تجد غالبهم يفتح بأدنى شيء يحصل له في الطريق، ثم بعد مدة يسيرة يتحول ذلك عنه، ويصير مسئولون من كل حبر، حتى يظهر عليها لوائح المغت، سأل الله العافية، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة العمل على حلاء مرأة قلوبهم من الصدا المانع من كمال محبة الله **يُخَلِّقُ**، وذلك حتى لا يمل أحدهم من كثرة الأوراد وسهر الليالي بين يدي ربه **يُخَلِّقُ**، فإن كل من تغلق بالسهرة وكثرة الأوراد فذلك دليل على محبة الله **يُخَلِّقُ**، وأن عنده بقية من صفات أعداء الله سبحانه وتعالى، ولو كان أحدهم يحب الله لكأن محالسته تعالى ألف سنة عنده كلمحة، ثم الدهر بكمال محبة الله **يُخَلِّقُ**، وهو محبة المرید نشيحه وسهره معه الليالي، فإنه مرتبة إدمان للمرید، فيقول: كيف أيام وشيحي مهرا! فلا يزال كذلك حتى يصير يقول: كيف أيام وربّي لا أيام! فيكون يومه عليه بعد ذلك، فيصدق الله تعالى لا يقص له به رأس مال. فاعلموا ذلك أيها المریدون، والحمد لله رب العالمين.

كما يشهد به واقعة موسى مع الخضر عبيهما الصلاة والسلام، وأن موسى عليه السلام ما أنكر إلا لما علم أن الله سبحانه وتعالى أباح له ذلك؛ لأنه معصوم من الله، معذور فيما لم يعلم أن الله تعالى أباح له ذلك.

فكل مرید عرت نفسه من العقبة المنكر عليه فهو جاهل، لا يحسن منه شيء في الطريق لمعاداته لحملة الشريعة، الذين هم هداة الناس، لاسيما إن كان لم يتحرر في العلم، كغالب مریدين هذا الزمان الذين يتلمذون للأشباح من غير علم بالشريعة، فإن كراهته لأهل العلم من علامة مفتت الله تعالى له، كما عليه طائفة فقهاء المطاوعة وبعض فقهاء العجم.

مقولون: الفقهاء محجوبون عن الله، والحال أنهم هم المحجوبون ولكن لا يشعرون. فاعلم ذلك يا أخي ونش نفسك، ربما كنت أنت الآخر تكره الفقهاء المكربين عليك، ثم تصير تلهتهم وعدحهم رياءً وفاقاً، واعلم يا أخي أن الفقيه ما أنكر عليك إلا ما خالفت فيه ظاهر الشريعة بحسب مقامه، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يترك أحدهم درجة في جنة الأعمال إلا وله فيها نصيب، وذلك بالأدع شيئاً من فعل المأمورات الشرعية إلا فعله، ويفعل ولو مرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فمن لا عمل له لا يدخل جنة الأعمال، كمن خلق مجنوناً أو مهلولاً، وإنما يدخل جنة الاحتصاص والممن.

فإياك يا أخي أن تكتفي بوع واحد من العبادات، أو أنواع وترك كثيراً من الأعمال، فتحرم كثيراً من الدرجات، فاجتهد أن تكون قارئاً ذاكراً مهلاً، مشتغلاً بالعلم، كناساً للمساجد، قاصباً لحوائج الناس، حافراً للقبور والأبار، وفاداً في المسجد، إماماً، طاحاً، طحاناً، عحائلاً، رراغاً، حرناً، وهكذا، فلا يحقك عن فعل شيء من ذلك إلا عدم قسمه لك والكسل والتكبر.

ومن هنا قالوا: إن شرط المرید ألا يوجد إلا في عمل حبر، فتكون أوقاته كلها مصورة به.

فاعرض يا أخي ذلك على مدعي الصدق من مریدی عمرك تعرف حاله، ولا تسب نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقيهم:

الأحد بالمال الحسن، وترك التطير تأسيًا برسول الله ﷺ؛ فإنه كان يحب المال الحسن لأمره كالشئ من الله ﷻ؛ إذ لا يعلم أحد ما في عنده تعالى حقيقةً. لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وهذا الخلق قليل من يرعيه، لا سيما من علب عليه شهود السوابق من المریدين، فلا يشوا أي فائدة في سماع المال، ولا يعلم أحد ما في علم الحق، فيقال له: إنما يهرح بعد المال الحسن طلبًا لخصول ما يحب من حضرة الإطلاقات التي يفعل الحق منها ما يشاء، ومن وقف مع السوابق فعل الأمر بالنداء. وكثيرًا من الأحكام، وهو مثل من علم أن السماء فوقه والأرض تحته فوقف عند ذلك، ولم يتعد إلى عجائب ما فيها. انتهى.

وقد بلغنا أن رجلاً قرع باب الشيخ أبي مدين رحمته، فرج إليه ولم يكن في بية الشيخ

(١) هو سيدنا العوث، مصعب الأديب، من أعاجيب مشايخ المغرب وحضور المغربين، وشهرته تعني عن ترجمته. مات بلمسان ودُفن بها، وقد باهر الثعابين وقبره ثم طاهر الرار، وكاد سب دعوته تلمسان أن السلطان لما أتبعه خبره أمر بإحصاره من بجاية ليتبرك به، فلما وصل إلى تلمسان قال: ما لنا وبسلفنا خمسة بزور الأخوان، ثم برل واستقل العبة وشهد، وقال: ها قد جئت، ها قد جئت، وعجلت إليك رب لترضى به [طه: ٨٤]، ثم قال: الله أخي ووصي روجه.

قال الشيخ أبو الخناح الأقصري: سمعت شيخنا عبد الرزاق يقول: نقيت أبا العباس الخضر رحمته سأله عن شيخنا أبي مدين فقال: إمام الصديقين في هذا الوقت، وكان رحمته حنبلاً طريفاً متواضعاً راعياً ورعاً، محققاً مستملاً على كرم الأخلاق، واجتهد المشايخ على تعظيمه وإجلاله، وتأذّبوا بين يديه.

ومن كلامه: ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها. وكان يقول: الخلق من الأنس والشوق فاقد الخيرة.

وكان يقول: إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.

وكان يقول: الفخر نور ما دمت تستره، فإذا أظهرته ذهب نوره.

وكان يقول: الحضور مع الله جنة، والعبادة عنه نار، والقرب منه نعمة، والبعد عنه حسرة، والأنس به حياة، والابتعاد عنه موت.

وكان يقول: الإخلاص أن يقرب عنك الخلق في مشاهدة الحق تعالى.

وكان يقول: من نظر إلى السموات بطرة إرادة وشهرة حجب عن العرة فيها والانتفاع بها.

وكان يقول: من عرف أحدًا لم يعرف الأحد، والحق تعالى ما كان عنه أحد أي من حيث العلم والقدرة، ولا اتصل به أحد أي: من حيث الملكات والصفات.

وكان يقول: من لم يصلح لمعرفته شغله برؤية أعماله، ومن سع منه بلغ عنه.

وكان يقول: من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقته بدعوته إلى ذلك فهو مفتون، وكل من رآته

أن يدخله بينه في ذلك الوقت، فقال له: ما اسمك؟ فقال: أحمد.

الفائدة: من سادات القوم، ثم إن أكثر من يقع في مثل ذلك من أكثر من مطالعة كلام القوم من غير شيخ، ويحفظ حكاياتهم، ويرغم أنه صار صوفيًا، فمجرد ما يقف على باب التوحيد يقول: أنا وصلت، ولو أنه كان له شيخ لأحد بيده، ورفاه إلى مقامات الرجال.

فاعرض يا أخي ما قرراه لك على مریدی عصرک تعرف حاجهم، ولا تسب نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم كثير النظر في أخلاق شيوخه؛ ليتأسى بما فيها من رعب وورع وخشوع وقناعة وتقوى وسليم وصبر وغير ذلك. ولا يهمل أخلاق شيوخه، فلا يتحقق منها إذا مات شيخه يصير حكويًا، يقول: كان شيخنا كذا، وكان يفعل كذا، ويقول كذا، فيقال له: ماذا اكتسبت من شيخك؟ ولا يجد عنه اكتساب شيئًا، وهذا الحال قد فشى في غالب أصحاب مشايخ هذا الزمان، ثم إنه مع عدم انتفاعه بشيخه الذي يرغم أن الزمان ما بقي ينجف مثله، يفسد نفسه، ولا يصير عنه تطاوعه أن يتلمذ لأحد ممن لقبه أن يشتمه شيئًا من روائع الطريق، فيا حسارة مثل هذا يوم يقوم الأشهداء، وتكشف أحوال أهل الدعاوى، فالعاقل من تدارك ما فاتته من شيخه على يد شيخ آخر، ولم يفسد نفسه.

فاعرض يا أخي ما قررته لك على من يدعي الصادق من مریدی عصرک، ولا تسب نفسك، ولعلك وإخوانك لا تنكس لكم نفس أن تأخذوا على أحد بعد شيخكم الذي لم ينتفع أحد منكم به، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين.

مع الله يدعي حالاً لا يكون على ظاهره منه شيء فاحملوه،

وكان يقول: من قطع موصولاً بربه قطع به، ومن أشعل مشعولاً بربه أدركه المفت.

ومكث سبعة في بيته لا يخرج إلا للجمعة، فاجتمع الناس على باب داره، وطلبوا منه أن يكلّم عليهم، فلما أكرموا خرج فرأى عصابة على سارية في النار، فلما رأوه فرّجوا فرجع، وقال: لو صلحت بلعديت عليكم لم تفر مني، ثم رجع وجلس سبعة أخرى، ثم جاءوا إليه فخرج فلم يفر منه الطيور، فتكلّم على الناس، وراى الطيور تصرّب بأجحتها وتصق حتى مات منها طائفة، ومات رجل من الحاضرين بمكته. انظر في ترجمته: طبقات الشعمري (١/١٣٣)، والاشعار للأولياء الأحياء للموصلي (ص ٤٥١) شحيقاً.

ومن أحلاقهم:

أن يريد في محبة كل من راه يحب شيخه، وذلك ليرفقا إلى محبة كل من يرويه يحب ربه ويعظمه، فإن كل حرب لا يعظم إلا من أحب محبوه، وبذلك تعرف مقامات الرجال عند الله تعالى، بحيث قام التعظيم لله تعالى في قلب عبد من عبيده، كأنما من كان، وحسب تعظيمه وتجبيله وإكرامه.

ومن ما عظم بعض الصالحين بعض العوام أكثر من تعظيمه طلبة العلم، لما قام عبد ذلك العاصي من التعظيم لله سبحانه وتعالى، وقد كان شخص من حلبة الوالي اسمه الحاج أحمد ينام عددا في الزاوية سبع عديدة، ثم بعد ذلك تحول وصار ينام في محراب أكثره، وكان عارفاً، فقلت له: يا حاج أحمد، ما حملك على الخروج من الزاوية؟ فقال: سعت شخصاً من المهاجرين يحرر منه ربح وهو نائم، فحمت أن يحرر مني ربح كذلك في بيت الله وأنا نائم، فأسى الأدب، ثم لم يزل ينام في ذلك إلى أن مات رحمه الله.

فاطر يا أخي تعظيم هذا لبيت ربه، مع أنه من حلبة الوالي، وأحد المهاجرين يحرر الربح يلاً وسهلاً لا يخطئه فضلاً عن النوم، ولا يرى ذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، فالعاقل من أخذ الأدب والحكمة من أي من جاء بها.

كذلك وقع لي لأسي كنت أسمع وردني بالسبحة الكبيرة، فوضعتها بعد ذلك على البساط، فراها الحاج علي المشرقي أحد أصحابها، فأمرني أن أعلقها في مسمار في الحائط، وقال لي: عظم ما تذكر اسم الله عليه، فإن وضع السبحة في الأرض يعرضها لمس بعض أقدام الماشين، وذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، فكذلك علقها في المسمار، وازدادت محبة في الحاج علي المذكور من ذلك اليوم، فإنه قد مر على هذه السبحة حلائق من طلبة العلم وهي على الأرض، فما قال لي قط واحد منهم: ارفع هذه السبحة من الأرض، كما أني أنا لم أعتد لذلك إلا حين سبني الحاج علي المذكور، فحراه الله عني خيراً.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حاضم. ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

إذا صاب الوقت من قراءة كامل وردهم الذي فيه صلاة على الرسول ﷺ، أو استغفار للمؤمنين والمؤمنات، وذلك لأن العبد ولو علمت رتبته يحتاج إلى ما يعدي مقامه، ولا هكنا مقام الحق جل علاه فإنه عني عن عادته وعن ذكرهم، وعن تحميدهم له.

في هذه الية يا أحيي قدم قراءة الصلاة على رسول الله ﷺ على ذكر الله الخاص به، وإيضاح ذلك أن الله عيور لا يحب يرى في قلب عبده الملوس حجة لعبيره، إلا أن يكون تسلك الهمة لأجله تعالى، كمحتسا الأسياء والأولياء مثلاً إنما هي لكثرة حجة الله تعالى هم، فإن اطلع الحق جل وعلا أن محتسا للأسياء والأولياء مثلاً إنما هي لأجله، راداً قرينة وحجة. فلاحظ يا أحيي هذه الحكم في حجة كل شيء يبدل لك إياه، فلا تحب شيئاً إلا إن رأيت فيه مرصاة ربك، وهذا حق عريض قل من يتخلق به، فاعرضه على مردي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحذر أحدهم من مباسطة شيخه له، وإطعامه الطعام معه، وتكليمه الكلام إخلو دون غيره، فربما كان ذلك من الشيخ امتحاناً أو اختباراً، فإن قلوب الفقراء كقلوب الملوك لا تملك، فيساعون بأكثر الكثير، ويواحدون بأقل القليل، وكذلك ينبغي لأحدهم الحذر من شر الشيخ الدرهم التي تأتيه من الركاة مثلاً في صحب الراوية بين الفقراء، فإنه إنما يفعل ذلك ليظهر للمريدين هوان الدنيا عند الفقراء حتى لا يراحموا عليها، ويعرف بذلك حال من يادر إلى النفاط تلك الدرهم كالأسد، ومن يأتي إليها على هيئته، ومن يتركها ولا يقوم لها تعقفاً، ومن يتركها ولا يقوم لها تكبراً، وفي قلبه الهمة لها، بحيث أنه يود أن أحداً أعطاها له من غير قيام لها، فيكره المرید على حذر من مثل ذلك، فقد مفت خلق كثير باعتراضهم على شيخهم في شره الدرهم على الأرض، وفولهم لو أنه أعطى لكل إنسان نصيبه في يده كان أولى، فإن رسول الله ﷺ قد سبى عن النهب، ونحو ذلك من الكلام الذي طعن على الشيخ، وعاب عن هذا المحقوت أن النهي إنما هو في حق من يؤدي بعضهم بعضاً حين الالتقاط، وهذا الأمر معقود في حق غالب الفقراء، فيؤدي بعضهم بعضاً.

فقال الشيخ: إنما هو ليؤدب من يؤدي رفيقه؛ ليظهر ما في مكنون سره من دعوى الرهد في الدنيا، وعدم الاكترات لها أن الشيخ امتنع أصحابه بما شاء لشرح أصعابهم، ويظهرهم من خبايا الأخلاق.

فاعلم يا أحيي ذلك، واحذر منه أب وأقرانك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كراهية تقبيل الناس لأيديهم إذا خرجوا إلى السوق وغيره، وكراهة نزول الناس لهم عن دوابهم إذا رأوهم، ونحو ذلك لعلية دهم وحقارتهم عند الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن

خفقه، ولكراحتهم مراحة الحق تعالى في مشاركته الخلق له في مسمى التعظيم، فهم يحبون أن يكون التعظيم كله لله تعالى لا لعناده، وربما مقتوا من قبل أيديهم، أو برل عن دأته لأجلهم غيرة لله سبحانه وتعالى، وانتصاراً لجنايه، ولا تعتقد يا أحي أن أحداً من الفقراء الصادقين يشرح لتعظيمه أبداً، ثم إن هذا دأب الفقراء ما لم يتمكنوا في مقام العبودية، فإذا تمكنوا فيه صاروا يسمون الناس من التعظيم لهم بقلوبهم من غير لفظ ولا إشارة، فيخرج أحدهم إلى السوق وعيره، ولا أحد يسأله الدعاء، ولا تقبل يده، ولا يبرل له إن كان ممن في اختيارهم في احبارهم، فلم يصير له ميل، ولا دفع لشيء.

كان الشيخ أبو يزيد (دا) خرج إلى السوق يراحم الناس على الشيع برفقته، ولامه بعض أصحابه في ذلك، فقال: إهم لا يتركوا بأبي يزيد، وإنما يتركوا بخلعة الله عني. انتهى.

فمثل هؤلاء لا اعتراض عليهم؛ لعدم المقصد لجلب شيء أو دفعه، فيقتل الفقير نفسه، فإن لم يجد عنده داعية فليحمد الله تعالى وإلا فليستغفره.

فاعرض يا أحي ذلك على من يدعي الصدق في عبة الطريق تعرف حاله، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يشرح أحدهم بالرؤيا الحسنة التي يراها أو ترى له، إلا إذا كان على وفق طريق الاستقامة، فإن كان مرتكباً ذنباً من الذنوب وإنما يكون ذلك استدراجاً.

وقد قالوا: أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس.

وقالوا: كرامات أمثالنا إلى الإثم أقرب، ثم إن هي خلت من الاستدراج، فلا ثقة ببقائها عليه، ثم إن وثق بدوامها فهي خلق الله وحده لا تعمد له فيها.

وأما فإن الرؤيا الصالحة إما تأتي تأييداً لصحيح اليقين لتربده في البقاء على دبه، وكذلك الترهيب والترهيب لا يكون إلا لأعصى القلب، وأما من كشف الله عن بصيرته فلا يحتاج إلى شيء يبعثه على الطاعة، ولا إلى شيء يقوي إيمانه، فعلم أن كل من كثرت له المراتي الحسنة فليحذر منها؛ لأنها مؤدية لصعف إيمانه، وكذلك فلة كرامات الصحابة بالنسبة لمن بعدهم لقوة إيمانهم.

فإنهم ذلك، واعرض يا أحي ما ذكرته لك على مریدی الصدق من المریدین تعرف حاله، ولا تسن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا تلقى أحدهم ذكرًا على الشيخ أن يدوم على ذلك الذكر ليلاً ونهاراً حتى يقع له الفتحة، ويشعل قلبه بنار التوحيد والمعرفة.

وهذا الأمر قل أن يقع لأحد من مريدي هذا الرمان، فربما ينقش أحدهم فحمت نار شوقه بعد ثلاثة أيام، ولذلك صار الشيخ يلقب المريد كذا كذا مرة.

وقد لقيت مرة فقيراً من البررة من جامع الأهرم. وكان مجازاً بالتدريس في مذهب الإمام مالك، توهب كتبه كلها للناس، وانقطع عني يذكر الله سبحانه وتعالى على باب داري في حصص ستة أشهر لا يعمل ليلاً ولا نهاراً، ثم وقع له الفتحة، ثم مات بعد ذلك بثلاثة أيام، فهذا من أعرب ما رأيته من صدق مريدي هذا الرمان، فأنه يرقى وإخواننا انصدق لله تعالى آمين، فإن هذا صفة الصادقين، وأما من يلتفت إلى شيء آخر غير ما هو مقبل عليه فهو كاذب.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرى أحدهم كل ما أمره به شيخه من الذكر أو المراقبة، أفضل من سائر الفضائل التي لا يأمره بالاستعمال بها، وذلك ليحذر في السير من غير النقا إلى أمر آخر، ولو كان أفضل مما هو فيه عند قوم آخرين، وليحرم في نفسه أن انشج ما حوله عن الاشتغال بذلك الأفضل إلا لما رآه فيه من الآفات التي تطرق الخلق، ولو أنه رآه سالماً من الآفات في ذلك لأمره به، وحرم عليه العدول إلى الموصول من حيث أنه عش ونطويل عني المريد في الطريق، ثم أكثر من يقع في مخالفة الشيخ في هذا الأمر طلبة العلم، فيصحب أحدهم الشيخ العشرين سنة وأكثر فلا ينتفع. وذلك لأنه على الضد مما يقول له شيخه، ويعزم أن كل ما يأمره به شيخه موصول، وما يشتغل هو فيه نفسه أفضل.

فاعرض يا أخي ذلك عني من يدعي الصديق من المريدين تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يتخلق أحدهم بالرحمة على العالم كله، حتى يسود أنه لم يكن في العالم شقي أبداً، وهذا وإن كان محموداً في البداية فهو جهل بأحكام الله تعالى، والله سبحانه وتعالى أرحم بخلقهم من والديهم، وهو الذي أحد باصينهم إلى أعمال أهل الشقاء، فالرحمة للمخلوق حد.

لا تعداه، ولكن التكامل من يرجح مراد ربه على مراد نفسه، ولا يطلب أن يكون العالم كله سعيداً بهوى نفسه، فإن الناس إنما يدخلون الجنة برحمة الله لا بأعمالهم؛ لأن أعمالهم كلها خلق الله تعالى، وليس لهم فيها مدخل إلا من حيث كونهم محلاً لظهورها على جوارحهم، فسواء عند التكامل رادت المعاصي على الطاعات أم انعكس الحال، وإنما بأمر الناس ويحثهم على الخير امتثالاً لأمر الله له بذلك فافهم.

واعرض يا أخي ذلك على من يدعي انصدق من مردي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون أحدهم حادثاً يعرف نفاسة كلام شيخه، ولا يحوجه إلى تركية نفسه أو كلامه، كما يقع في ذلك أعمى القلب من المريدين الكذابين، وربما زكى الشيخ نفسه بحصرة من لا حنطة له بأهل الطريق، فيكر على الشيخ، فيخرج موقوفاً لا يصح في الدنيا ولا في الآخرة.

وقيل: إن المريد إذا كان حادثاً لا يحوج شيخه إلى تركية، وأن الشيخ إذا كرر مسألة على مردي، أو قال له: احفظ مني هذه المسألة التي لا نجدتها عند غيري، وإنما ذلك لكونه راد متساهلاً بها، لا يعرف هامستها، فأراد الشيخ بتلك التركيبة باب الاعتناء بها. فاعلم ذلك، واعرضه على من يدعي انصدق من المريدين، ولا تنس نفسك. والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يدخل أحدهم على شيخه إلا لأجل شئئين:

إما الخدمة له، وإما طلب إرشاده إلى ما فيه صلاحه، فمن لا خدمة عنده وطلب إرشاده، فدخله على الشيخ سوء أدب، لاسيما إن سحب سبخته وسبح عليها بغير إذنه، فإنه ربما مقت. كما وقع ذلك لمريد يوسف العجمي رحمه الله.

وقد أجمعوا على أن أقل ما يفعل الفقير مع الشيخ من الأدب أن يُعظم ويُحترم، كما يُحترم السلطان، لا يدخل عليه أحد بغير إذنه، ولا يمسه أحد مسحته بغير إذنه. فاحترم يا أخي شيخك؛ فإنه عوان حالك مع ربك، ولا تنجح لمن رخص في ذلك، فإنه عش لث.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي انصدق من مردي عصرك، فإن رأته يتكبر من شيخه إذا زجره ومقته حتى يدخل عليه بغير حاجة فاعلم أنه كذاب في دعوى

عجة الطريق، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا واطب أحدهم على مجلس الذكر ألا يرى له بذلك مقامًا على من لم يحضر ذلك المجلس إلا من حيث ذكر الله تعالى لا غير، بل الواجب على كل عبد أن يرى العصل لله تعالى الذي أهله لأن مجلس بين يديه، ويحاسب المخلصين لله تعالى من المشايخ والملائكة، الذين يحضرون مجلس الذكر.

وهذا الخلق يقع في محالته غالب من لا قدم له في الطريق، ويقول في نفسه: لولا حصوري لطل هذا المجلس، فيحذر الفقير من مثل ذلك، ولا يحصر مجلس الذكر إلا خائفًا من الله تعالى، كالمهرم إذا أتوا به إلى الوفا ليغافقه، فهو يحاف من العقوبة، ولا يرجوه أو يخلع عليه.

فإنهم وانعرض هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي زمانك، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عرض أحدهم صحيفته على شيخه كل يوم، ولا يكتم عليه شيئًا، وذلك لأنه أمين عليه من جهة الله تعالى.

ومنى كتم عنه شيئًا من أحواله حياةً منه فقد عثر نفسه، فإن الأشباح لا يردون أحدًا بجريان أقدار الله تعالى فيه، فإن العبد عاجز عن رد أقدار الحق تعالى التي قدرها عليه.

وكان بعضهم يقول إذا أحس بوقوعه في مخالفة: اللهم إني نادم بحري عن رد أقدارك النافذة في، فاغفر لي وسامحتي. انتهى.

ومن فوائد عرض المريد صحيفته على الشيخ تحفيظ وقوعه للحساب يوم القيامة، فإن الشيخ نائب عن الله تعالى في مناقشة المريد، ومحاسنه في دار الدنيا، فإن رأى العقوبة أصلح له عاقبه، وإن رأى الشهادة حير له شمع فيه ربه تعالى، واستعصر الله له، وكل من كتم عن شيخه زلة فيما طول حسابه وقت يتجاوز الحق عنه!

فعلم أن الصادق هو من لا يكتم عن شيخه شيئًا من نقائصه وعيوبه بالعكس.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يرجع أحدهم باليوم على نفسه إذا خرج للفقير عن شيء من ثيابه مثلاً، ثم يرجع إليه ثانياً، فيقول لنفسه: لولا علاقة محبتك لما حرحت عنه أولاً، ولم يرجع إليك ثانياً، ولو كنت صادقة لم يرجع إليك بوجه من الوجوه.

وقد أرسلت مرة صوفي ومروني إلى السوق، فعرهما شخص من الخبث، فأعطى القيب شهما ووهبهما لي. فرددت الثمن عليه فلم يرص، ثم بعد ذلك أرسلتهما أيضاً إلى السوق لاشتري للعميان هما شيئاً من الخبث، فصادفهما عب أيضاً فمدهما أيضاً، وأعطى الثمن للفقراء، حتى وقع لي ذلك خمس مرات، ففتشت نفسي فانهمتها أن عندها علاقة في محبة الشهوة بالإثارة، فحلفت أني ما عدت أخيهما بوجه من الوجوه.

فاعرض ذلك على من يدعي الصدق يا أخي من المريدين تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

لا يقرضون أحد بنية طلب الفرص، إنما يعطون المحتاج ما طلبه، ولا يحدنون أنفسهم بأنهم يأخذون منه عوضاً في الدنيا والآخرة؛ إذ الخال الذي عند كل عبد إما هو الله حقيقة، والعبد كالوكيل لصاحب المال، فيعطي كل محتاج بقدر ما أشار به السيد، ولو اتهم المقرض بعد ذلك بالعوض لا يأخذونها منه لأنفسهم من مال لعبيد الله أبداً، ثم قدما قريباً أن رجوع العوض للفقير من علامة وجود علاقة في نفسه، لذلك الأمر الذي أعطاه، وأنه لو صدق لم يرجع إليه عوض أبداً.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ترك الالتفات إلى وراء إذا مشوا في طريق الظاهر والباطن، وإذا التفتوا لحاجة التصوّف جيئاً إظهاراً لمقام أخيه، ووفاء حقه، وإظهاراً للعلاقة والحاجة إلى ما التفتوا لأجله من حوائج الدين.

نادى رجل أباً بكر الشسلي رحمه من حلقه فلم يجه، وقال: أما علمت أن الفقراء لا يتفتون إلى وراء لغير ضرورة، ولا يحبون من ناداهم من خلف الصفا، كل ذلك لتعني همتهم بما أمامهم من دوام السير إلى حصرة الله تعالى، شوقاً إلى أهلها، كما يجد المسافر في السير إذا قرب من معالم بلاده شوقاً إلى وطنه وأولاده وزوجاته.

فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك،
والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التصدق عفتاً بقلوبهم على جميع عباد الله تعالى بأعراضهم ودمائهم وأموالهم، ولا
يظلمون أحداً بشيء في الدنيا والآخرة بالأشباح وأصول انشراح معصده هذا الفعل، فإنه
من باب النعم ومكارم الأخلاق، وقد ورد النص في ذلك، وهم الذين يكون أجرهم على
الله سبحانه وتعالى.

وفي الحديث أيضاً مرفوعاً: ((لا يستطيع أحدكم أن يكون كافي صميم. كان إذا
أصبح يقول: اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك^(١))) انتهى.

لكن لا يحصى أن التصدق بما ذكر لا يصح إلا من جاب حق الله، أما من جاب
حق الله تعالى فلا يصح عنه، فإن على كل من استعاب الناس إنشأ رائداً على الإثم الحاصل
بالصرر للمعتاب، من حيث أن المستعيب تعذى حدود الله بعد هبه عنها.
فعلم أن كل من تكدر من كلام الناس فهو لا يشم رائحة لأهل الطريق، فضلاً عن
كونه يقع في أعراض من اغتابوه.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول (إذا مات له عدو يجرن عليه، ويدعو
له بالمعرة والرحمة ويقول: لا إله إلا الله، مات من كان يحصل لنا على يديه الخير من
حيث حصلنا الأذى منه، وإن لم يقصد هو ذلك).

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك،
والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عده الإرداء لأحد من خلق الله تعالى؛ لأنه من شعائر الله، فالدرة الصغيرة كالعرش
العظيم من حيث أن خالقهما واحد وهو الله تعالى.

وكان سيدي علي الخوانساري رحمه الله تعالى يقول: لا يردري أحدكم شيئاً من
المخلوقات إلا تبعاً للحق تعالى، فإن الله تعالى لم يردده حين خلقه.

ومن شأن الكامل أن يعلم ما عظم الله، ويحقر ما حقر الله، فيقدم الخير على الشر،
والأدنى على الكتب، والعدل على الماسوس. وما أشبه ذلك. مع علمه بما الأمر عليه في

(١) رواه المصنف المقدسي في المختار (١٤٩'٥)، والذهبي في المردود (٣٩٥:١).

الباطن.

وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله يقول: لا يكمل الفقير في مقام العرفان حتى يحسن إلى كل بر وفاجر وباطن وصامت وظاهر وبحي، تحلقاً بأخلاق الله تعالى. ونقد حدثني الوجه المقدس بمدينة منطية أنه كان بمدينة بحاري وال طالم، مركب يوماً فرأى كلباً أجرب يرعد من البرد.

فقال لبعض علمائه: ارفعوا هذا الكلب، وأحسن له ودعاه من الشرد ودهنه، فلما كان الليل نودي في منامه: يا فلان كنت كلباً فوهبك للكلب. فانظر يا أخي كيف أثر ربي هذه الرحمة بهذا الكلب، فكيف برحمة الفقراء والمساكين؟

وفي الحديث: «(في كل كبد حواء أجرب^(١))».

واعلم أن المريد الصادق لا يدرى أحداً من الظلمة، ولا يستبعد وقوع الرحمة لأحد منهم، فربما يكون لكل فعل لم يدموم كرامة، أو يكون الله تعالى يعمرهم كلما أذنبوا أولاً فأول.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من شرط الفقير الصادق أن يستعظم ذنبه، ويستغفر ذنوب الناس. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مرهدي عصرك تعرف حاهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين. وعن أخلاقهم:

ألا يفتح أحدهم باب التصبر لقضاء حوائج الناس إلا بعد فراغهم من خديب نفوسهم، وكمال رياضتهم. ومعرفتهم بطريق السياسة، وكل من تصدر لذلك قبل كمال رياضة نفسه فهو طالب رئاسة في غير محمها، وفي ذلك من التعب والرباء والعمى ما لا يحصى.

وكان سيدي إبراهيم المتولي رحمه الله يقول: ربما تصدر العبد لقضاء حوائج الناس قاصداً بذلك نشر الصيت وإنشاء الحميل، لاسيما إن عكف أصحاب الخواص على بابه وخدموه، وأهدوا إليه أهذا وقيلها، فإنه يهلك ويرداد غروراً، وتقول له نفسه: لو لا أنك مخلص في ذلك ما عكف الناس على بابك، ولا خدموك هذه الخدمة، وربما لامة أحد من

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٢٢).

إخوانه على ذلك، فيقول: أنا لا اختار لي مع الله تعالى.

وقد أجمع القوم على وجوب تقديم تحليص نفسه من الشوائب على تحليص غيره، وإن كان كل منهما واجباً.

إذ الفريق لا يطالب بإنقاذ غيره من الفرق إلا إذا خلص من الفرق.

وكان الشيخ محيي الدين رحمه يقول: من تصدّر لقضاء حوائج الناس قبل تحليص نفسه من أسر هواها، وسحرية الشيطان بها فهو مقتول؛ لأن كل عمل لا يراذ به وجه الله تعالى فهو كالماء المتور، وقال رحمه: ((من أخذ يكلم في سبيل الله، والله أعلم بمن تكلم في سبيله^(١)))، فاعلمنا رحمه أنه ليس كل من قتل صف القتال يكون مقتولاً في سبيل الله عند الله.

فاعلم ذلك، واعرض ما قلناه لك على من يدعى الصادق على مريدي عصره تعرف حالهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

القناعة باليسير من الدنيا سواء كان دراهم أو أكلاً أو شرباً أو ملبساً أو يوماً أو لعمراً أو جماعة، ويحرم ذلك، بخلاف أحوال الأحرار فلا يقتصرون منها باليسير الحديث: ((لا يشبع مؤمن من خير^(٢))). وقد عذ القوم القناعة من الدنيا بوقوف العس، كلما رزقت من غير تشوق إلى زيادة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يكمل المؤمن في مقام العبودية حتى يشهد أعماله كالحياء، وإن كانت كالجبال من حيث الكثرة.

وهذا الخلق قد صار نادراً في مريدي هذا العصر، فاعرضه عليهم تجد غالبهم لا يشبع، ولا يقتنع من الدنيا، ولا تسر فاعرضه على نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الشكر على الصراء كما يشكرون الله على السراء، ولا يتعبد أحدهم من ثوب يعطيه لأحد إلا على طهارة.

وكذلك من أخلاقهم: ألا يحلقوا شعراً ولا يقصوه، ولا يقصوا أظفاراً إلا على طهارة؛ عملاً بحديث السلائكة الكرام الكاتبين في فوهم: (أنبأهم وهم يصلون وتركاهم

(١) لم ألق عليه.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (١٨٥/٣)، والذهبي في الفردوس (١٦٣/٥).

وهم يصلونهم).

ومعلوم أن صلاة كل شيء بحسب ذلك الشيء، ولا تصح الصلاة من شيء إلا على طهارة. كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب ((المنش الكبرى)).

وكذلك من أخلافهم: عصر البصر عن فضول النظر، والإسراع في المشي.

وفي الحديث: ((من أراد ألا يلحقه تعب في مشيه فليشد وسطه ويقارب خطاه^(١))). أو كما قال: وذلك أبعد عن الزهو والعجب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان لا يهتدي البرس صيفاً ولا شتاءً ويقول: إنه يكف البصر عن فضول النظر انتهى.

ومن لم يجد البرس فليرخي الطيلسان عن عبيه، بحيث لا يرى إلا موضع قدميه، ولا يكلم أحداً حتى يرفعه.

وكان على ذلك شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله^(٢)، كانت طيات عباءته يده حتى يكلمه ثم يرخيها.

فأعرض يا أخي هذا الخلق وما فيه على مريدي عصرك تعرف حالهم.

ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلافهم:

العمل على تنظيف قلوبهم من كل شيء يحجب عن الله تعالى حياة منه تعالى.

وكان سيدي عبي الخواص رحمه الله تعالى يقول: لا يبلغ أحد مقام الاستحباب من الله

تعالى حق الحياة حتى يطلع الحق في سريرته وحركاته وسكناته، فلا يرى شيئاً بكرهه.

وفي رواية أخرى: حتى يطلع الحق جل وعلا في قلبه، فلا يرى فيه رئاسة لغيره، ولا شوقاً إلا إليه، ولا حباً إلا لله، وفيه ومنه.

(١) لم ألف عليه.

(٢) هو شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري السبكي الشافعي، الفقيه المعاصر صاحب التصانيف

واسعة في علوم متعددة، أحد أركان الطريقين الفقه والتصوف، قال الشيخ المصنف: وقد خدمته

عشرين سنة بما رأيته فطمي عصبه ولا اشعاعاً به، لا يهني لا ليلاً ولا نهاراً، له. أسس المطالب في

شرح روض الطالب، أقتنى الأمل في السان والسميع والمعاني، أحكام الدلالة على تحرير الرسالة

الفشيرية، ونعمة الناري شرح امبحاري، والمصباح ونعمة الطالب، والنعمة العبية في المطالب

مصرية، وبلحيس الأربعة في أحكام الأدعية لبركشي، ورسالة في بيان الألفاظ الصوفية والبردة

الماتقة في شرح البردة العاتقة، والتكواكب الدرية في مدح خير البرية، حسنهم بتحقيقاً. وانظر:

المطامير الكبرى الشيخ المصنف (١١١/٢).

وفي رواية: حتى يطلع على مريوته فلا يرى فيها الثعالب فقيره انتهى.
فاعرض يا أخي ذلك على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

علما الرجاء عندما يريد سلطان القنوط أن يتحكم فيهم، وفي غير هذه الحالة والخوف لهم أكمل وأجمل.

وكذلك من أخلاقهم: الانفصاف، إذا رأوا منكراً في الشرع إثارةً لكتاب الشرع.
كما أن من أخلاقهم: التعامي عن عيوب الناس حتى لا يصيروا يعتقدون في المسلمين إلا خيراً.

وكان سيدي عمي الخواص رحمه الله يقول: لا يكمل الفقير في مقام الإرادة حتى يعمى عن مساوئ الناس كلها، فلا يشهد فيهم إلا خيراً، وذلك عنوان على أنه يصلح في الطريق، وكل مريد يشهد نقائص الناس فهو شر الناس؛ لأنه لا يشهد في الناس إلا صورة نفسه، ولو أنه كان نظف من الرذائل كلها، لم يشهد في الناس إلا خيراً.
وسمعه يقول: يحتاج المريد أن يكون له عيان: عين يطر بها في كمال الناس، وعين ينظر بها إلى ما وقع منهم من البدع والمعاصي، ينكرها عليهم.

فقد أجمعوا على أنه يجب على كل مسلم مشر عاقل الخلق، وسر مساوئهم إلا المستدعة، فإنه يجب على كل مسلم أن يعرف الناس أحوالهم؛ ليأخذوا منهم حذرهم من باب الرحمة بهم وبالمسلمين، فإن على المستدع ورر كل من تبعه ريادة على إلهه هو، وهذا معدود من حيلة إمالة الأدي عن الطريق؛ إذ لا فرق في الأدي بين إمالته في الطريق الظاهر أو الباطن، ثم إن أكثر من يقع في خيانة العمل بهذا الحق من لا شيع له من المريدين من أوائل دخوله الطريق.

فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصديق من أهل عصرك تعرف حالهم، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

طرح الميل إلى الكوثر بقلوبهم إلا بقدر الضرورة، بحيث لا يحجبهم ذلك عن شهود الحق جل وعلا في ساعته من ليل أو نهار.

وكذلك من أخلاقهم: إعطاء المحتاجين كل ما بأيديهم، مما يتركون منه إلا ما دعت ضرورتهم إليه، وكل مريد منع المحتاج بعير ضرورة فهو من أباء الدنيا، لم يشم من طريق

القوم رائحة.

ثم إذا بلغ مقام الكمال فله ميراث آخر خلاف هذا، وهو أن يقدم حاجة نفسه على حاجة غيره؛ الحديث: «(الأقربون أولى بالمعروف^(١))»، ولا أقرب للإنسان من نفسه، بل هي حقيقة ذاته، وما مدح الله المؤثرون على أنفسهم إلا تقوية لقنوعهم؛ ليخرجوا عن ورطة الشح، الذين فتحوا عيونهم في الدنيا عليه، فإنه من أفصح الصفات في المؤمن، فإذا خرج عن ذلك صار لا يرى أنه أثر أحدًا بشيء من رزقه هو، وأنه ما أعطى الناس إلا ما قسمه الله لهم، وإن لم يكن قسمه له لا يمكن أن يعطي غيره منه ذرة، وهناك يؤمر بالإنابة بنفسه؛ عملاً بحديث: «(ابدأ بنفسك ثم بمن تعول^(٢))».

فأما من قال الإيثار مطلقاً أفصل، والنداء بالنفس مطلقاً، فهو يبيع مقام الكمال. فاعرض يا أخي ما قررتك لك على مريدي عصرك تعرف مقامهم، ولا تمن نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

التعاضد عن كل ما للنفس فيه عرض طبيعي لا شرعي، كأأن يتناول شهوة غير شهود الحق حل وعلا، على حجة التمني والتعني والطلب لها؛ ليخرج من سبقت له تلك الشهوة بغير تعب ولا سؤال.

فإن مثل هذا له أكلها وتناولها، إلا أن يكون في مقام المعاهدة، أو في مقام توفير اللذة في مواطنها الخفية، وكان على هذا القدم الإمام عمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان، وأبو ذر وأضرابهم.

وورثهم في ذلك: عمر بن عبد العزيز، وعنة العلام، وبشر الحافي، وحساعة كسدي عبد العزيز الدبري^(٣). وسيدي عبد الله السوفي^(٤) والشبح عبد الحليم بن مصبح ونحوهم؛

(١) ذكره المجلوني في كشف الخفا (١/١٨٣).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (١/٢٤٦).

(٣) هو الشيخ الخارف الولي عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدبري الشافعي المعروف باندريسي (عز الدين، صبياء الدين، أبو محمد) مفسر، فقيه، متكلم، مؤرخ، واعظ، أدب. من تصانيفه مصباح السير في علم التفسير في مجدين، وطهارة القلوب، والمقصد الأسنى. وانظر: معجم المؤلفين (٢/١٥٧).

(٤) قال المصنف في الكبرى (٢/٢): هو سيدي الصالح العائد الراشد الأوحى صاحب الكرامات الكبيرة والتلامذة الأئمة. توفي سنة ٧٤٨ هـ، ودرس نجاة قبر قايساي بالقاهرة، وقد أوردته تليده خليل بالخرجة (أم الله لنا تحفيها).

فليس لمن هو في مقامهم أن يتناول شيئاً من طيات الشهوات.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمته الله يقول: الدنيا حرام على أهل الأحره، والأحره حرام على أهل الله عليه السلام انتهى.

فاعرض يا آحي ذلك على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يعملوا على تحصيل الحضور مع الله تعالى في جميع عباداتهم، ولا يعثرون بشيء لم يحصل لهم فيه حضوراً لأن ما لا حضور فيه عادة لا عبادة، والأمور العادية لا ثواب فيها، ولا تقرب إلى حضرة الله، فإن الله تعالى يقول نلتملائكة الكرام المكاتيب: اكتبوا عمل عبيد فلان، واكتبوا أين كان قلبه حال العمل لأخاريه بمثله انتهى.

ربما كان عمل العبد في عيه كالجبال الرواسي، ولا يتحصل منه فبراط واحد من أربعة وعشرين فيرطاً، وما كان كذلك فهو إلى الإثم أقرب.

وقول بعضهم: إذا حصر الصد في جزء من صلاته يشمع ذلك الجزء في بقية الأجزاء، فيقبل الله شفاعته فضلاً منه ورحمة من باب الترحيص، لا ترفي بها بإجماع القوم، ولا دليل على ما قلناه هذا البعض من كتاب ولا سنة، وأين مقام الحاضر مع الله من مقام العادل عن الله!

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لو فتش الفقير من نفسه لوجد عبادته طول عمره لا تساوي عبادة العارف بالله تعالى يوماً واحداً.

وقد قال أبو عبد الله الحصري للشبلي وهو مريد: يا أبا بكر إن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فلا تأتي؛ فإنه لا يجزيك شيء في الطريق.

فانظر تكيف الحصري لمريده بالحضور من الجمعة إلى الجمعة في صلاة أو غيرها، فكيف بمن لا يحصل له ذلك في صلاة من الخمس فضلاً عن النوازل، فعدم بما قرناه أن عبادة أكثر مريدي هذا الزمان لا ترفي فيها؛ لاشتغال قلوبهم بغير الله تعالى.

فاعرض ذلك على من يدعي الصادق من مريدي زمانك تعرف حالهم، ولا تنس

(١) هو سيدي إبراهيم بن أدهم البجلي الحارم الأحره العارف الأعزم، كان عمه المصنوع المردول داهلاً، والمردوع الوصول مشاعلاً، لقب بأمر الزهاد. ونظر في ترجمته: حلية الأولياء (٣٦٧ ٧)، واطلاقات الشعراية (٨١١)، والرسالة القشيرية (ص ٩)، صفة الصفوة (١٢٧: ٤)، واطلاقات السلمي (٢٧)، واطلاقات الأولياء (ص ٥)، والكواكب الدرية (١٤٢ ١).

نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

زيادة الاحترام لإخوانهم الذين لا نساء لهم ولا يد يقابلون به من يؤدبهم، فإن الله تعالى يكون حصناً لكل من أذى مثل هؤلاء، فإنهم كالآبائهم في حجب تربية الحق جل وعلا، فيأخذ لهم حقهم من خصمهم ولو لم يسأل الله تعالى ذلك، ومن كان من المرهدين يؤذي إخوانه بغير حق فهو عدو الله تعالى، وعدو الله كيف يدعي أنه يحب طريقه؟

فاحذر يا أخي من أن تؤذي من كان من إخوانك بهذه الصفة، فإن المقت أسرع إليك من السل إلى مشبهاء، ولذلك عدم فقراء الرواية المشاهير لإخوانهم النفع، وصحبوا أهواء أشباحهم حتى ماتوا، فلم يفتح على أحد منهم، ولو أنهم كانوا صادقين في طلب الطريق لعظموا كل من انتسب إلى الله تعالى، واكتفى بعلمه به.

فاعرض يا أخي ذلك على فقراء عصرك تعرف حالهم، ولا تس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

لبس المرقع من الثياب بالسبب الصالحة لا بقصد التميز عن الإخوان، ففي الحديث الشريف: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَشَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ»^(١). اللهم إلا أن يكون مع جماعة كلهم لابسين المرقعات، كجماعة سيدي عبد العزيز الديريسي، وسيدي عبد الله الموسوي وأضرابهم.

فمثل هؤلاء لا بأس بموافقتهم في لبس المرقع، ولهم في مثل ذلك مشاهد صالحة منها: إعلام الناس أن دينهم مرقع مرقع كل في سائر أقوالهم وأفعالهم، فليس لهم عمل صحيح كله أبداً.

ومنها: تخفيف المؤونة على إخوانهم إذ لم يكن لهم كسب يستترهم بين الناس، وقد كانت المرقعات صدقاً نحتة در، فصارت مدرّاً تحت فواحش وقبائح، لو أطلع عليها الناس ما سلموا على أصحابها.

ولقد أُنشد في ذلك الشيخ العارف بالله تعالى الخطيب ابن أحمد الميومي، فقال من جملة أبيات:

وأهنا نعللة إنساناً بـمام وقد صاح المشبُّ به يا صاح لو سعا

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢١٠/١٨)، وفي الأوسط (٧٢/٧).

حتى إذا زادت الآثام واجتمعت عليه فرُكِّست الأيام ما جمعاً
 يا من يُكاثِر بالدنيا وببك هل رأيت مالا غداً للميت متبعاً
 كم من فني قيد الدنيا ورفعها ثراه في النار يوم الحشر قد وضعاً
 له احتيال على جمع الحطام ولو من الربا وتراه يدعي الورعاً
 ويلبس الثوب قد خيطت به وقع وليس ممن لباب الله قد قرعاً
 فلو نظرت إلى مكتوب باطنه رأيت أحشاءه مملوءة بدعاً
 لو كان يعرف ما لبس المراقع لم يكن بتليسه قد دنس الرقعاً
 إن المراقع في أربابها صدف للدر من كدر الأغيار قد منعاً
 فإن أردت طريق الحق تسلكه فكن عن الميل للأهواء متخلفاً
 وانبط على السُّنة القراء بيهديك تكن ومن لأتار حير الرسل تبعاً
 إلى آخر ما قال.

ثم أعلم يا أخي أن السلف الصالح ما خاطبوا المرفعات اختياريًا، وإنما ذلك لصيق أيديهم عن الحلال، فلا تظن أنهم كانوا كفقراء هذا الرمان من الأحذية والبرهامية والسهروردية، وسحومهم ممن يقطع القماش الملون اختياريًا، ويحيطه بعد ذلك، فإن ذلك كله حظ نفس لا يزداد به صاحبه عن حصرة الله إلا إداريًا، وقد رأيت من صرف على مرقعة نحو أربعمائة ونصف، ولو أنه لبس هذا اثمن جوحة أو صوفًا لكان لفصل له وأحسن.

وقد عُدَّ أشباح الطريق لبس المرفعات من الموت الأخضر على النفس، مخرج من مخرج بلبس المرفعات، وقالوا: لا بد لكل مريد أن يموت أربع موتات: الموت الأحمر وهو مخافة الهوى، والموت الأبيض وهو الجوع، والموت الأسود وهو تحمل الأذى من الناس، والموت الأخضر وهو طرح الرقاق، فما عدوا ذلك موتًا إلا لمخافته الهوى نفوسهم، وأما إذا وافق هواها فذلك من جملة حظوظها انتهى.

وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب ((المنى الكبرى)) مراجعه.

واعرض يا أخي ما ذكرته هنا على مرهدي عصرك تعرف حاجهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا وسع الله عليهم الدنيا ألا يأكلوا الطعام الدسم اللديد أو الحلو مثلاً، ولا يلبسوا الثياب الفاخرة، ولا يطعموا الطعام المكلف نصيب، كذلك إن علموا من نفوسهم أن من صيغهم القيام بالشكر العادي، فإن علموا من نفوسهم العجز عن ذلك وجب عليهم في طريق المجاهدة أن ينعموا نفوسهم من ذلك.

وقد كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يخلط دفينه بالرماد نحو الثنت، ويقول: نحن لا نقوم بشكر.

وهذا الذي قررناه من شأن المرید ما لم يطنعه الله تعالى على ما قسمه له أو لصيغه، فهو مثاب على تركه الأكل والدسم له أو لصيغه، أما إذا أطلعه الله تعالى على ما قسمه له أو لصيغه فهو أدب آخر سيأتي بيانه في هذا الأحكام إن شاء الله تعالى.

ورأى إن الله تعالى قد ربي على أن يعمل عدي الطعام الدسم اللديد كل يوم لي ونصمي، ومع ذلك أتركه رحمة بي والصيف، وحة فيه، ويجبرنا عن القيام بشكره عادة، فإن من الواجب على من عرف في النعم لا ينام الليل لا شتاء ولا صيفاً، ولا يهمل عن ربه ساعة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: من طلب من الله الكثير من الرزق طاله بالكثير من العمل وبالعكس انتهى.

وكي يا أخي حادثاً، ولا تصيب درامتك في شيء آخره بيت الخلا، وما أبقى العقلاء في كل عصر إلا فيما يقرهم إلى الله تعالى، أو يقرب إخوانهم إليه، أما ما يجبروا عن أداء شكره فلا.

وقد كان الحسن البصري رحمه الله يقول: وددت أن أكل أكلة فتصير في بطني كالأجرة حتى أموت، فإنه بلغنا أنها تكث في الماء نحو ثلاثمائة عام انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مردي عسرك تعرف هذا تقوم به أم لا، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يبدل أحدهم وسعه في حضور القلب في الورد الذي جعله شيعه له من قراءة، أو ذكر وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فإن فتوحه في ذلك، ومن علامة بدل وسعه في الحضور مع الله سبحانه وتعالى في ذكر الورد أن يجد عبده داعية للاشتغال بحفظ بوجد. أو قراءة ورد آخر، فإنه لو بدل وسعه

ما وجد عنده داعية في ذلك الوقت، وذلك أن شيخه حكيم لا يحمله إلا قدر طاقتة. وبالجملة فقد عدم أكثر المريدين مع أشياخهم، وصار أحدهم شيخ نفسه. وأكثر ما يقع في ذلك فقهاء أطنال الراوية، فيقول الشيخ لهم: دعوا الأصفال بحدروا مجلس ذكر الله؛ ليحصل لهم جلاء باطنهم، فيعمر أحدهم الأطفال أن أقرأوا في الواحكم دون حضور الذكر، ويرجح رأيه على رأي شيخه، فكل ذلك معدود من جملة الحياة للشيخ، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحسنوا إلى الضعيف باطنًا وظاهرًا، وذلك بأن يطعموه الطعام الحلال الفقيل، لكن من لون واحد، وهيبات أن يجد أحداً لوناً واحداً من الحلال، وهذا الحق يحل به أكثر المريدين، فينون أحدهم الطعام لضعفه من الشبهات، أو الحرام عند أهل الورع^(١)، فيحسن إليه ظاهرًا وبسيء إليه باطنًا، ولو أنه كان أطعمه لوناً واحداً قليلاً من الحلال لأحسن إليه باطنًا وظاهرًا، فليتبس الفقير لمثل ذلك، ويراعي الإحسان إلى ضيعه باطنًا وظاهرًا دون أحدهما، وليعلم أن الإحسان إليه باطنًا مع غضب الضيف عليه أفصل من إساءته على الضيف باطنًا مع محنته له، فإنه إذا أساء إليه ظاهرًا أحسن إليه باطنًا وبالعكس.

ومن هذا الباب أيضًا: إخراج الطعام الكثير للضيف إذا عب على طبه أنه لا يقدر على رد نفسه عن الشبع المفرط، فهو كذلك إحسان للضيف ظاهرًا وإساءة إليه باطنًا، وكذلك تدعته الضيف بالعطاء أيام النساء هو إحسان له في الظاهر إساءة إليه في الباطن، إن كسل بذلك عن قيام الليل، ثم أنه لا يقدر على العمل بهذه الأخلاق إلا من خرج عن حكم الطبع، وكان أشفق على دين إخوانه من المسلمين من أنفسهم، وقيل من يحرص عن ذلك من المريدين.

فأعرض يا أخي هذه الأخلاق على مريدي عصرك تعرف حالهم، ولا تمس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحسنوا إلى كل من صحبهم من باطني وصامت، ويقومون بحج صحته، فلا يهتوا

(١) قال الشيخ المصنف: واعلم يا أخي أن عبارة الدين الورع عن كل ما سوى الله تعالى عنه، ولو نهى تنزيهه، ولا خير في عبد يكون لليل التمدد والورع الحديث البخاري وغيره مرفوعًا، وصح: «وَحَيْرٌ فِيكُمْ الْوَرَعُ» وانظر: الدرر واللمع للمصنف (ص ٣٢)، بتحقيقنا.

عندهم مثلاً إلا لس يحسن إليه أكثر منهم أو مثلهم، ولا لس هو دونهم من الإحسان إليه، ولو كان من أكثر المحالين لأعراصهم الأنقي عن طاعتهم، ولا يهوا شيئاً من ثباتهم إلا لس يكون أكثر طاعة لله تعالى فيها منهم، ومن وهب توبه إلى من يكون أقل طاعة لله تعالى مه فقد أساء في حق ذلك الثوب وذلك اللاس، فإن الثواب تشرف بلباسها إذا كان أكثر طاعة لله تعالى.

وهت مرة صومي الأبيض لعص إحومي الشعار، فجاءني في المنام وقال: أعطيني لشعبي يام جبا، ولا يقوم من الليل شيئاً، ولا يذكر الله تعالى والدار الآخرة إلا قليلاً، بعدما كنت أنتشرف معك بالوقوف بين يدي الله تعالى في ظلام الليل، والله ما كان هذا جزائي بعد صحتك عشرين شهراً، فاستبقت متأسفاً على كوني لم أحتش على من أعطينه ذلك الصوف قبل أن أعطيه له، هل يقوم الليل أم يام؟ وهل يطيع الله به أم يعصيه؟

وهت مرة أخرى حتي لعفيه أكثر عادةً مني، فجاءني الحنة وقالت لي: حراك الله عني خيراً في إعطائك لي هذا الرجل الصالح الذي لا يام من الليل إلا قليلاً، فشكرت الله تعالى على ذلك.

وقد ذكرنا في كتاب ((المن الكبرى)) أن من الأدب مع من لس شيئاً من ثياب العراء ألا يعصي الله تعالى به، ولا يحصر به في مواضع المعاصي، ولا يعتبه برميته على الأرض، ولا يعطيه لأحد بيع ولا هبة ولو بدل فيه أصعاف شنه. وأن الجسد أعطى الشئبي رحمة الله سواكاً، بدلوا له فيه ألف دينار، فهو أن يعطيه لهم فقال: قد يكون الحيد لله طوى لي فيه شيئاً من أسرار الله تعالى. وقد من الله على أصحابي هذا الأدب، فلم يعطه أحداً منهم لأحد شيئاً بما وهبته له، ولو بدل له فيه ما عسى أن يذل.

منهم: سيدي شرف الدين بن الأمير.

ومنهم: سيدي محمد بن الموفق.

ومنهم: سيدي أبو الفضل الحريري.

ومنهم: سيدي الشيخ شرف الدين الديصطي، والشيخ تقي الدين بن المقبول،

وسيدي محمد الحنفي، رضي الله عنهم.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مردي عصرك تعرف حالهم، ولا نس نفسك،

والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

ألا يسألوا الله تعالى الخعط من الخطايا إلا مع سؤال الخعط من الوقوع في العجب، ورؤية نفوسهم أهم خير من أحد من إخوانهم إلا على وجه الشكر.

وأما قوله ﷺ : ((اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس^(١)))، وإنما قال ذلك لأنه معصوم. لا يخاف العجب عن نفسه، وليس له ذنوب حقيقية، وإنما هي ذنوب أمته التي وقعوا فيه، فأصافها ﷺ إلى نفسه من حيث أنه هو المشرع والمبين لأمنته وتحريمها، ونو بيانه لها ما كانت ذنوبًا بل كانت بحكم المباحة، كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب ((الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق)) عن الأجوبة عن أكابر الحضرة الإلهية.

وكان سيدي عني الخواص رحمه الله يقول: قل أحد من الأمة يحفظه الله من الذنوب إلا ويقع في العجب بحاله، والإدلال على ربه، وبسير يستكر من ربه تعذيبه لو شاء الله تعالى، ويقول في نفسه: كيف يدخلني النار وأنا لا ذنب لي انتهى.

وكان أخي أفصل الدين يقول: من نعمة الله على المريد تعرفه إليه بالرخاء تارة وبالشدّة أخرى، وتقدير الطاعات له مرة، وتقدير المعاصي عنه مرة أخرى، وذلك لشكر ربه تارة، ويرضى بقضائه تارة، ويعرف فضل الله عليه من جهة حبه عليه، وعدم معاجلته بالعقوبة، ولأن ينفي العبد المؤمن ربه دليلًا خاصًا من كثرة الذنوب خيرًا له من أن يلقى ربه معجبًا بنفسه من حيث كثرة الطاعات، لا يرى لربه تعالى حجة انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على مردي عصرك تعرف حالهم. ولا نس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

عدم اعتراضهم على شيخهم وغيره من الفقراء إذا رآوه يعطي ماله أو ثيابه أو يطعم طعامه للأغنياء، ويترك الفقراء والمساكين في العري والجوع وصيق المعيشة، ويقول: لو أنه أعطى ذلك أو أطعمه الفقراء والمساكين لكان أفضل، فإن ذلك اعراض بالجهل.

فإن الله تعالى كثيرًا ما يعطي العبي الذي يملك الألف دينار المائة دينار ريادة على الأنف، ويدع الفقير والمساكين إلى جنبه لا يعطيه الدرهم الفرد، فإن الفقراء في ذلك قد بشأوا على الأخلاق الإلهية بحسب القصة، وليس معهم للمفقر عن جعل، وإنما ذلك

(١) رواد البخاري (٢٥٩/١)، ومسلم (٤١٩/١).

حكيمه رأوها، ولا سيما إن سألهم العي ذلك، فإن للسائل حقاً ولو جاء على فرس كما ورد، وقد يكون مع الفقير إنما هو لما أعطاه كشف من قسمة ذلك لعي دون الفقير، فيكون المؤدي أمانة لشخصي معين، وليس له دفعها لغيره، ثم لا فرق بين السؤال لهم بالحال أو القال.

فإياك يا أحي والاعتراض على شيخك إذا أعطى العي وحرم الفقير، واحمله على الحامل السنة، وقد كان يلاً يعطي الرجل العطاء إذا سأل، ويقول: ((أذهب بعطية يتأبطها نازراً، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، فلم تعطهم نازراً؟ فقال له: ماذا أصنع؟ يابون إلا أن يسألوني ويأني الله لي الجحل^(١))) انتهى.

فاعرض يا أحي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف هل سلم أحدهم من الاعتراض على شيخه إذا أعطى العي وحرم الفقير، أم وقع في الاعتراض بسببه وبقلبه وحاد عهد شيخه، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا كان أحدهم مشدداً في مجلس شيخه أن يكون بيته بالإشاد امتثال أمر شيخه فقط، لا يشكره الناس على ذلك، ويشهدوا له بالدحول. وليحذر كل الحذر من أن يكون عنده هجوم على الشيخ، أو مرآة عليه في الكلام، أو المرح حال مد السباط في الولاية وبحوها، فإن الأشباح كالسوك لا يؤمن مكرهم ولو صحكوا في وجه من أساء عليهم الأدب، وقد مفت خلائق من المنشدين في مجلس سيدي مدين، وسيدي أبي الحمايل، وسيدي محمد الشناوي، وسيدي إبراهيم المتولي، وماتوا على أسوأ حال، وكذلك مفت من المنشدين في مجلسي جماعة منهم الآن في أسوأ حال.

فإياك يا أحي من مثل ذلك ثم إياك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

حفظ الحاح لطلبة العلم الذين علمهم موضوع في نفوسهم دون أرواحهم، فإنهم أكثر وأكرعاً من أمراء الخابرة، وليس عندهم همهم نفس، ولا نواصب من حمص الخبح الممشنى إلى عيادتهم، والسلام عليهم إذا قدموا من سفر، ولا ينتظر الفقير أن يحيي أحدهم فيسلم عليه لكونه شيخ راوية مثلاً، فإن ذلك من حفة العقل، فإن أحدهم يرى

(١) رواه أحمد (١٦٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٣٨)، والحاكم في المستدرک (١٠٩١).
والمبهي في الشعب (٥١٩/٦).

نفسه أفضل منهم فكيف يطلب منهم أن يمشي إليه، وقد حج مرة شخص من طلبة العلم ولم يشعر به؛ لأنه لم يعلمني بسفره على عادة إخواننا معنا، فلم أبادر بالسلام عليه، فلا تسأل يا أخي ما وقع فيه من مرضي، مع أن حصة أمير الحاج لما رجع من السفر بلغه أنني عارمة على السلام عليه، فركب وترك الصاجق والخواشمة في بيته وجاعلي فسلم علي، وقال لي: أنا أحق بالسعي؛ لأنني عبدكم، فاطر كم بين مقام تواضع طالب العلم المذكور تعرف صدقي في قلبي أنه أكبر نفساً من الأمراء.

فإياك يا أخي أن تخل بحق أحد من أصحاب الأئمة، وتقول: نيس عليّ مه، فإياك تأثم بسلك في وقوعه في عرصك وعرض أهل الطريق، واحذر إذا ذهبت إليه أن ترى نفسك عليه في التواضع له، فإياك تصير بذلك أكبر نفساً منه. فاعرض ما قلناه لك في هذا الخلق على نفسك، ولا تنس إخوانك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يظهر أحدهم شيئاً من الأخلاق الشرعية التي اندرست بالدراس المتعاملين بها، لا لغرض صحيح، كقصد الاقتداء بهم فيها، أو إظهار نعمة الله بها عليهم، وبحر ذلك من الأعراض الشرعية، كل ذلك خوفاً من فتنة الشهوة بالخير دون الأقران، فإن فتنتها شديدة؛ إذ الغالب على من يتمير على أقرانه بالأخلاق الحميدة كثرة حسد الناس له، ومن لارم تحقر إخوانه إذا لرم من ذلك التحقير المذكور تحرك عندهم الوقعة فيه، وعمل السكائد، حتى ربما رموا بيته وبين حكام بلده، فتعاديته الولاة، وإذا عادوه اتبعوا سره، وأشغفوه عن ربه، وكفى بذلك فتنة.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: يجب على من يتميز على أقرانه بخلق عريب محمود أن يسأل الله تعالى أن يعمي عنه أبصار الحسدة وغيرهم؛ حتى يصير يعمل عالماً بالأخلاق الحميدة، ولا يتعطر له أحد مدة حياته، وذلك كالكرم والرهدة والورع. فيقول كلما أراد أن يظهر خلقاً غريباً: اللهم استرني بين عبادك. وقد وقع لي أيام الشتاء في سنة ثلاث وستين وتسعمائة، فرقت ثيابي كلها من أصواف وجوخ وحسب وقمصان على من له ررق فيها من الفقراء، وبعث بعضها واشترت به حباً للعميان وغيرهم، واستعرت ثياباً فلسستها، فجاعلي سائل قدم أحد له سوى عما مني، ففطمت له منها نحو الربع فاشتهرت بذلك في مصر، وقدمي أصحابي بذلك على سائر أقراني، ولو أي كنت سألت الله تعالى أن يسترني في ذلك لربما فعل تعالى بي ذلك ولم يشعر بي أحد.

وقد كان الواحد من السلف يأتي إلى بيت أخيه في عيته، فيخرج ما فيه من ثياب وضعام ويصرفه على المارين على باب الدار، فيأتي أخوه فيخرج بذلك، ثم يركي من شدة الفرح ويقول: ذكرتني يا أخي مما كان عليه السلف الصالح الذين مضوا، انتهى.

وهذا الأمر لو فعله أحد الآن من أصحابه لما قدر على الانشراح به، ولو أنه اشترح به لعظمه الناس كل التعظيم لعرايته في هذا الزمان، فعلم أن من تحقق بأخلاق السلف في هذا الزمان فشكره الناس على ذلك وأنشوا عليه. فهو علامة على ميل نفسه إلى الحمد والشكر، ولو أنه صدق مع الله سبحانه وتعالى لدفع همته عنه جميع الناس الذين يمدحونه، وخرج من الدنيا بأعماله كاملة لم يقص من آخرها شيء، ولم يقدمني أحد على أقراني. فأعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مردي عصرك نعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة الحلم على الظالم الذين يشعرون عنده في الناس، ولا يهملون في الدعاء عليه بالهلاك؛ تحسناً بأخلاق الله تعالى في حلمه على من عصاه، حتى يستوفي جميع ما قدره عليه وعلى رعيته، ومن رعيته هذا الفقير الذي يأكل حلالاً ولا يقع في معصية، أما من يأكل الحرام والشبهات ويقع في المعاصي فدعاه على الظالم مردوداً، فضلاً عن كونه يبطئ.

فليحذر شيخ النصف الثاني من القرن العاشر صاحب العجائب والعرائف أن يطلب إجابة دعائه على ظلمه وهو يأكل الحرام والشبهات، لاسيما إن كان أكل به طعاماً أو لیس منه ثياباً، فإن دعاءه مردود من وجوه عديدة، وليس له قوة في التوجه إلى الله تعالى، وقد سعى أن السلطان سليمان بن عثمان رحمه الله وبصر عساكره وذريته، لما سافر لقتال الصوفي اجتمع به شخص من مشايخ بعلبك، فقال له: أعطني ألف دينار وأنا أتوجه إلى الصوفي أقتله، وأريحك من التعب في التجاريد، وبذل الأموال، فأعطاه ذلك ووعدته أربعين يوماً، فصمت الأربعون يوماً ولم يمت الصوفي، فأرسل وراءه وقال: أين ما وعدتنا به؟ فقال: توجهت إلى الله سبحانه وتعالى في قتله مدة أربعين يوماً ليلاً ونهاراً، وكان السلطان قد رتب له طعاماً كل يوم فقال: اطروا هل كان يأكل من طعامنا، أو كان يطعمه جماعة، فقالوا: كان يأكل منه، فقال السلطان: الذي يأكل من مال الولاة ليس له قوة توجه إلى الله، ولا يسكن من دخول حصرت، ثم ساعده في الألف دينار وقال له: لا تعد نوبتاً أحدًا بموعدي إلا أن علمت من نفسك القدرة على الوفاء. انتهى.

فعله أن من كان يأكل الحرام والشبهات بعيد عليه أن يجاب إلى أحد في سؤانه في أحد من الظلمة أن الله يهلكه.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: لا ينبغي لعقير أن يطلب من تشمع عنده من الظلمة أن يحيه أو يعظمه، فإن ذلك محال، فإن الظالم كالتمساح المطايح على السمك، والعقير يقول له: لا تمسك هذه السمكة ولا هذه السمكة، ولا يقدر التمساح بطيعة في ترك كل السمك ويموت جوعاً، وكذلك الظالم لا يقدر عني مع نفسه من أكل أموال الناس بالباطل، ولو أنه طلب الحلال لما احتاج الناس إلى شناعة الفقير، انتهى.

وسمعه أيضاً يقول: من آداب العقير أن يدعو للظالم بالهداية والتوفيق؛ ليكون رحمة عليه ولا يكون عذاباً، ثم إذا استوفى الظالم جميع المظالم التي قدرها الله تعالى عليه للعقراء الدعاء عليه بالهلاك، لكن مع التوبة أو العقوبة التي تكفر ذنوبه، وإن أراد سرعة هلاك ذلك الظالم فلينبس له ثياباً دسمة، ويمشي إلى دار الظالم حافياً، مكشوف الرأس، ويعلط عليه القول، فإنه بالضرورة يردري الفقير فينمى به سهم الله تعالى، فيترجى به العاد والبلاد، انتهى.

وقد فعلت أنا ذلك مع الأمير محمد البروردكان أيام تولية الوزير علي باشا بمصر، فأحرب الله دياره، ومات على أسوأ حال، ولم أذهب إليه، وإنما أرسلت إليه القيد، وقلت له: ارجع إلى الله، وإلا توحهما إليك إلى الله تعالى أن يحرب ديارك، فصاح: أبس العلماء يصرون هذا، فلم يجدوا أحداً منهم، فقص الله له في تلك الليلة ولده لصله، فأبى فيه للناس على أنه يعمل الزعل، وقال: أرسل الوالي معي، أطلعكم على الآلات المتعلقة بالزعل، فأرسلوا معه الوالي، فرأى الأمير كما أنهاد ولده موضعه في حجره، وأسلموه لبوالي، وأخذوا منه نحو سعة أكياس ذهناً. وهدوا داره بنواحي مصر العتيق، كما أشار إلى ذلك العقراء، فلم يدعوا فيها قاعة ولا مطرة، وقطعوا أشجار حبيته، ونقضوا الجدران، فهي حراب إلى الآن، وسلبوا جميع خدمه وأمتعه، وما كانوا إلا شقوقه.

فليحذر الظالم من توجه العقير فيه، ولو كان من أكبر ملوك الدنيا، كما وقع للسلطان قايتباي مع سيدي علي البنتي الضرير، فإن السلطان أراد أن يهدم طاحون الشيخ لأجل عمارته في عمارة (الحائفة السرياقوسية^(١)) ويعطيه بدلها، فأرسل سيدي علي يقول له: يا

(١) ويقال أيضاً: حانكا، والحائفة لفظ فارسي، معناه البيت أو المهد أو الدبر، ثم أطلق اللفظ على مكان الذي يقيم فيه الصوفية لعبادة. وانظر: الخطط لسقيري (٢٧١٤)، والسلك له (١).
(١٨٢)، والمعجم في اللغة الفارسية الهندوي (ص ١٢٩).

قائماً ما لك قدرة على توحه الفقراء فيك إلى الله تعالى. فحاف السلطان ورجع عن هدم الطاحون.

فيسعي للفقير إذا أراد صحة أحد من الظلمة أن يسأل الله أن يعر به إن كان فيه خيراً، وإلا فيعده عنه، ثم بعد ذلك إن قرب كان الخير في صحبته، وإن بعد كان الخير في بعده.

فاعلم واعرض ما قررناه لك على مرهدي عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يسألوا ربه ألا يصلي عليهم بعد الموت إلا من حالطهم، وأطلع على رأتهم من طريق الكشف أو غير ذلك ولو بسوء الظن. وذلك ليسأل الله سبحانه وتعالى للميت أن الله يعمر له ذنوبه على التعيين، بخلاف سؤال المعفرة على الإجمال وإن كان آخر ويحس يعلمها. فإن دعاء المصلي يكون حداثاً^(١) كدعاء الشيعان أن الله يبره رعيها، فإن أعصاه لا تستحب له في السؤال على وجه الاضطراب كالحجباء، فانهم.

وكذلك القول في دعاء المعتقد في الميت الخير والصلاح، فإن دعاءه يكون حداثاً، ولو رذ العلم به إلى الله سبحانه وتعالى، وإيضاح ذلك أن المصلي على الحجارة شافع لها، فكلمها عرف ذنبه اثنتاً كربه عليه.

كما قالوا في أدب المرید: إنه يسعى له أن يعرض صحيفته كتبها على شيخه في هذه الدار؛ ليشفع له في ذنوبه عند ربه حتى لا يحوجه لطول الوقوف في الحساب بين يدي المولى سبحانه وتعالى.

وإنما قلنا أن من يسعى الظن بالميت أولى مما يحسن به على سبيل العرض والتقدير، أو بحكم العراصة والقرائن الدالة على سوء ظنه بالناس، فإنه يدعو للميت مع تحيل ذنوبه التي قاساها على نفسه.

وقد قدموا أحى أفضل الدين مرة للحجارة فتأخر، وقال: قدموا عيري من هو يعرف رلاته ليشفع له فيها عند ربه على التعيين. فإني مخفأ إلى من يشفع في.

فإن قيل: إن العلماء قالوا أن دعاء الصالح أقرب للإجابة، ومعلوم أن الصالح مصوح الحال، فالجواب إنما قدرناه لا ياتي ذلك، بعد بطلع الصالح على ذنوب الميت من باب

(١) الحجاج: هو كل نفعان في شيء.

الكشف^(١) كما قدمناه، أو من طريق المخالطة، أو من طريق الإلهام، فيكون أولى من جهتين: من جهة صلاحه، ومن جهة اطلاعه على ديوه، وقد بسطنا الكلام على ذلك في رسالة الأنوار القدسية.

فاعرض يا أخي ما قررناه لك على من يدعي الصدق تعرف حاله، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يرون فهم مصلاً على من أعطوه شيئاً من الذهب أو الفضة، بل يرون النعمة عندهم في ذلك؛ لأن العالب على من يطلب صدقات الناس بحبه الدنبار والدرهم، ولا يكاد تعد أحداً ممن يسأل الناس بالحال أو القال راءداً في الدنيا، ومعلوم أن الدنيا ابة إبليس، وكل من أدخل حبا قلبه دخل له إبليس ليرور بته وصهره، فيفسد عليه قلبه، وفي مد حلقه بركة العطاء، بما حصل له من فساد قلبه بدخول إبليس فيه، ربما أتلغ قلبه وولد نفسه المعاصي والعملة والإعراض عن الله. والإقبال على ربه الدنيا فأهلكه.

واعلم أنه ينبغي لمن أعطى فقيراً ذهباً أو فضة أن يسأل الله تعالى له الخفظ من ميل القلب إليه، حتى لا يدخل إبليس باطنه، وذلك بالرهة في الدنيا حتى يصبر الذهب كالتراب على حد سواء، ومن نظر بعين التحقيق رأى صرر العطاء للفقير أشد من صرر الشحيح والبحيل عليه.

وكان سيدي عبي الخواص رحمه الله يقول: ينبغي للمصدق أن يرى الفضل لمن يقبل صدقته، فإنه لو لا قبوله الصدقة ما حصل للمصدق أجر، ولا رال منه دون. محكم الفقير إذا قبل صدقتك حكم من غسل ثوبك إذا تسمع بلا أجرة، فله الفضل عليك؛ وليس لك الفضل عليه. انتهى.

فاعرض يا أخي هذا الخلق على عائب مريدي عصرك تجدهم لا عزم لهم بما قررناه، بل ولا خطر ببالهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

(١) قال الحق العراقي قدس سره: عزم للمكاشفة عبارة عن نور يظهر في القلب عند تظهيره وبركته، تنكشف به أمور كان يسمع اسماءها ويتوهم بها معاني غير متضمنة فتضح.

وقال: من لم يكن له نصيب من علم الباطن أحسن عليه سوء الخاتم، وأدى السبب منه التصديق وتسلحه لأهله، ومن كان فيه حصتان لم يفتح له من هذا العلم بشيء: بدعة، وكبر.

وقال: من عرف الله بالرجال حار في مشاهات الصلال، فأعرف الحق تعرف أهله.

ومن أحلاقهم:

طلبهم الدعاء من الأمراء والأكابر من حيث أن الله تعالى أعطاهم التصريف في هذه الدار دوساً، وجعلهم أبواباً لقضاء حوائج الخلق، فربما تعطف الحق تعالى عليهم بإجابة الدعاء في حق كل من دعوا له بدلاً يجعلهم بين الناس، ولو لم يعدلوا كما وقع لمرعون لما سأل الله سبحانه وتعالى في طلوع بيل مصر بعد توفعه، ولم يرد دعاءه، وهذا سرٌ حصي له، لا يطلع عليه كل أحد.

وقد كان سماعيل الثوري رحمه الله^(١) يطلب الدعاء من أعوان الوالي، ويقول: ربما كان قلب أحدهم أحسن لله من قلبي، وربما كان عمر لأحدهم دنوبه دوني. انتهى.

وقد سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: إذا توقفت عليكم حاجة عند الله فاسألوا فيها نائب مصر؛ فإنه أعظم الوواب درجة؛ لكون غالب رعيته في مصر حملة العلم والقرآن، ومن ولاه الله تعالى على مثل هؤلاء فهو أعظم ولاية الله على الحمد والنعيم، والمستدعة من سائر أقطار الأرض، وقد أجمع الناس على أنه ليس في بلاد الإسلام أكثر حفظاً للقرآن والعلم من أهل مصر.

فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلاقهم:

سد باب الإنكار على شيخهم جملةً، وذلك بالعمل على تطييف باطنهم من سائر الأدناس والخواطر الرديئة، فإن المرید ما دام في قلبه شيء من الأدناس فهو يحمل على ذلك شيعة طئاً أو حصوراً، ولا يملك عن مثل ذلك إلا أن أشرف على مقام الكمال، ودخل أوان العظام، ومن هنا طالت الطريق على غالب المریدين في كل زمان، ففضوا بأشياحهم الشر، معدموا الجمع بهم، وكل شيخ حق له قدم المشيخة، فهو يعلم من ذلك ولو تبرأ منه المرید.

فاعمل يا أخی على تطهير نفسك من الأدناس لتنتفع بشيحتك، ويرقبك في مراتب القرب من حصرة الله تعالى، فإنه ما دام في باطنك شهوة خرام أو مكروه فلا يقدر شيحتك على إدخالك حصرة الله تعالى أبداً، ولو كتبت على عبادة التقدين.

فاعرض يا أخی هذا الخلق على من يدعي الصدق من مریدی عصرک تعرف هل ومي

(١) قال النصف: كانوا، يسمونه أمير المؤمنين في الحديث.. وكان عالم الأمة وعاهدها وراهداها، وكتب الحديث والتراجم مشحونة بأحاديث المباركة، وانظر: الطبقات الكبرى (١: ٢٢٠).

به، أو وقع في شيبه إذا رآه في محل ريبة كحلوته بأحسية، وبحو ذلك.

ولا تسمى نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يركوا أصحابهم في عينتهم، في كل مجلس ذكرهم الناس فيه بسوء، ثم لا تطلب بعوسهم منهم أن يصنوا بذلك إخوانهم لا بنفسه ولا بغيرهم، وهذا خلق لا يقدر على التخلق به إلا من يعامل الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم.

فليمتحن الذي يركي إخوانه، ويذكرهم بخير في عينتهم بنفسه، فإن رآها ضيل إلى إعلام من ركاه ويحصل عندها بعض قبض، إذا لم يصل إليه علم ذلك، فيعلم أن ذكره أحياه من وراءه بحبر إنما هو رياء وسعة، فإنه لو كان يعامل الله تعالى لاكتفى بعلمه تعالى، ولم تشوف نفسه إلى إعلام أحد من الخلق بذلك.

فاعرض يا أخي ذلك على نفسك وعلى مریدی عصرک تعرف حالک وحاضک، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحذر أحدهم كل الحذر من الوقوع في شيء من المعاصي سرّاً، لاسيما ما يوجب الحد أو التعزير أو النفي أو إسقاط أغبة من قلوب المؤمنين، ولا يتساهل في الوقوع في ذلك اعتماداً على ما عهده من حلم الله ومتره عليه.

فإن الحق تعالى ربما ستر عن المعاصي ثم أحده من بلاده، وسلط عليه من يصربه الحد وأكثر، أو يعمره بين الناس بالتحريح والنصع والتفريع غيرة على شرع بيه، أن ينتهكه أحد سرّاً، فإنه يرى من الله وسيع.

ولما قلنا غيراً على شرع نبيه تلويحاً؛ لأن الله تعالى لا يؤاخذ الخلق إلا لإحلالهم بحقوق الخلق؛ إذ الألوهية لا تنتقم لمصها؛ لأنها خالقة لأفعال العباد، وإنما تنتقم للخلق بعضهم من بعض من حيث كسبهم.

ومن هنا يعلم أن جميع ما يؤاخذ به الخلق إنما هو بذنوبهم التي أحصاها الله تعالى عليهم، وإن سواه فلا يعني المبادرة إلى التراجع لمن نفي من بلاده سبب أو جلد، بل ينهي التبرص، وربما زنا وهو بكر، ولم يعلم به إلا الله تعالى، فالصادق من مد باب العقوبات عنه بعدم وقوعه في الذنوب سرّاً أو جهراً.

فاعرض ذلك على من يدعي الصديق من المریدین تعرف حاله، ولا تسمى نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كتمان الفقر والعنى، فإن إظهار الفقر فيه شكوى الباري جلّ وعلا، ودعوى التجرد من الدنيا وكذلك القول في إظهار العنى فيه دعوى الكبر من كان فيه وصف العنى أو العزة للنفس، كما أنها مباحة لمن كان فيه وصف الفقر والدلّ، فيدخل حصرة الله ﷻ، في أي وقت شاء، لا يمنع في وقت من الأوقات، فعلم أنه ينبغي لكل من سأل عني أم فقير أن يقول: أنا بخير، ولا يتعرض لفقر ولا عنى، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

مراعاة الأبطال في التقوى، والإكثار من عمل الآخرة، فقد قالوا: ليس السطل من يقطع السراي والتعمار، إنما السطل من يتق الله ويخالف هواه، وقالوا: عليكم بالتقوى، فإنها ما جاوزت قلب عبد إلا وصل إلى حصرة الله ﷻ.

وقالوا: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يصبر على شدة الجوع والعري والآلام، كما يصبر القابض على الجمر في كفه ليلًا ونهارًا مدة حياته. انتهى.

وهذا أمر لا يصلح إلا ممن آتاه الله تعالى بقوة من قوة أهل حصرته.

فأعرض يا أخي ذلك على نفسك ومريدي عصركم تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم الخوض في أعراض أحد ممن مات، فصلاً عن أهل الرمان، وذلك لأنه قل من يكون في عمة إلا ويكون له أعداء وأصدقاء، يفلون عنه البهتان والرورة، والعاقل من حفظ لسانه عن الأحياء والأموات، وأطلق لسانه بالحمد والشكر وأشاء بطريقه الشرعي.

وقد قالوا: من أراد العز عند الله وعبد الناس فليسكت عن ذكر عيوب الناس ما أمكن.

قالوا: ويؤكد ذلك على كل من اعتزل في رؤوس الجبال والقفار ليشاكل بعضه بعضاً، فإن صورة المعتزل صورة من انقطع إلى الله سبحانه وتعالى وترك الناس، وذكره بعيوب الناس الذي بلغت عن ألسنة الفسقة مما صورة حاله. وذلك بأكل الحسرات التي عملها حال عزلته فيذهب إلى الأخيرة صقر الديدن.

وهذا الأمر قل أن يسلم منه معتزل؛ نكون إبليس له بالمرصاد، لا يكاد يفارقه، ويقول له: اذكر أقرانك الذين لم يعتزلوا الناس بسوء تشمرد أنت بالصمت، ويكمل لك اعتقاد الأمراء، فلا يلتفتون إلى غيرك، فتصير تشمع في الناس عدهم، ولا يردون بك

شامعة، ويزين له ذلك كل التزين حتى يهلكه.

فاعرض ذلك على من يدعي الصادق من مريدي عصرك تعرف حاله، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

العمل على جلاء قلوبهم من الشهوات والأدناس؛ حتى لا نصير خواطر العقول في المحشاء تحظر على قلوبهم؛ وذلك ليصح لهم دخول حضرة الله سبحانه وتعالى في الصلاة والمكث فيها.

وقد كنت مرة في حصرة الله تعالى وعندي من الخشوع ما الله به عليم، فحظر في يالي سوء ظن بشخص ممن يكرهني، فطرد قلبي من الحصرة، وصرب الحجاب بيني وبينها، فاستحليت ذلك بالاستععار حتى عجزت، فلم أقدر على دخول الحصرة عدة أيام، هذا في خاطر لم يستفر فكيف بالخواطر التي استقرت وصارت عرقاً، وهذا الخلق قد صار غريباً في أكثر المريدین.

فاعرضه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يتحد أحدهم بغيراً حدث السن، وإنما يتحدون من حرب الأمور من الكهول؛ لأنهم أقرب إلى معرفة مرادهم من الأحداث في صغر السن؛ والأحداث في الطريق، فإنهم ليسوا بمحل لأسرار الرجال، وربما لاث الناس بالفقير إذا كان نقيباً حدثاً، وطوا فيه السوء.

وقد فأنوا: من سلك مسالك التهم، وحذب حسن الظن به، فهو كمن يريد أن يحجب نور انشمس عن الأرض بلا حجاب محاب، فكما أن الشمس يحكم بحرارتها الأرض، فكذلك سوء الظن بس سلك مسالك التهم يحكم على الناس به.

وقد أقمت مرة بغيراً أمركاً، فكشف لي مرأيت معه شيطانين: واحدك أمامه، وواحدك خلفه، كلما يدخل عليّ، فعزله.

ومن ذلك اليوم ما وليت بغيراً إلا إن كان طعن في السن، ودريت لحبته، ثم من خاصته لتحاد النقيب من الأحداث. سقوط جاء الفقير من قنوب الناس، فلا يصير له جاء في قلوبهم، وذلك أن الميل إلى كل مستحسن في الوجود دون الله تعالى يورث المقت والإهانة عند الله تعالى، فضلاً عن الخلق، ومن يهن الله فما له من مكرم.

وقد قال أشباح الطريق كلهم: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأتدان والجيف.

ويهي بذلك صحبه الأحداث.

وقالوا: ما ابتلي عند ذلك إلا أهانه الله وحده، ولو يأنف ألف كرامته أهله، لأن الحق تعالى عبور. ولا يحب أن يرى قلب عبده المحصوص بغيره، وربما رأى تعالى محبة أحد في قلب وليه فمفت ذلك الولي أو ذلك المحبوب. وربما غار الحق على قلب وليه أن يدخل محبته بغيره، فقصي حواج كل من توجه إلى ذلك الفقير من غير علمه؛ خوفاً أن يشعل قلب وليه بأحد سواه؛ ولو حصل بذلك الثواب؛ لأنه ثم مقام ربيع أرفع.

ومن هنا يعرف الحق سر أمره ﷺ بالاستعمار في سورة النصر، مع أنه ﷺ كان تحت أمر الله تعالى في كل شيء فعله أو قاله.

فإياك يا أخي وظن السوء في الفقراء الذين اتخذوا أحداً من الأحداث نصيباً، وربما قصد بذلك حفظه من المواجهات، وقد مفت خلق كثير باعتراضهم على الأشياخ، كسدي يوسف العمري، وسدي إبراهيم المتبولي، ومات المتراضون عليهم على أسوأ حال. ثم لا يخفى أن كل فقير جعل لظاهرة الشرع عليه اعتراضاً فهو ناقص رتبة الرجال، إلا أن يحمي نفسه من المعترضين، فيأخذ بأقوالهم عن الكلام في حقه، ويقلوبهم عن سوء الظن به، كان أوصافها الكلام على ذلك في كتاب ((المن الكبرى)).

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك على نفسك وأقربائك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

استحلابهم لصحة النولة إذا رأوا فيها مصلحة ترجح على التباعد منهم. وطردهم كدلت من صحبتهم إذا رأوا أن ذلك الطرد أرجح في حقهم؛ وذلك لأنهم لا يفعلون شيئاً إلا أن رأوا رضى الله فيه، فليحذر الأمير إذا نودد إليهم أن يرى أنه فضلاً عليهم بترده، بل الواجب عليه أن يرى فصل الفقراء عليه، وتقريبهم له من حصرتهم؛ لأنها حصرة الله ﷻ، ومن أدخل مطروفاً حصرة الله ﷻ فلا يصح له مكافأة من أدخله بشيء من الكوتين.

وكان سدي علي الخواص رحمه الله إذا طلب أحد الأمراء أن يصحبه يتوصاً ويصلني ركعتين، ثم يقول في سجوده: اللهم إن فلاناً قد عزم على صحبتنا، فإن كان في صحبته خير لي منه تسهل علينا ذلك، وإلا فاصرفه عني صدقة من صنفاتك علي، فيصبح ذلك الأمير عنده بنفسه من غير استحلاب. فيعرف بذلك أن صحبته خير، وإن لم يصح عنه يعرف أن صحبته شر.

وقال سيدي علي الخواصر رحمه الله: لا تصفو النوفت للعقير في صحة الأمير إلا بعد صدمة تحصل له من عزل أو مصيبة في بدنه، ويجد الخلاص منها على يد العقير، وما لم تحصل له الصدمة فلا تصفو محبته معه.

وكان أيضاً يقول: لا ينمي لعقير صاحب أميراً بعد الاستحارة وظهور أن صحبته خير، أن يأكل من هديته أبداً.

وقد وقع لي أن الأمير عبد الله بن بغداد أرسل للراوية عشرة أرادب بسلة، فأكلت منها يوماً ناسياً فتعبته، وكل من لم يعطه الله التصريف في الظلمة فاستحلابه لصحتهم من سخافة العقل، فإن من حق الظالم على الفقير إذا صحبه أن يتحمل عنه جميع مظالم العباد يوم القيامة، أو يشفع له عند الله تعالى، يبرصى عنه أصحاب التبعات كلهم حتى يخرج من قبره نفياً من الديوب، ليس لأحد من الخلق عليه حق، فمن قدره الله تعالى على ذلك فليصحب الظلمة، وإلا فليكن عن صحبتهم معزول.

وقد وقع أن عبد الله بن بغداد خرج عن طاعتي فيما أمره به من الخير، فتوصأت وعلبت ركعتين، وقلت: اللهم إن كان في صحة هذا الولد خيراً فاجعله مفاد القلب لما أمره به من الخير، فأصبح عندي من بكرة النهار، فعلمت أن صحبته لي خير من مفاطعتي.

وكان أخى أفصل الذين رحمه الله يقول: كل فقير توجه إلى الله في ولاية أحد من الولاية فهو وشريكه في جميع الإثم الذي يحصل له، فليوطن الفقير الذي توجه في ولاية ظالم نفسه على تحمل مظالمه يوم القيامة.

فاعلم ذلك، واعرضه على فقراء عصرك تعرف حاجتهم، ولا تنس نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أحلالهم:

تمويص أمرهم إلى الله تعالى في إصلاح أولادهم إذا كانوا على غير قدم الاستفادة السبية لأمتهم، ولا تعبوا أنفسهم في تربيتهم من غير تشويص أمرهم إلى الله تعالى، فإن ذلك لا بعيد لاسيما إن صرب أحدهم ولده وجوعه وأعره، فإنه لا يرداد إلا جوعاً.

وقد كان الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس في دين الله تعالى، ومع ذلك ابتلاه الله تعالى في ولده أبي مشحمة، وكان مفرطاً بشرب الخمر، وعمر أبوه وهو بجده وهو لا يرجع، فعوض أمره إلى الله تعالى فتاب من يومه، وصبح حاله، وكذلك وقع الكثير من أولاد العلماء والصالحين.

وأخبرني شيخنا أن بعض أولاد مشايخ الإسلام كان معروفاً بالشراب، والشيخ يقول: تكذبون عنه، فلما أكثروا عليه قال: لا أحده إلا بطريق شرعي من إفراده، أو بية أنه شرب غير مكره، فأتوه به مرة في دست طباح وحملوه بعير عفل، وقالوا له: انظر ولدك، فكشعوا الدست بين يديه، فوجد ولده لا يعرف السماء من الأرض، فأنر في والده ذلك، فلما كان الليل كشف الشيخ رأسه وسأل الله تعالى أن يتوب على ولده، فأصبح الولد نائبا، وما شيء أبغض إليه من الشراب.

فاعلم ذلك، وفوض أمر ولدك إلى الله تعالى، وأمر إخوانك بذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

العمل على تحصيل عبة الله تعالى لهم، حتى أن الحق تعالى يحميهم من الوقوع في شيء يحميهم عن حصره، فإنه هكذا يفعل مع من يحميهم عكس من يكرههم. ومن فائدة عبة الله تعالى أيضا للعبد أنه يرسل على كل جارية من جوارحه الظاهرة والباطنة ملكا يحرسها، ويحفظها من أن تصرف في شيء يكرهه الله سبحانه وتعالى، وقد رأيت ذلك الموكل في ليلة من الليالي حين كشف الله عن بصري، فشهدت الملك الموكل بعبي. والموكل بلساني، والموكل بفرجي، والموكل بعقلي، ففرحت بذلك غاية الفرح، ثم حربت بذلك أشد الحزن، خوفا من حياتي لرسل الله تعالى، إلا في حانة دهلهم عن حظي بما تجلي لهم من عظمة الله سبحانه وتعالى مثلاً.

فإن قلت: كيف الوصول إلى مقام عبة الله؟

فالجواب: إن ذلك بمنابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وورعه، وغير ذلك من أحواله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وإن قلت: كيف الوصول إلى متابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله والموانع ودونها قائمة؟

فالجواب: يصل العد إلى ذلك بالسلوك على يد شيخ صالح، يرمل منه الموانع شيئا بعد شيء، حتى لا يبقى بينه وبين مقام الاتباع مانع إلا عدم القسمة الإلهية. ومن ثمرة عبة الله سبحانه وتعالى للعبد أيضا حمايته من أكل الحرام والشبهات، ومن ألا يرد له دعاء؛ فإن أكل الحرام والشبهات مانع من قبول الدعاء، ما دام في البدن شيء من قوى تلك اللقمة.

وقد قالوا: إن النعمة بمكث قواها في ثلاثين يوماً، وقلب العبد أقوى من الحجارة، لا يكاد يظن أن الله سبحانه وتعالى يجب له دعاء، فيجني شرة سوء ظنه بربه، عكس من يأكل الحلال، فإنه لا يرد له دعاء لحسن ظنه بربه، ثم إنه يتعين ترك أكل الشبهات على كل من صار معروفاً بقضاء حوائج الناس عند الله تعالى.

فاعرض ذلك على مریدی ربانك تعرف حالهم، ولا تسر نفسك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يحكموا بين الفقراء بالعدل، ولا يمينوا مع رندهم أو أصحابهم ولو بانقلب، بل البعيد والقريب عندهم في الحق سواء، وقد أجمعوا على أن كل شيخ حكم بين الفقراء بالهوى، دهمت حرمة من القلوب، وهيته لروال تعظيمه عند الله سبحانه وتعالى، وكل من حكم بالحق عطيه الله تعالى في قلوب عاده، وأعطاه اهبة في قلوبهم.

فاحكم يا أخي بالحق، وإلا دهمت حرمتك وهيتك من القلوب، وعدمت انتفاع الفقراء بك، ولاه نوابك بالسنتهم وقلوبهم، واعلم أنه يجب على شيخ الراوية أن يقوم كل القيام على ولده وأخيه وابن عمه إذا تعاضم مع أحد من الفقراء، ليرضى الله والناس وإلا دهمت رئاسته على الفقراء، وخرجوا من تحت طاعته قهراً عليه.

فاعرض يا أخي على نفسك وأقرانك حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

تنقيتهم لأعمالهم من الشوائب القاذحة في الإخلاص، فإنها تعب من غير فائدة، فيحملها صاحبها على طهره، إلى أن يضعها عند الميزان، فتأتيها الملائكة فتسير ما كان منها لله تعالى، ويصمحل ما لم يرد به وجهه. فحكم هذا من فتح مطلقاً في دار الدنيا، وملاً من حراجه، فلما جاء به إلى داره وجد بهراً أو خفياً، فإنه يدم حيث لا يسمعه الندم.

ولعل هذا الحال هو حالنا اليوم في أعمالنا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فاعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يكون لهم حال المعصية عباد أو عبيد؛ فعين يظفرون بها كسهم للمعاصي بعد نهى الشارع ثم عنها فيستعمرون منها، وعين يظفرون بها حكمة التقدير الإلهي. فيرصون بذلك عن الله، وهذا معنى قول الأئمة رضي الله عنهم يجب الرضا بالقضاء لا بالمقصي.

وقولهم: نؤم بالله ولا نحس على الله به، ومن هنا كان بعضهم يقول في دعائه: اللهم احفظني من الوقوع فيما يكره أسبؤك ورسلك وعبادك الصالحون، ولا يقول: احفظني مما نكره، فإن الله تعالى هو حائز لأعمال العباد ومختارها، وما كان من فعله واختياره لا تتخلص لكراهته من كل وجه، كيف يتصور حقيقة كراهيته لما خلقه واختاره؟ انتهى.

واعلم أن معنى عدم محبة الحق تعالى لشيء من الأعمال وبعضه له أنه لا يحبه لبعده شفقة على عبده. مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [المر:٧].

وقوله في الحديث القدسي في عبده المؤمن من يكره الموت مع أنه تعالى هو الذي قدره عليهم، فاعلم.

فما تعاضت الأعمال إلا بالضر إلا الخلق واكتسابهم، وإذا تمس جعلها إلى الله تعالى كلها من حيث كونه خالقاً لها، ومن هنا قاتلوا؛ الربوبية لا تنتقم لنفسها، إنما تنتقم لكون بعضه من بعض، وكذلك القول في إبليس يجب عليهم عداوة أعماله من حيث كونها حاجة لهم عن حصره رهم، لا يجوز لأحد أن ينهه فيها، كما يجب على كل عارف أن يطلب من الله تعالى الحكمة في لغة إبليس، مع أنه لا يتحرك بحركة إلا إن حركه الله تعالى بقدرته، وهذا أسرار في الكلام على حقيقة مرتبة إبليس لا تُسطر في كتاب.

فاعرض يا أخي ما ذكرناه على نفسك ومريدي عصرك تعرف حالك وحالهم في هذه المشاهدة، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يستحي أحدهم أن يذكر لشبهه أمراضه التي ابتلي بها في الباطن؛ لأن المريد مريض والشيخ هو الطبيب، وإذا كنتم المريض داءه عن الطبيب طأن زمن مرضه، وليس من شرط الشيخ الاطلاع على ديوب المريد، إنما الواجب على المريد إنما هو الذي يذكر عيوبه لشيخه؛ لأن حصرت ممره عن شهود القائض والقبائح؛ إذ هي بعينها حصره الأنبياء والملائكة والأولياء، وليس في حصره أحد من هؤلاء شيء من القائض التي تسخط الله تعالى، وإنما هي حصره رصا الله تقرب ومع وعظايا، عكس حضرات الشياطين؛ فإنها حضرة سخط وبعد عن الله ومقت وحرمان.

وقد قدمنا في هذا الكتاب أنه يجب على المريد أن يعرض صحيحته كل يوم أو ليلة على استاده؛ ليشمع له في ديوبه عند الله تعالى، أو بدله على طريق معرفتها، وأنه ليس بين المريد وبين شيعه عورة؛ لأنه نائب للحق تعالى في محاسبة المريد في دار الدنيا ليحفظ حسابه في الآخرة.

وقد حكى القشيري في باب رؤيا النوم من رسالته بأن بعض الأولياء رُئي بعد موته، فقبل له: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: عمر لي كل دسب أقررت له به، إلا دسأً واحدًا استحبيبت أن أنلظ به، فأوقعني في العرق حتى سقط لحم وجهي، فقبل له: وما ذلك الدسب؟ فقال: نظرت يومًا إلى امرء شهوة حائل بدايتي، فلو أن هذا الشخص كان ذكر ذلك لشيحه في دار الدنيا لكان شميم له فيه عبد الله تعالى، أو علمه الدواء المنكسر لذلك.

فعلم أن كل مريدٍ كم عن شيحه دسأً من الدنوب فقد عسَّ نفسه، وحال شيحه. فاعرض يا أخي صحبتك كل يومٍ أو ليلةً على شيخك، ولا تحف من ارداء شيخك لك؛ فإن الأشباح لا تردري أحدًا من العصاة بذلك، بل يظرون إلى كل عاصي بعين الرحمة، وإقامة العذر في الباطن وإن زجروه في الظاهر.

وأكثر من يعمل هذه الخلق طائفة الدنياء، فيخبرون أشياخهم بكل ما حطر بياهم أو فعلوه، رضي الله عنهم أجمعين.

فاعمل على ذلك، لكن يكون ذلك سرًّا بينك وبين الشيخ، هذا شأن المريد ما لم يتحد بالشيخ، فإن وقع له اتحاد فهناك يكفه التوجه إليه نفسه، ولو كان فيه وبينه بُعد المشرقين، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا وقع أخوهم في دسب يستفتح ذكره عادةً كتقبل امرأة أجنبية، وأراد تأديبه أن يرأيه بذسب لا يستفتح عرفًا، كالبول فائمًا بلا عذر، وتركه قيام ليلة ونحو ذلك؛ كي لا يهجلوه بين الناس، لاسيما إن كان في مجلس الماشقة من لس خرقه الفقراء.

وقد كان سيدي أبو السعود الجارحي^(١) إذا وقع له ماشقة فقير على دسبٍ عظيم بين العامة يقلب ذكر الدسب إلى شيء لا يراه العامة دسبًا، كجمعه لندبار، وتببته لندبار والدرهم في داره مع علمه بحاجة أحد من المسلمين إليه، فتقول العامة للشيخ: شيء لله المدد، ويتعجبون من مثل ذلك.

وكان يحرص في الليل فيصع يده على فروج المريدين وهم نائمون، فكل من رأى فرجه منتشرًا عاتيه بكرة النهار. وأمره بالجوع والأعمال الشاقة؛ خوفًا عليه من الفواحش، ويقول: إذا كان فرجك منتشرًا وأنت نائمٌ وروحك بين يدي الله ^{تعالى}، فكيف بك إذا

(١) كانت له الكرامات الخارقة والتلامذة الكثيرة والقبول الثام عند الخاصة والعم والسوك والوراء... وكان كبير المجاهدات، لم يسمع عن غيره ما سمعنا عنه في عصره من مجاهداته. توفي يرب وثلاثين ومئمة، وانظر: الطبقات الكبرى (١٦٧/٢).

كنت مستيقظاً ونفسك في حضرة الشياطين والفساق. انتهى.

يتوهم منه محبة الفاحشة فيه، فلو كان ذلك الشخص يسحب الشاب لفاحشة لمر منه.

وقد كان الشيخ عبد الخليم بن مصطلح يقول: إذا رأيتم الشاب يحب الماتحي مضوا بالشباب خيراً، وإذا رأيتم المتحفي يحب الأمرد وهو غير محموظ الطاهر فهو عمل الرية. انتهى.

وكلاماً في غير أرباب الأحوال، أما من كان له حال مع الله تعالى فهو محموظ غالباً من الوقوع في فاحشة.

وقد كان سيدي إبراهيم المنولي رحمه الله تعالى ينام من الأمرد في الخلوة ويقول: احفظه من أهل الفساد، فأنكر عليه فقيه في ذلك، فقال له: إنما أفعل ذلك لأحفظه منك ومن أمثالك، فاستعنى على الشيخ فمسكوه ثمي يوم بأمرد من ممالك الأكابر، فدخلوا به بيت الوالي وضربوه ضرباً مبرحاً، وحسوه حسة كاملة، فأرسل يقول للشيخ: نت إلى الله، فقال: غداً بطلق، فأطلق.

وكذلك كان سيدي إبراهيم يجمع بين المرد والرجال العرب في مكاب واحد، ويقول: كل من بعدى على أخيه لحقته الماردة والسحوية نهره، وأسمائه تضرب عليه سبع شهور، فما كان إلا هلك. انتهى.

فإن كنت يا أخي تعلم من نفسك حماية نفسك وحماية الشباب منك أن تتبع سيدي إبراهيم، وإلا فابعد عن ذلك؛ فلما تهلك وتهلك الناس بسببك.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأقربائك تعلم حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا شاورهم أحد من الولاة في صحة أحد من إخوانهم يعرفونه عنه جهدهم، ويجرحوا فيه عندهم، إلا أن وثقوا بفساده في الطريق، ويقول شعاعته عند ذلك الأمير، فيجسد يرغبونه في صحبته، ويذكرون له محاسنه وكراماته.

وكان أخي الفضل الدين يقول: مذهبي وجوب التمييز من صحة أمثالك؛ فعلى الميل إلى الألوهية بقينا، وكان يشكر الله تعالى، ويحمد كل من يمر به أحد من الولاة، ويقول: جزى الله أخانا فلاناً خيراً على ما فعل معنا. انتهى.

وقد وقع أن الشيخ أحمد القلبي رغب الأمير عبد الله بن بغداد في صحبتي، فشركته

من حيث ظنه في الخير، ثم أرسلت أقول له: لا تعد ترعب في صحبتي أحدًا من الولاة! فإن السلامة مقدمة على العيبة، ومن حق الأخ أن يحنط لأخيه كل الاحتياط وفاءً بحقه، وقد بسطنا الكلام عن ذلك في ((العن الكبرى)).

فاعرض يا أخي ما ذكرته لك عني نفسك والمراتب تعرف حالك وحاجهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا حج أحدهم ورجع إلى بلاده أن يبدأ بإخوانه بالسلام، ويذهب هو إلى بيوتهم ويسلم عليهم، ولا يحوجهم إلى الذهاب إليه، ولو كانوا دونه في المقام عادةً، وفي ذلك من التواضع ورياضة النفس وتهذيب أخلاق الإخوان.

وقد دخل أبو حفص البسابوري بغداد فبدأ بمنزل أبي القاسم الحسبي، فسلم عليه؛ فلما يحوجه بالمشي إلى المشي له، فتعافى وتعادنا مليًا، ثم خرج أبو حفص إلى مكانه، فما استقر إلا والحديد عنده، فسلم عليه ناسًا، ثم قال: ذلك فضلك وهذا حقك. انتهى.

فليحذر الفقير إذا حج أن يحوج أحدًا من أكابر العلماء والصالحين أو الأمراء أن يأتيه، بل يبدأهم هو بذلك، إلا أن يترتب على دهايه إليهم لو تهرسه يرجع صرره على صرر عدم الذهاب، فهناك يعمل بالأرجح، ولا يذهب إلى أحد منهم.

وقد سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: إياك أن تلتفت إلى محبي أحد مسلم عليك إذا رجعت من سفر الحج، لاسيما أكابر الناس، فإن أبواب حجك لا يجرى من حق طريق واحد منهم، فيجب عليك رد المس عن طلب ريارها ما أمكر، فإن كل من لم يأتيه فقد عتقها من منه عليها، ولكن إن جاءه أحد مع غير قصد فاشكر الله تعالى، وكافته على ذلك بقضاء حاجة له. أو تودد لريارته، أو هدية ترسلها إليه وبحو ذلك، وهذا الخلق يحل به كثير من أصحاب الرعونات المتمسحين بأنفسهم، حتى أن شخصًا من تلامذة سيدي علي المصفي^(١) حج فلم يأت إليه سيدي علي، فانقطع عن ريارته إلى أن مات، وهذا الأمر واقع في غالب فقراء هذا الزمان، فيعادي أحدهم من لم يسلم عليه ويهجره إلى أن يموت، وربما كان أحدهم أكبر نفسًا من الأمراء، أو هو يظن بنفسانيته أنه من الصالحين، وقد وقع أن الأمير حمزة كاشف الغريبة، والأمير خضر كاشف الشرقية

(١) هو من الأئمة الراشدين في العلم، وله المؤلفات السبعة في الطريق، واختصر الرسالة التفسيرية، واحسنت عليه الفقراء في مصر. وصار هو المشار إليه فيها لأفراض جميع أقرانه.. توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وانظر: الطبقات الكبرى (١١٦/٢).

والقبوينة لما حجا سنة اثنين وستين وتسعمائة أتيا إلى ريارتي، قبل أن آتي إليهما، فعماني بذلك التواضع من كونهما من الولاة، ولم يروصوا أنفسهم، ولم يدعبا الصلاح، فإذن هما أحسن من كثير من مشايخ الزمان، الذين تألف نفوسهم أن يدعوا بريارة أحد من الولاة والمقرء إذا رجعوا من الحج. وربما طي أحدهم بنفسه الصلاح، وأنه غير للحاج تلك السنة بسببه، وربما منع من يقول بذلك في حقه فيسكت ولا يكره، فيرجع من مكة ممقوثا، وتلك قانونا: إذا حج جارك فحول باب دارك: أي لأنه لا يرجع من الحج يرى نفسه علي، ويقول: دنوبي قد عفرت كلها بالحج بخلاف جاري، فيقال لمثل هذا: فإذا عفرت دنوبك قدم على احتقار نفسك، ورؤية عيوبك، خوفا أن ضوت في تلك السنة، فلا يقع لك بعدها حج، فتذهب إلى الآخرة بكل دنب يعادل دنوبك السابقة.

وقد أوضحنا الكلام على آفات رؤية النفس في كتاب ((المن والأخلاق الكبرى))، فراجعها إن شئت، واعرض ما قلناه على نفسك وأقربائك تعرف حالك وحاجهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

أن يفتش أحدهم في هدية الحاج قبل أن يأكلها، ولا يبادر إلى الأكل منها تركا لها؛ لكونها جاءت من مدينة رسول الله ﷺ مثلاً، كما يقع فيه كثير من المساجين.

وقد وقع لي أن حرة أمير الحاج، أرسل لي حراب تمر مرقته على المغاورين، فأكلت ثلاث حراب، فأحسست بأنه برل في بطني حجر معصره، ثم لعت نفسي وتقبأت كل ما في بطني من تلك التمرات. حتى خرج طعام اليوم الذي قبله، وهتان العلامةان تقعان لي كثيراً في الحرام والشبهات، فما أحس بنقل في بطني فأشرب عليه ماء وانقيأه، وأما نفسي فيطبخ بسببه، وهذا من أكبر نعم الله تعالى علي، فإن به قطع مادة المعاصي، فإنها لا تنشأ إلا من أكل الحرام، وهذا الأمر يقع فيه كثير ممن لم يستبرأ لدينه، فيبادر إلى الأكل من الهدايا التي تأتي من الحجار، والنظيف بطيها، والتسوك بمساويكها، ولا يلتفت إلى المادة الأولى التي اشترت تلك الهدايا بها، هل هي حلال أم حرام.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله مرة عن نبيد الحرة. فقال: اسألوا عن الثمن الذي اشترى منه الزبيب قبل أن يتنيد. انتهى.

وقد أعدت تلك الصلاة التي صيتها والتمر في بطني، وأمرت الإطوان الذين أكلوا من ذلك التمر أن يهدوا تلك الصلاة.

لما ورد: ((إن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد وفي حوله شيء من الحرام^(١))).
فاعلم ذلك واعرضه على نفسك وإخوانك تعرف الحال، والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم:

أن يعمل أحدهم الأعمال الصالحة غير طامع في الثواب، فإن طلب الثواب على العمل من سفاطة النفس، وهو محطور عند شريف الأصل، فإن الأكابر إنما يمدحهم علمائهم قياتاً بواجب حقهم، لا لأجل أن يعطوهم أجرة على ذلك.
وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول:

من طمع في فصل الله فقد حجر على الحق ألا يحرمه مما طمع فيه، وذلك معنود من سوء الأدب، كما قالوا في الرجاء: إنه من أنواع التحجير على الحق جل وعلا.
وأيضاً فإن العمل الذي يطلب للأجرة نسبته هو حق لله وحده لا خلق له عبد، فكيف يسوع أنه يطلب أجرة على فعل هو لغيره، فكان من رجا في الله حيراً يحجر عليه بقلب ألا يفعل معه صده، والحق تعالى مطلق، لا يدخل تحت تحجير عبده، وطريق الصد أن يسأل الله سبحانه وتعالى إظهار للعاقبة والحاجة، وبطهر الطمع والرجاء في فصله من غير ترجيح للعطاء على المنع. انتهى.
وسعته يقول أيضاً: إذا تصدقت بمال وهبه إنسان لك، فأجره لمن اكتسبه بتجارة أو صنعة، ولك أجر نية الخير لا غيره.

وقد رأيت ريذة في المنام بعد موتها، فقيل لها: ما فعل الله بك بعد تلك الصدقات العظيمة التي كنت تصدقين بها؟ فقالت: أجزأها لأربابها، وحصل ثواب النية في تفرقها للفقراء والمساكين. انتهى.
ولو أن ريذة حققت النظر لوجدت نفسها لا تستحق ثواباً على نيتها؛ لأن النية هي من خلق الله أيضاً.

فاعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم. والحمد لله رب العالمين.
ومن أخلاقهم الواجبة عليهم:

إغاثة الملهوف، فمن ادعى الولاية وقله فارغ من تحمل هموم الناس فهو كاذب في دعواه، حتى أن القطب الموت لم يلق بالموت عندهم إلا لإغاثة الملهوفين من جميع العالم، وهذه الحقيقة سارية منه في جميع الأولياء.

(١) لم أقف عليه.

وكذلك من أخلاقهم: عدم الاحتجاب عن الناس إلا لضرورة، ولا يحلون قط على أبوانهم حجاباً إلا إن كان في البيت عبال لا مكان لهم يتوارون فيه، وذلك حتى يكون كل من طلبهم في حاجته وجدهم، وكل من أرادهم وصل إليهم، إلا أن يكثر الواشون الذين يدخلون عليهم لغير غرض شرعي، فيشغلوا الوقت بغير فائدة.

وكان سيدي عبد القادر الدشطلوطي رحمه الله يقول:

من شرط الفقراء أن لا يتواروا عن أحد إلا لعذر، ولا يقولون لمن قصدتهم حاجة: ارجع بعد ساعة، ولا يمنعون قط سائلاً إلا بحكمة لا لحيل، رضي الله عنهم أجمعين.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأقربك تعرف حالكم وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

ألا يطلخوا من الخادم أن يجري على أعراصهم، وإذا أتاهم بما لا يوافق أعراضهم لا يعنونه على ذلك. إلا أن يكون الخادم تلميذاً للشيخ، فله أن يؤديه من حيث مماثفته أمر شبعه لا لغير ذلك، وإنما تركوا العتاب لمن حالهم من الخدام وخالف أعراضهم؛ تهديناً لأخلاقهم، ورياضة لقوسهم، كما أنهم يحتملون الأذى من الخلق، ولا يقابلونهم بظير ذلك، ويحملون مؤثمتهم عن الناس، ولا يلقون كلهم على أحد، ومن شأنهم أن ينهوا الغافل، ويرشدوا الضال.

وكان سيدي عني الخواص رحمه الله يقول: من القوم من صارت إرادته متعلقة بكل ما يجربه الله تعالى عليه من الكون من غير تخصيص ما عدا محارم الله وظواهره لا يرصاها كما أن الحق يريدها ولا يرصاها، ومن تحقق بهذا المقام صار يرضى بكل ما يفعله الخادم أو الخلق معه، ويراه غير خارج عن عرضه؛ لرضاه بكل شيء أجراه الله تعالى على أيدي عباده، وهو فان عن حظ نفسه؛ فمعارفته عالم نفسه، ومن لا يرضى له لا عرض له، ومن زال فرضه زال مرضه، فإن سبب الأمراض عدم موافقة الأغراض.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك وأبناء جيلك تعرف حالكم وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم اختيار الشيوخ إذا دخلوا عليهم، كأق يقول: إن أطمعني الشيخ الفلاني كنا اعتقدته، وإن لم يطمعني ذلك لم أعتقده، وذلك لأن كل من دخل على شيخ يخبره بهو جاهل منقوت عند الله، فإن الشيوخ لا يختارون التلة لكماهم، وإنما الحق تعالى هو الذي

يختبرهم، وأما اخلاق فهم دوسم في المقام، فكيف يختبرونهم في مقامات لا يدقونها.

وكان سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول:

لا يُطلب من الشيوخ الكلام على هواجس النفوس، وإنما يُطلب منهم معرفة الأمراض والأدواء، وبحو ذلك مما هو من شروط المشايخ، فإن المكاشفات إما هي من أخلاق المريدين، لا من أخلاق الكُمل العارفين.

وقد كان سيدي إبراهيم المتولي رحمه الله إذا سأله عن عبده الأبي مثلاً: أين هو؟ يقول للسائل: اصبر حتى يأتي مريدنا فلاناً يكشف لك عنه.

فماذا له يوماً: وكيف يحتاج مشكم إلى من يكشف له؟ فقال: يا ولدي العارف إذا بلغ مقام العرفان يصير يهرب من مشاركة الحق تعالى في الاطلاع على الغيوب، فلا يكون له التفات إلى شيء من المكاشفات، لاسيما اطلاعه على عورات الناس. انتهى.

وفي الفتوحات المكية للشيخ عمري الدين: أن من عباد الله من كشف له عن مكنوت السموات والأرض على التفصيل، ومع ذلك لا يعلم ما في جيبه؛ لأنه مع الله تعالى بحسب ما يطلبه لا مع ما تشبهه نفسه.

فاعلم ذلك، واعرضه على نفسك تعرف حالك وحالهم، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

إذا صحوا أحداً من الولاة يعموه الأدب، مع مراسلات إذا وردت عنهم في أمرهم بمعروف مثلاً، وأن يقلوها ويضعوها على أعينهم؛ لأن بذلك ندوم ولايتهم. وقد بلغنا أن كتاب يعقوب عليه السلام لما ورد على يوسف عليه السلام بمصر فقله يوسف ووضعه على عينيه.

وقال: أتدرون لما فعلت ذلك؟ فقالوا: لا، قال: لأنه من سنة الموك، وبذلك يدوم ملكهم. انتهى.

وذكر صاحب الدلائل على الله أن في أولياء الله من إذا أرسل السلام لظالم واحد من العصاة تاب الله عليه، وسأعه في جميع اتبعات النبي عليه، وذلك لأن الله تعالى ينصر أوليائه، ولا يخذلهم في الدنيا ولا في الآخرة، ويستحي أن يؤمن أحد من أوليائه بإرساله لأحد ويخذه في أمارة. فيسمى للفقير إذا صحب أحد من الولاة أن يخبره بهذا السر العظيم، ولا يرد على فقير مراسلاته له بالسلام.

وقد وقع لي مع بعض بني بغداد أنه صار يرد مراسلاتي ولا يقرأها، وتارة يعطيها للبصاري، ويستكف عن قراءتها، فصرت أكتنيه، وأسقط البسملة والصلوة على رسول

الله ﷻ والسلام عليه؛ خوفاً أن يفتنه الله تعالى بإعطائه الصاري اسم الله تعالى فينهبكون ذلك، فمكث بعد ذلك مدة يسيرة، وغرل وأدخل الرح وغوب، هذا أمرٌ شهدته فيهم. وبالجملة فمن لم يكن له حال مع الله تعالى يحمي به نفسه من الظلمة، وتصريعاً فيهم بالولاية والعزل، فليس له التصدر في الشفاعات عندهم، فإن ذلك لا يتم له، لاسيما ظلمة النصف الثاني من القرن العاشر أبي العجائب والعرائب، فإنه لا يكاد نجد أحداً من الولاية يعتقد في فقير، ولو أظهر له كرامة قال: هذا ساحر.

فإن أعطاك الله يا أخى التصريف في الظلمة فافتح باب الشفاعات عندهم وإلا فكف عن ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

عدم المبادرة إلى نصريف المسكرين على أهل الطريق، وعدم الخوض في أعراض الفقراء بسحر إشاعة الفائض عنهم، فإذا قام على أحد من إخوانهم مسكر فلا يصحون إلى شيء من كلامه في حق أحبيهم، بل يترهبون ويضطرون في أعمال أحبيهم الصالحة وأعمال المسكر عليه، فكل من رآوه أكثر أعمالاً وورعاً ورهناً واحتمالاً للأذى قدّموه في المحبة والتعظيم.

ولا شك أن أعمال القوم ولو نزلوا إلى أدنى المراتب أظهروا أكثر وأحسن من أعمال المسكر عليهم.

ومن هنا قالوا: لم تزل الأشراف تُبتلى بالأطراف، انتهى.

وما رأينا أحداً قط تطاهر بأنه من أهل الطريق يترك الصلاة أو يشرب الخمر، ولا يربي، ولا يتعاون في الناس عند الضالمين، ولا يراحم على الدنيا، وإنما هم على الدين والخير حتى لو أراد أحد أن يثبت فسقهم، لما قدر على ذلك.

وعاية أمر المسكرين على الفقراء أن يرموهم بالأمور الباطنة، كارباء والكبر والحسد والعل وبحو ذلك، وهذا أمرٌ لا يطلع عليه عالماً إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد وكل ﷻ سرائر الخلق إلى الله تعالى بقوله في حديث: ((أموت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله) وحسنهم على الله^(١))). انتهى.

فباب منه رسول الله ﷺ، فلا يجوز لأحد أن يفتحه.

فاعرض يا أخى هذا الخلق وما فيه على نفسك وأقرباك تعرف حالك وحافهم.

(١) رواد البخاري (١/١٥٣)، ومسلم (١/٥١).

والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

الاعتناء بالدب عن أهل الطريق، ورد المكرين عليهم بالأدلة الواردة في الكتاب والسنة. وإن كان المنكر معدوداً من الجهال المأمور بالإعراض عنهم، ولو أنه كان عالماً لم يقع منه إنكار، بل كان يستدل بأفعالهم وأقوالهم بالكتاب والسنة، كما أوضحنا ذلك في كتاب ((المنن والأخلاق)).

والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم:

كثرة التعفف عن أموال الناس وأطمعتهم ظاهراً وباطناً، لاسيما الولاية بإهم إذا علموا من الفقير سفاطة المس اردروه، ولو كان له سبحة وعمامة صوف جعلوه من جملة الصابيين، فلا يقع له مع لأحد من المسلمين على أيديهم، فيحتاج الفقير الذي يشعر عند الولاية أن يكون أعف الناس أن طلب؛ ليكون أكثر الناس شفاعاً. واعلم يا أخي أن من علامة انصب المكشوف أن يهدي الفقير لذلك الأمير حلالة ماء ورد أو سكر ونحو ذلك؛ لأن الأمير في عينة عن مثل ذلك، وأول ما ينظر الأمير معه هدية يفهم منه أنه شجاع.

وقولهم: (أجبروا بحاضر الفقراء) جهل وسفاه؛ لأن انصير الصادق لا يطلب حبر الخاطر من الولاية؛ لأن مرتبته فوق ذلك، بل الولاية هم الذين يطلبون منه حبر الخاطر بإطعامهم من طعامه؛ لأن كل لقمة من الفقير تعادل في هذه الأيام ألف دينار ليلة الحلال المناسب للفقراء الآن، فما كل طعام يلقى بهم الأكل منه، وما كل ناس يلقى لهم المس منه، فإذا سمح لذلك الأمير بأن يأكل من طعام الفقراء. فذلك غاية التبجيل والتعظيم، ومن رأيهم يرون الفقراء أعظم منهم درجة، ويتبركون بالأكل من طعامهم أولاد يعداد، فكل يوم يأكلون فيه عند فقير يعدونه يوم عيد عندهم، ويقدمون طعام الفقراء على أبناء الدنيا ولو ملحاً وعدمًا وسلّة.

فأسأل الله تعالى من فضله أن يسبح النعمة عنهم في الدارين، وأن يديم عليهم عماره بينهم بتولية خيارهم، ويعطفهم على شرارهم آمين. انتهى.

وهذا آخر الكتاب المسمى بـ((الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق))، تأليف سيدها وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني، صاحب الكرامات والعلوم والمعاني، رحمه الله آمين ورضي عنه. وصلى الله

على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

ووافق افراع من هذه الكلمات الشريفة المباركة المجلدة المعظمة صبيحة الجمعة
خامس من شهر شهور سنة مئة وثلاثين بعد ألف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين
وصحبه المقربين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

الوصايا والنصائح الخلوتية

لسيدي مصطفى البكري الخلوتي،
والشيخ حسن رضوان الخالدي

تحقيق وتخريج وتعليق
أحمد فريد المزيدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة للشيخ حسن رضوان

هو الشيخ العلامة القدوة حسن بن رضوان محمد الحموي بن عامر المالكي الحالدي المصري.

صوفي، شاعر، مشارك في بعض العلوم ، من علماء الجامع الأزهر.

وُلد ببلدة بنا بمديرية بني سويف، بصعيد مصر سنة ١٢٣٩ هـ، ورحل إلى القاهرة، قدرس بالجامع الأزهر.

وتوفي في برحونة الأشراف، سنة ١٣١٠ هـ.

من مصنفاته:

- أرجوزة روض القلوب المسطاب أو مطهرة النفوس وروض القلوب في التصوف.
- الفتح المبين في أحكام النون الساكنة والتنوين.
- المفاتيح الرضوانية في الصلاة على خير البرية.
- مورد النعمات الإلهية على شرح ابن تركي على المشاوية.
- الجوهر المنتقط في المحامس.
- مراسة النصائح والوصايا والوعظ.

انظر في ترجمته: النبوات النبوية (١/ ١٢٧، ١٣٠)، الأعلام الشرقية (٣/ ٩٧، ٩٨)، معجم المطبوعات (٧٦٠، ٧٦١) ومعجم المؤلفين (٢/ ٥٥٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة مختصرة للشيخ البكري

هو الشيخ العلامة العقبة الحجة الرباني سيدي: قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي أبو المعارف البكري الدمشقي الصوفي الحنفي الشهير بالقطب البكري، وُلد سنة ١٠٩٩، وتوفي بدمشق سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف.

من مصنفاته:

- الانتهالات السامية والدعوات النامية.
- الأربعون المورثة للاتباء فيما يُقال عبد الزوم والاتباء.
- الاستفانة الآتية بالنصرة والإغاثة.
- الاستغفار (بتحقيقنا) مع شرحه للشيخ المرصعي.
- بلعة المريد ومتهى السعيد.
- والموائد الإشرافية.
- اقتحام اللالي في شرح منفرجة الغزالي.
- أنقى الوفاة للسادة الصوفية في التصوف.
- انتظار فتح الفرج واستمطار منح الفرج.
- بديع موشحات بالبديع مرشحات.
- برز الأسقام في الزمزم والمقام.
- البسط التام في نظم رسالة السيوطي المقدم.
- سر الساعون في دفع الطاعون.
- بلوغ المرام في خلوتية الشام.
- هجة الأذكىاء في التوسل بالمشهور من الأنبياء.
- تبريد قيد الجمر في ترجمة الشيخ مصطفى بن عمرو.
- تذكرة عرب سائم أسس الطريقة في الحرب القائم بين النص والحقيقة.
- تسلية الأحزان وتصلية الأشجان.

- تشييد المكانة لمن حفظ الأمانة.
- تفريق المموم وتفريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم.
- تناول أقداح الحق الصراح وشرب عذب رذاله في معنى قوله المصلى على انسى وآله.
- التواصي بالصبر والحق امتثالا لأمر الحق.
- التوجه الوالي والمنهل الصافي في الورد.
- التوجه الرافع لتأليه لواء منشورا فيما يتهل به المبتهل يوم عاشورا.
- التوسل الأسنى بالأسماء الحسنى.
- التوسلات المعظمة بالحروف المعجمة.
- الثانية الإنسانية في الرحلة القدسية.
- الثغر الباسم في ترجمة الشيخ قاسم.
- الثغر البسام فيمن يجهل من نفسه المقام.
- جريدة المأرب وخرينة كل سارب سارب.
- جمع الموارد من كل شارد.
- الجواب الشافي واللباب الكافي.
- حرز الحماية والاعتصام الذي هو لسرب العواية قصام.
- حزب الحفظ والحراسة من المموم.
- الدافع الرافع خرسجف المموم.
- حزب الفرج الطيب الأرج.
- حلة الأرغان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية.
- الحملة الرضوانية الدانية في الرحلة الحجارية الثانية.
- الحمامة الورقاء القصرية في المقامة العنقاء المصرية.
- الحواشي السنية على الوصية الحلبية.
- الخطرة الثانية الإنسانية للمروضة الدانية الناهلية.
- المحمرة المحبة في الرحلة القدسية.
- الدر الثمين شرح مقاصد منهاج العابدين.
- الدر الفائق في الصلاة على خير الخلائق.

- الدور المستثمرات في الحضرات العبدية في العرر الميسرات بالذات العبدية المحمدية.
- الدعامة الإنسية في المقامة الناهلية.
- دلائل القرب ورسائل إطفاء الغضب.
- الدفعة النظرية المحمدية في صبغة النظرية الأحمدية.
- ديوان الجلا والاستجلا في حد الباري جلّ وعلا.
- ديوان الدوح والأدواح وعنوان الروح والأرواح.
- الذخيرة الماحية للأثم في الصلاة على خير الأنام.
- الرحلة العلية الدانية.
- رد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- رسالة الصحبة التي أنتجتها الخدمة والمهبة.
- رشحات صدح من مسي العدار ونفحات مدح في نبي المختار.
- رشحات الوعد الإنجازي في الكلام على صلوات الرازي.
- رشحة الصفا في امتداح المصطفى.
- رفع الستر والردا عن قول العارف أروم وقد طال الممد.
- الروصات العرشية على الصلوات المنبئية (تحت قيد الطبع بتحقيق).
- روضة الوجود.
- سبيل النجا والالتعا في التوسل بعروف المعجا.
- سر الساعون في دفع الطاعون.
- السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد (بتحقيقنا).
- شوارق البارق المشام في التوسل بالأبياء من المبدأ إلى الختام.
- صلاحة الأزل (بتحقيقنا).
- الصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم.
- الصلاة البرية في الصلاة على خير البرية.
- الصلوات النبوية الشافعة ذات النفحات الإلهية النافعة.
- الصياء الشمسي على العنق القدسي في مجلدتين (تحت قيد التحقيق).
- طلبه الفقير المحتاج فيما يتوجه المتوجه ليلة المعراج.
- العدة العمدة المخلصة من الشدة.
- العرائس القدسية في الدسائس النفسية (بتحقيقنا).

- العقد العريد في ترجمة الشيخ محمد سعيد.
- العقد المتلألئ على ورد العسالي.
- الموارد البهية الحكم في الحكم الإخية (طبع بتحقيقنا).
- كروم عرش التها في شرح صلاة ابن منبش الداني. (تحقيقنا).
- المدد البكري شرح صلاة سيدي محمد البكري. (تحقيقنا).
- ورد الضحى.
- ورد الإشراف.
- الغيات الأنوارية على الصلوات الأكبرية.
- شرح دعاء الصباح.
- شرح حزب النووي.
- شرح ورد الشعرائي.
- العصامة الهندية في المقامة الهندية.
- الوصية الجليلة للمساكين طريقة الخلوتية.

وانظر في ترجمته:

هدية العارفين للبعدادي (٦٨٤/١)، وعجائب الآثار للحبرتي (١٦٥/١، ١٦٦)،
والأعلام للزركلي (١٤١/٨).

نماذج من صور المخطوط

٢٧١

هذه مراسلة مستمدة على نصائح ووصايا وقواعد
من مولفها استاذي والدي الطاهر فانه ما مر
الفاضل الشيخ حسن رضوان الى بعض مرسله
بالجامع الانجليزي
انتم بها ومثلها
العباد ايقن
م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نعت
اما بعد حمد ولي الحمد بذاته لذاته والصلاة والسلام
والسلام على علي المجد جلي الجهد المدرك مع الجهد اجل
مدرك به ذاق معالي معاني القرب وله الله فبكتفه
مراسلة امداها من فيوضات البر من مراسلة
ولا يدرك القلوب غا سلة بما فيها من الوداد والروضة
الى نقيب نعال الفقر ورقيه اللذين واسر احوا
بين الحسن والمجد وفاز كل منهما بنصيبه وجاز
بلوغ جميع الاله مال وحسن المال بانفراذه وتخصيه
حقن الله لهما الشرف الرهمانية والوراثه المهدية
بالقرابة الروحانية واذا فهم اذ ان المعاني الربانية
بجاء خير البرية وليبلفاها من اراد ان الاخوات
نيابة عن عاجزها حقيق الاحزان خادما لفعالها
كثير المخالفة والعصيان حسن الظن في رهنواك
الرحمن ذي العيوب والعيون المانعة من قلبه العيون
عن مطالعة سر الفيوب واذا كان الغنوك حسبهما

نقشه

صورة الصفحة الأولى من الوصايا والنصائح الخلوية

٢٧٢

يقتضيه رايها اما باله فاذا او المعاني ولكن لا يكون
 الا لمن شاهد افيه الحق الى النوع عسى يكابد
 نفسه بالمجاهدة ويعاني فاسد في عرك العبد
 ما دام العبد في عرك اخيه فعلى ما اذا دوت
 التعاون على البر والتقوى يصاحب احدا من الهوى
 ويوليه احن اشدد به ازرى واشركه في امرى
 كى تسبحك كثيرا وذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا
 قال مستند عضدك باخيتك وجعل لك سلطانا
 فله يصلون اليك يا ابا سنا انما ومن اتبعك الغالبون
 وان اراد احد منكم ان يخطبها بتخليتها عن المديس
 البالية ويجتهد حفظها بتخليتها بجلل المعاني الغالية
 والباسها من الشيا ما هو ارف من اللوز ليخطبها
 من انتم الى اهل هذا الفريق وبه عاذ ولاذ فقد
 لاح عليها حينئذ جز الفلاح وصاح على اغصان ريسها
 بلبل الاله فراح بما يغنى الاله رواح عن شراب السراح
 ويغنى النفوس عن شراب الكون الذى ماله الاله
 الراح وهما هو العاجز عن مدارك الخول بلسان
 مجزم وانكسار يقول عارضا على ان لن يحور عن
 موارد بحور فضل الله المطلق وله يحول عسى
 بالانطق على موائد فوا تدعوا لقلوب الاخوان
 في ميادين الاحسان يحول وبالله التوفيق
 الى اقوم طريق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
 الذى اوضح سبيل الرشاد لكل فاصد وارج تجارة

صورة الصفحة الثانية من الوصايا والنصائح الخلوتية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نقتي

هذه مراسلة مشتملة على نصائح، ووصايا، ومواعظ من مؤلفها أستاذي، والدي الكامل، والإمام العاقل الشيخ حسن رسول إلى بعض مريديه بالجامع الأزهر نفع الله بها ومؤلفها العباد، آمين فيقول:

أما بعد حمد ولي الحمد بفضله لفته.

والصلاة والسلام على علي أحمد، جلي الحد المدرك مع الحد أجل مدرك به، من داف معالي معاني القرب ولذاته.

فهذه مراسلة إمدادها من فيوصات أثر متراصة، ولأدران القلوب عاملة بما فيها من الوداد والمواصلة إلى طيبي نعال الفقراء ورقبيه اللذين دارت أحوالهما بين الحس والخس، وفار كل منهما بصيبه، وحاز بلوغ جميع الآمال، وحسن المال بأفراده وتقصيه.

حقق الله هما الثروة الرصانة، والوراثة المحمدية بالقراءة الروحانية.

وأدالهما لذات السعالي الربانية بحاجه خير النيرة، ونبتعاها من أرادا من الإخوان تباة عن عاجرها حنيف الأحرار، حادما ناعهما، كثير المحالفة والعصيان، حس الظن في رسول الرحمن، ذي العيوب والعيون المائعة من قلبه عن مضاعة سر العيوب، وإدراك الصوت، حسبا يقتضيه رأيهما إما بالألفاظ أو المعاني ولكن لا يكون إلا لمن شاهد فيه الخلو إلى الدنو عسى يكابد نفسه بالمجاهدة ويعان: «فاته في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»^(١).

فعلى مانا دون التعاون على البر والتقوى، بصاحب أحدا الآخر ويواجهه.

«أخي • اشدذ به أزدري • واشركه في أغري • كي تسبحك كثيرا • نذكرك كثيرا • (إلك كنت بنا بصيرا) [طه: ٣٠، ٣١].

قال: «سشد عضدك بأخيك وبجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا إنما ومن اتبعكمما الطالبون» [الفصص: ٣٥].

(١) نص الحديث روى مسلم (٤/٧٤، ٧٥).

وإن أراد أحدهما تحريد لمعلمها بتخليتها عن الملابس البانية وتحديد حطها بتخليتها بحلل المعاني العالية، وإناسها من الثياب ما هو أرق من اللأداء ليحطها من انتمى إلى أهل هذا الفريق وبه عاذ ولأذ، فقد لاح عليها حينئذ فجر العلاج.

وصاح على أعصاب رياضها بليل الأمراح بما يحي الأرواح عن شراب الرُاح، وبمعي النفوس عن سراب الكون الذي مآله إلى الرواح.

وها هو العاجر عن مدارك المحول بلسان عجزه وانكساره يقول عارماً على أن لن يحور عن موارد يحور فصل الله المطلق ولا يحول، عسى بالتطفل على موائد فوائده عوائد قلوب الإخواء في ميادين الإحسان بجول وبالله التوفيق إلى أفوم طريق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْضَحَ سَبِيلَ الرِّشَادِ لِكُلِّ قَاصِدٍ، وَأَرْبَحَ نَجَارَةَ مَنْ عَامَهُ بِإِرشَادِ نَفْسِهِ إِلَى أَحْسَنِ الْوَسَائِلِ وَالْمَقَاصِدِ، وَأَرْبَحَ مَوَارِئِ الْمَوَارِينِ دِيوَجَهُمُ الْإِلَاقِي مَلَأَتْ دِيوَجَهُمُ بِالْثَوْبَةِ الْمَصَادِقَةِ، وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى الْمَشَاهِدِ.

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ فَتَحَ بِمِفْتَاحِ الشَّرِيعَةِ مَا أُغْلِقَ مِنْ أَبْوَابِ كُورِ الرَّمُورِ الْحَقِيقَةِ الْهَدِيَّةِ الْمُبْعَةِ.

وَمَنْعَ مَنْ سَمِعَ نَفْسَهُ نَفَاسَ مَعَانِي مَثَابِي الْفَنَسَرَلَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْرَبِيعَةِ الطَّرِيقَةِ. وَدَعَى مَنْ وَدَعَ الْأَكْوَانَ إِلَى تَأَوَّلِ تِلْكَ الْأَكْوَابِ مَادَرِ الْمُحْنُونَ الْمُخْتَبُونَ، وَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَجَابُوا مَهَادِينَ النُّفُوسِ عَلَى مُقْتَضَى السَّنَةِ وَالْكِتَابِ.

وَهَرَعُوا إِلَيْهِ وَكَرَعُوا مَا لَدَيْهِ مِنْ كُلِّ مَرٍ سُرَّ بِهِ السَّرَّ. وَبَرَعُوا بِذَلِكَ الشَّرَابِ مِهَالِكَ طَلْفُوا النُّفُوسِ، وَأَطْلَقُوا الْهَيُوسَ فِي سَحْرِ الْهَوَى مِنْ دَوْلَةِ الْأَشْبَاحِ.

وَخَاطَرُوا فِي الْهَوَى بِالْأَرْوَاحِ لِأَجْلِ طَلَبِ الْأَرْوَاحِ بِدُخُولِ حَصْرَةِ الْكَرِيمِ الْفَتَّاحِ، الَّتِي لَيْسَ لِكَامِلِ عَنْهَا بَرَّاحِ.

وَضَعُوا بِالْإِسْرَارِ؛ حَيْثُ ضَعَعُوا بِالْأَسْرَارِ عَنْ غِبَارِ الْأَغْيَارِ. وَشَامُوا بَرَقَ تَحْلِي الْأَسَاءِ وَالصِّفَاتِ كُلِّ مَا سَامُوا قَرَبَ الدَّنَاتِ. فِي سَاءِ الْكُونِ أَصَاءَ وَلَاحَ فَتَحِيرُوا وَمَا تَخِيرُوا.

وَحَرَجُوا عَنِ الْمَرَادِ، وَاهْتَدَوْا لَمَّا ائْتَدَوْا بِمِهَاجِ سَيِّدِ الْعَادِ، وَسَلَمَ مَنْ هَاجَ بِهِ يَحَرِ الْحَمِيرَةِ مِنْ غَرَقِ الْفَرَقِ، حَيْثُ سَلِمَ مَا جَاءَ عَنْهُ بِحَسَنِ الْاِئْتِقَادِ.

وَعَلَى آلِهِ ائْسَادَةُ الْقَادَةِ الْأَخْبَارِ الْأَخْبَارِ، وَأَصْحَابُهُ الدِّينِ رَفَعُوا عَنْ قُلُوبِهِمْ بَرَجَ

الوقوف مع الآثار.

وحصوا من لدع قلبه القلب بحصص شهود^(١) المؤثر الواحد الفاعل المختار.
وأحياه الدين دهشوا برؤية الساطي عن الشراب وحبابه.
وسكروا^(٢) بالعبية فيه عن أن ينعنقوا إلا به، وأن يلودوا إلا بحبابه فرادهم بالعبية

(١) قال الشيخ ماء العيص: والشهود معناه الحضور، وعبد الموم دوم المراقبة والحضور مع الله تعالى، لا يعمل عن الله طريقه عين، ومن وصل إلى هذا المقام وجد المدة حتى في الألام والأقسام، والمشهود والمشهد بمعنى المشاهدة التي تحصل لأهل الله تعالى، بسبب تجنيه عن قلوبهم، فيشهدون ذاته أو صفاته أو أعماله على حسب استعداد التحلي عنهم، وهذا أسهود إما هو في القلب فقط دون البصر، م رؤية الباري تعالى بالبصر مستعنة، وبالأرواح والقلب جاذرة، ولذلك قال سيدنا عمر عليه السلام: «وأي قلب ربي».

وقال الإمام علي عليه السلام: «لا أعبد ربياً لم أرقه» أي بروحي.
وما يحصل للعين الجسماني من الرؤية في الحمة بعد الصفاء يحصل لبعض أهل الصفاء في الدب في نقطة بالروح؛ إذ الدنيا والآخرة للروح الصافية بيان، والله الواسع.
فقال في المطالب الوفي: والمشهور عند علماء الظاهر والباطن كالمشركي والعرالي وغيرهما أن المشهود والرؤيا إما هنا في القلب بدون المقابلة في هذه الدار الغابية لأن البصر فإن والحق تعالى ساق، ولا يرى الباطني بالباطني، فإذا كان يوم القيامة ركبوا تركيبتاً باطنياً، فكانت أنصافه بالية، فصيح أن يرى بالباطني، ونحو هذا منقول عن الإمام مالك، وهو مستحسن.

والجبرون قالوا: إما قل تعالى: «لَا تُذَكِّرُكَ الْأَنْصَارُ» [الأعراف: ١٠٣]، ولم يقل: لا تراه. وانظر: ميل المآرب للبشر شرح الكبريت الأحمر (ص ١٣٩) بتحقيقنا.

(٢) قال الشيخ نقاشاني رحمه الله: السكر: عية بوارد قوي، وهو يتصل علم الأحوال، وهو يعطي المضرب، والأسلناد المفرد وإبراط يعطي هنت الأسرار، والعبية فيه إنما يكون عن كل ما سمي الفرج والسرور، والسكر على ثلاثة أقسام: طبعي، وعقلي، وإلهي:

فالتطبيعي، هو ما تجلله التهور في عينها، من الالتداد، والانتهاج، وتوارد الأمان. حين مشاهدتها في أسيال صور، فائمة ها الحكم والتصرف، والخواص، فإن النفس لا بران ترائب ما يحصل بحصيله من المطالب، حتى يظهر ها في صورة محبوبة، تظفر إليها وتحرر عنها وبصرف ها.

مثل قوله عليه السلام في التحني المعنى: «أوتيت قدحاً من النسي، وأمن الله في قلبه المتصلي» في عين التحلي نحو ذلك، وهذه الصورة المحيلة في عية السكر قد تشمل مصاحي إلى مرتبة المحس فيصير محمداً كتحقق حبه خيلها إيس بتصرفه في جدول الخيال المفصل المختص بروائع الخس يعني ها سليمان عليه السلام في المحس منه، من الله تعالى عليه.

وأما المعلي: فهو رد الأمور إلى ما يقصه الأمر في نفسه، وذلك لمن يرد عنه في سكره: الخطاب الإلهي، بصرب يشعر باتصاف الحق، ببعض بعوت المحدثات، فيأتي قبولها، أو يفتنبها سا يقتصبه نظره مع جهله بالحق في نفسه أنه يفضل ذلك في نفسه، وفي موضع ما، أو لا يفضل، فأما بعده

حضوراً، وبانصاء بقاء وحضوراً.

ورائهم بالخلق الجمالية؛ حيث لازموا به له الوقوف على أعتابه.

واجعل النهم منهم وانوارث عنهم كلا من أخوي الروح، ووندي الفتوح، اللذين أولهما نقيب رجال الفقراء من حياء حبه أشارت بالتحويف إلى قبول التحويف في مقام الاستعداد.

وسين سناء يرق قربه تسننت عن إمداد استمداد طبه من مشهد حقائق الوداد.

وبون نور برق نور أعصاب روض أفيامه أظهرته بعد إيهامه بعلو نقطة الأفراد وطهرته من إيهام الأوهام ومبرته عن الأفراد، فصار بذلك حسن الأقوال، والأفعال، والأحوال ملفياً بطويل الباع في نزال الأبطال أرباب المجال.

مكى بأحمد الأوصاف في معرض الانصاف والإصاف بين أكابر الرجال المقصود بالبشارة والإشارة، المصمود بالتحريض على رفع الستارة. والتعريض بإعراصه عن موافقة نفسه الأمانة، عسى أن تظهر عليه أمارات الإمارة، ررقه الله الحسى وريادة، وأتمم عليه نعمه، ورجب له موجبات السعادة، ورجب به في مقعد صدق القرباه.

والهمة سر العبودية^(١) في الطاعة والصادة.. آمين.

حالتد وقع في حد الإيمان، ولم يرد الخطاب الإلهي، واعتقد أنه أعلم نفسه، وبما سمع إليه. وأما الإلهي فهو شرط السرور والانتهاج بوجود الكمال ومريده مع الأخص ومنه: «رب ردي تحيراً». وهذا السكر نتيجة الشهود، ومن كان سكره عن شهود فلا يصح أبداً. ولذلك قال رحمة الله عليه: «رب ردي تحيراً». وكل حال لا يورث طرناً، وسطقاً و دلالاً وأسا أسراراً إلهية، فليس يسكر بل هو عفة، أو ماء، أو عو، أو نحو ذلك والعية. عبة الغلب عن علم ما يجري من أحكام الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من جناب الحق، حتى أنه قد يجيب من إحساسه بنفسه فصلاً عن غيره.

(١) قال الشيخ الشرفاوي رحمه الله. (العبودية). وهي الدلة والافتقار والحب بعت إلهي، وهذا ما لم يجد أبو يزيد الشبلي شيقاً بتقرب به إلى الله تعالى ليس للألوهية فيه مدخل، قال: يا رب بماذا أنصرت إليك؟ قال الله تعالى له: تقرب إلي بما ليس لي: إن الله والافتقار. انتهى.

فالعبد معاه الدليل، يقال: أرض منسدة: أي مدله. قال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون». [آدم: ٥٦]. أي ليلذوا لي، ولا يدنوا مني لا يعرفه. ولنا فسر ذلك ابن عباس بقوله: أي ليعرّفوني فهو تفسير بالآراء، وإما حص هدي الحسنى بالذكر لأنه له يدع أحد لأخيه والتكبر على الله تعالى من سائر المحنقات غيرهما، ولم يتحقق بتمام العبودية على كماله أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هذا مخلصاً في جميع الأحوال التي تخرجه عن مرتته؛ ولذا شهد

وثانيهما: رقيه المحرص له على ما به نفيه من ركب سوايق نواقب الأفكار، وترك طائيا للمحد والاحتياط موارك الأفكار، وبكر باقتصاص آرام المعاني النقية من شوب الانتقاد والإسكار، واقتص من مسائل الوسائل والمقاصد مخدرات الأفكار، وحازما استبعاد من تقول بفهم جديد معضده، وبضده، وكمله، وجمله من معاني المصاني بشوب جديد.

والسه حلل التحرير بحميل التعبير، وجلب التفييد، ورفع بديع التحديد، فحار بدلك جميع الماخز، وجار مبيع الماور غير معاجر ومكار، وشد بالعم والحرم منطقة الحرم، وراحم بالماكب غير مراكب الأكابر، وركب أفيال الإقبال، وركب لأنى الأقبال بحسن نظم عقد الأقوال، ففان في ذلك الأقبال.

وقرّ تحرير تعريه عيون القلوب، ومرّ عبر تعريه على كل طالب فأساده، وأشاده، وصبره؛ لأجل النظائف مطلوب الإمام المهام، أحف الروح من سكارم الأخلاق مسوب، وللمعالي عطلوب.

الله تعالى به بأنه عبد مصاف إليه بقوله: وإنه لما قام عبد الله بهتجاء الذي أنشأ بهده. [الإسراء: ١]، وما أمره تعالى بتعريف مقامه يوم القيامة قل: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، بالراء: أي ما قصدت الفخر عبيكم بالسيادة، بل أردت نعيكم بشرى لكم؟ (د أنتم مأمورون بأياحي. ورؤي: «ولا فخر بالراء: أي ما فقه منجج» إذ الفخر: السجج بالباطل في صورة الحق، والمحد مع الحق في حال عبوديته كاطل مع الشخص في مقابلة السراج، كلما قرب من اسراج عظم الطل، ولا قرب من الله إلا بما هو بك لا به، وكما بعد من السراج صغر الطل، ولا يعذك عن الحق إلا خروجك عن صفتك التي تستحقها، وضعت في صفته تعالى.

قال الشيخ الشيرازي في رسالة الأنوار القدسية في معرفة أدب العبودية: واعلم أن سبب عهدي العهد عن عبوده كونه محوفاً على الصورة؛ والله تعالى العزة والكبرياء والعظمة يسر هذه الأحكام في العهد تحقيقاً للموقع، والكامل من العهد هو الذي لا يصرفه خلقه على الصورة عن الفهر والمدة والعبودية؛ لما عرف من بهسه من المعز والمصعب والاعمار إلى أدنى الأشياء، واستلم من قرصة برغوث، وهذا يذكرك كل إنسان من بهسه دوقا، فليحذر العهد من رؤية نفسه على أحد من رعيته، ولو عبده الذي في رقه؛ لأنه ربما يكون عهد الله أحسن منه حالاً، كما ورد في الحديث، وليحذر من قوله: نجعل رأسك براسي أو مثلك بعثي أو غير ذلك، فإن هذا كه دليل على الجهل والقساوة والكبر، والله لا يحب المتكبرين.

ولو لم يكن في ذلك إلا أن الله تعالى يكرهه لكان ذلك كافياً في الزجر؛ لأن العهد كلهم حرمهم ورفقهم منك به تعالى. لا فصل لأحد على أحد إلا بما فضله سيده به، وهو لا يعلم إلا بوحى، فالزم الدل وبرك البرحر لعبدك وخدمك إن كتب عهد الله. انتهى. وأطر: شرح الحكم الكردية للشيخ الشيرازي (١٣٧) جحقينا.

وفضل علمه وعرفه أشهر من علم على علم، له عرف يهوج، وبور تصحيف فخره
في ألق ساء عزه عن شمس دلاحه ينتشر ويلوح، وتصحيف عين أصل اسمه، صبره صاحب
عيون، وطيب جل اسم منشأ جسمه أكسبه التمتع بأجل الفنون.

حد لله الذي منه الأعمال، والأقوال بحاه سيدنا محمد ﷺ الذي بان عنه كل سر
مكتون أمين أمين أمين.

أما بعد...

السلام من السلام، فيما دوي العود، ما بال ود لم يصرف بما عهد نحدد مراسلة
مياه الموداد، وقد دوي العود، وبرق قرب الوعود تحلف، ولم تزجر النفس بمرعجات
الرعود، عسى بسبب^(١) صيب^(٢) مرد ورد الأعمال بالمواري بين ما قسي، وبورق
أعصاب العود فقد مضى من الأيام بعد الاجتماع ما يوف عن اثنين ولكمها مع عدم
وجود ما يحدد الوداد، ويسدد المراد، ويحدد المواد عن موجبات البعاد، ويساعد على
الوفاة، ويناعد موجبات الخفاء من مواصلة المراسلة.

صارت لدى عاجركم أطول من سنين عمل أحسستم إلى رقي، ودماء سور بمسطور في
رقي مشور، يفيد السرور بما أتم عليه من العمل السرور، ويعيد له الخور؛ لأن بحير
قلبه المكسور والله يحب المحسنين.

وظلما وجه انقلب الخربيع نحو ياديككم كي ساموئه نديكم من إمداد وادفات الأوراد
ينثر. وينثر، فيقف متطفلاً على أبواب قلوبهم ياديككم، طائلاً أياديككم، فما يُجاب بشيء
من مقاصده، ولا بما تبسر فيرجع، وهو بانك شاك غير ناكل أعاديته ممن بالشتمات ياديه.
يتأوه ويتحسر فما أدري أصمم قام بأدنيه أم عمي بعينه فلا يسمع ولا يبصر، أم
عقلة منه، أو عه بما هو منتصف به مما ظهر لكم فيه من الصفات التي لا تجدي ولا
تمر، أم انحطاط مكم في الهمة عن السهوص إلى المقاصد المهمة التي نحوها أبطال
الرجال تشمر.

فإن كان من حيث أوصافه الأول، فاستعمر الله العظيم، وإن كان من جهة العقلة عه
فليس من شأن الكرام الوقوف على عيوب الخدم.

وإن كان من القليل الثالث فلا والله يمكن حصول التسليم، بل لا بد من ركوب جواد

(١) السبب: بالفتح عطاء، وبالكسر مجرى المياه.

(٢) الصيب: بالشدائد مكسورة: مجرى السماء، والإرقة.

سوايق المسم، فالخرب سجال، وقتل علام النفس بسيف محاربة الهوى، ومراعاة أرباب المجال فذلك أفضل الأعمال كما قال مطهر الكمال، ومظهر الخمال، فإن لم تكونوا أنتم الأولى بالانقاد إلى مساجه من الأحق باعتقاد خلقه، وإيقاد سراجيه، والعروح إلى سماء حقوق الربوبية ذات بروح اليهودية على معراجيه نعم، وإن كانت المنّة في تحلص القلب مما سواه مشهودة، فالهداية بإحراق المداية ومكابدة النفس في الكتاب والسنة معبودة، وأرواح المهلدين المكابدين بأرواح القرب والرضوان مملودة.

فلو بدتكم المهمة في رفع المناع من شهود الخصرات الجمالية بماء الامتثال المطلق عن التقييد بقيد يلزم النفس الآية أو الروح الكمالية.

وهضمت إلى الوقوف في عمار محاربة الهوى بشهود المعية الألمعية الجلالية. وجردتكم فلكم المصارع كما عليه أرباب السمو عن مطلوب الروح الناصب، ومرعوب النفس الجارم، وأعطيتموه عقد من مدلوله الملازم لا تدرجتم بذلك مرفوعات الأساء في المقام الأسى.

وعولتم على الفعل المتعدي لا اللازم فالقصور غير مصور كلا والله، ولا التقصير عند أرباب المسم العالية والمقاصد العالية من كل عارم حارم جارم، فما كان طئي ضكم ببدل الروح في طلب المعاني فصلاً عن الأشباح، وكيف وإعاقها على العوالم هو الإساء الذي بالاتفاق ما فيه جناح.

وها هو ليل بيل وصل الملاح، أدن بطلوع صعره، وأذن ماديهم بناديهم ماديهم حي على العلاج.

عالمسعد العبد عن الأكوان الغريب من المعبد الذي كل يوم هو في شأن، الغريب عن الأوطان، والأهل، والأصحاب، والإخوان الذي أثار نار المجاهدة بأعاس شوقه، وأثار أثار الأعباء بعظيم عظم أحواله وتوقه، وأثار أودية العواد بواردات الأوراد وصحيح دوقه، وما انقضى إلا من فرح بره، وما برح، وما فتى عن بره، وقربه، وقربه، وشاهد الأشياء كالأفباء، ونسب قيامها إلا بالوجود الحق، والحق في ذلك يسير به، وليس ملائس الجود، وجاد بالموجود، وحاد عن كل الوجود، وحان وما حاد اليهود إلى اليوم الموعود، وتم له الحنا بامتلاء كأس المنى، وشربه.

والإمام من أم أم المقاصد، وثبتت منه الأقدام، وكل ما رام المقام بمقام نادته هواتف حقيقته المطلقة أمام: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ لَشَيْءٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

لكل شيء إذا فارقه عوص ونسب لله إن فارقت من عوصي

من طلب الله وجهه، ومن وجده ما نقد شيئاً.
والصد بالصد، والجد بالجد، والجد أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكوّن. فإن شاهدته
كانت الأكوان معك.

والفرق أظهر من شمس وسط النهار كلما خرجت عنك زاد اليقين منك.
«كان الله ولا شيء معه؛ والآن على ما عليه كان»^(١)، الباقي وكل من عندها فان:
«ألا كل شيء ما خلا الله باطل»^(٢)

يسمع ذلك الداء سماع قبول، وبوجه وجه قلبه إلى حضرة ربه لم يحط الرجال إلا
في عطف الرجال، ويدخل حضرة قدمه، ويحتج بلذة أنسه.
ويدرك من حضرات الأسماء والصفات جميع المرام، فيجند يقنّدي بأفعاله، ويهتدي
بأقواله. ويستمد من أحواله، فهو الممام ذو الهيام؛ حيث علت على الأكوان منه المهمة،
وعاين الخلق بالحق، وسار بالذل والانكسار.
وحار بذلك بين الناس أمة، وحلّ في بطن مولاه حين حلّ حمة رصاه، وبالحسنى
تولاه.

واستمد منه جميع من أمه من الأمة، وتطيب يطيب الرجال الذي خفي نوبه عن
العيون، وظهر لدى أرباب المجال سره المكنون، فهو وإن جهل بين العامة معروف، لدى
الخواص سر بهد الاحتصاص، ومربل العيون، وترك طيب القواعد من النساء الثلاثي جهل

(١) رواه الساني في الكرى (٣٦٣/٦)، وابن حبان في الصحيح (٨١١٤) بحقه، وقال الشيخ
مشعري: معناه أن الذات المتعالية لم تتردّ عما كانت عليه بوجود شخصية الخلق، بل جميع
الوجود مظاهر للذات، ففي حال عدم خلفه يكون التحلي في الاسم الباطن، وفي حال وجودهم
يكون التحلي بالاسم الظاهر، وهو تعالى صاهر لصفه، باهر في صفه؛ إذ ليس في الوجود حقيقة
إلا إياه، والمفرد من الكثرة مظهره وشعوره.

واعلم يا أخي أن تحلي الحق تعالى دائماً إما هو بالجلال الممزوج بالجمال؛ لأنه لو تحلى بالجلال
انصرف لأسمى الوجود المقيّد، وهذا التحلي الممزوج هو الذي يسرل فيه إلى سماء الدنيا كل
شيء، ثم لا يكون ذلك إلا في صورة الكامل، ومن هذا قال النسفي: ما في الجملة إلا الله؛ إذ كان
كامل عصره.

ولا إشكال في ذلك؛ لأن المعنى ما في الوجود إلا الله، كما لو قلت: ما في المرأة إلا من تحلى
فيها لصفك، مع علمك أنه ما في المرأة شيء أصلاً مما تحلى فيها. وانظر: الميراث المدبرة خمسة
لعقائد القرّة العلمية (ص ٨٨) بتحقيقها.

(٢) رواه البخاري (١٧٦٨/٤)، ومسلم (١٧٦٨/٤).

جهل، وأظهرن سرهن، ولم يفرقن بين الصباح والمساء، وعضل سمن الداء، وتحير في لذائهن الفاهرون من الأسى؛ لمتعتهن بما حفي ربحه، وعرف لونه بالطهور، وذلك أدنى حال؛ لأنه كما قيل: يقسم الطهور، ويقوي النفوس على الوقوع في المهالك والظلمات الخوالك، المانة من دخول حصرة مائل الممانك، ويضعف القلب عن استعمال الطهور. فإهل الوداد الطائين بيل المراد الأمر لا يتم إلا بخلق علي الكونين ومياية العباد والوقوف على الأصول المؤذن بالوصول، ومداومة الأوراد، أثناء الليل، وأطراف النهار مع مراعات الشروط، والآداب، والفضيلة عن جميع الأفعال.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَلِمْ يَدَكَ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧، ٨].

فمدار الأمر عند رجال هذا الحال على واردات الأوراد التي تنج حسس الأحوال، ولكن لا تكون إلا بالجد والاجتهاد، وأصل تطهير القلوب من راد الذنوب ذكر علام العيوب على الوجه المطلوب فيه يرفع النقاب، ويكشف الحجاب، وتعرف الأحباب مع ملاحظة ما يدل عليه قوله: ((أنا مجلس من ذكرني^(١))).

ولا شرف أعظم من هذا شمر، وأرحمكم الله عن مساعدتي الجهد والاجتهاد، واتركوا دي اللوم وهديان من هادا، ودعوا الوقوف مع فرائد السطور، ورغوا ما يوجب الخوف من فلاتد الطهور، وسارعوا إلى ما يذهب البين، ويريل بقط العين عن العين. فيكشف لقلب ما هو عنه من عيوب العيب مستور موافقه لا علم إلا ما تعجز من بتابع الحكمة في أرض القلوب عن حصرات الأسماء والصفات بالإحلاص.

وهو الذي أشار إليه ﷺ بقوله: ((إن من العلم كهنة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله^(٢))).^(٣)

(١) رواه أبو نعم في حلية الأولياء (٢١٧/٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠٨/١).

(٢) رواه الذهلي في القفوس (١/٢١).

(٣) قال الشيخ الكافي رحمه الله في جلاء القلوب (١٥١) بتحقيق: قلت: وحديث. إن من العلم. أخرجه الطيبي في ترغيبه من طريق عبد السلام بن صالح وهو أبو الصلت اهروي قال: حدثنا سفيان ابن عيينة عن ابن جريح عن عطاء عن أبي هريرة مذكور. وذكره المنذري في الترغيب في كتاب العلم. مصدراً له يروي ومن قاعدته أنه لا يتدرجها إلا الحديث الضعيف أو الواهي الذي لا يترقى إليه احتمال التحسين. وأورده القطب المصطفي في كتاب له في النصوص وقال: إن من شاهد من مرسل معبد بن المسب. وقال الشيخ الأكبر في موحته في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة بعد أن أورده فيها بلفظ: «إن من العلم كهنة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله، وإذا

وقد عولت عليه الأكابر، وتنعت به أرواح الخواص الذين تحلصوا بالموت الاختياري من سجن النفوس، وصبق الألفاص، وخرجوا إلى فضاء التفويض والخروج عن المراد، وشاهدوا قيام الأشياء به حق يقين وسلموا له القيادة، وفي مرادهم في مراده، ومنبتهم في مشيخته فلا يشاعون إلا ما شاء، ولا يريدون إلا ما أراد، وهذا هو المقصود عندهم بالاتحاد^(١).

نظمو به لم يحركه عليهم إلا أهل المرة باقعه. هذا من طريق الكشف عند أهله حديث صحيح مجمع عليه عندهم خاصة، عرفوه وتحققوه. قلت: وهو في شرح المشاهد القدسية ليست عجم بنت النفيس (تحقيقنا).

(١) قال الشيخ الشمراني: ما بقي أحد من الخلق إلا قال بالاتحاد، مما سمع منه أحد، لا سيما العمارة بالله الذين علموا الأمر على ما هو عليه من شدة الوصلة والقرب، كما أنشد بعضهم:

فَجِئْتُ بِمَنْكَ وَمِنْـي أَذْنُفْتُ بِمَنْكَ فَتُـنـي
أَذْنُفْتُ مَنكَ حَتَّى طُنْتُ أَتُـنكَ أَتُـنـي

لكن منهم من قال به عن أمر الخي.

وصيغة من قال به بما أعطاه الوقت والحال.

ومتهم من قال به ولا يعلم أنه قال به، فهم مختلفون في الأحوال.

وقد أحال الاتحاد أصحاب النظر العقلي؛ لأن عندهم تفسير الذاتين ذاتاً واحدة، وذلك محال في العقل.

وأما أصحاب الكشف فلما قالوا به؛ لأنهم يرون ذات واحدة لا ذاتين، ويعملون الاختلاف في النسب والوجود والعين واحدة في الوجود والنسب علمية.

وفيها (يعني النسب) وقع الاختلاف، فإن الذات الواحدة تقبل الصديق من ستن مختلفين، كما قال تعالى: «فَأَحْرَتْ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ» [التوبة: ٦].

وقال ﷺ: «إِنَّهُ الْقَائِلُ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

وقال السيوطي في الحديث القدسي: «إِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ»، وغير ذلك قولاً شتافاً؛ لأنه ذكر أحكامها.

فقل: سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.

ومعلوم أنه سمعه يسمع، أو يذاته يسمع، وعلى كل حال فقد جعل الحق هويته عين سمع عبده وبصره ويده ورجله، إما يريد ذات العبد، وإما صفته، وإما نسبه.

فهذا هو قول الحق الذي لا يترى فيه أصحاب العقول.

لكن اتحاد الملك قوله مع عبده بذلك:

«وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» [الفره: ٣٠]، مضاف عمل السبح له.

والرسول كذلك يقول: «مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ» [المائدة: ١١٧].

ومن السب من يقول: «يَقُولُونَ أَهْ نَا نَمُرْدُوكون فِي الْحَاثِرَةِ» [الدرعاب: ١٠].

مضافوا القول لأحسبهم.

والسماوات والأرض والجبال تنبئ، وتشفق من عمل الأمانة، وتقول:

«أَتَيْنَا طَائِعِينَ» [فصلت: ١١]، وتصيغ الإتيان لنفسها.

لما في العالم إلا من سبب العمل إلى نفسه دون الله مع علم العلماء بالله أن العمل لله لا لغيره.

«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» [الصافات: ٩٦].

وعز الناس كون الحق تعالى أصناف العمل والفعل لهم، وفيهم أن الإصافة سائغة من معنى مخلص، فانه تعالى خالق العمل وموحده والعبد مطهره، إذ كان العمل لا يظهر إلا في جسم.

فمن إصافته تعالى الأمر حكاية قول المحدث لسيمان رحمه الله: «خُطْتُ بِمَا نَمَّ خُطْتُ بِهِ» [التمل: ٢٢].

بني من العلم.

وقال سله: «يَتَأَيَّهَا التَّمَلْ أَدْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهَرَّ لَا يَشْفَعُونَ»

[التمل: ١٨].

وقال تعالى: «يَوْمَ نَشْهَدُ عَنْهُمْ أَسْهَنَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ» [النور: ٢٤].

وقال من الجلود: «قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ أَلَدِي أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ» [فصلت: ٢١].

وقال: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» [الإسراء: ٤٤].

لما ترك شيئاً من المخلوقات إلا وأصناف العمل إليه.

وهذا المقام لا يُمكن لمن دخله أن يرأس عليه أحد من جسده، ولا أحد من المخلوقين، فإن

الأمر واحد في نفسه، والواحد لا يرأس على نفسه.

وهو مقام عزيز، العالم كله والجميع له، ولا يعلمه إلا أهل الشهود، ونكس من الأولياء من ستر

الاتحاد بالمعاني لا يفهمها إلا الأكابر.

ومتهم: من كشف ذلك لحال غلب عليه.

فمن ستر ذلك سيدي علي وفا رحمه الله، فقال مخرجاً ذلك في قلب لسان الحق تعالى:

إِذَا كُنْتَ تَنْظُرُ مَعِيَ الْمَرَاتِبَ صَوْرَتِي وَأَنَا الْمَدِّي لِسَكَ مَعِيَ الْمَشَاهِدَ شَاهِدٌ

وَإِذَا تَنْظُرْتَ عَلَيَّ الْحَقِيقَةَ دَاتِمَا وَأَنَا وَأَنْتَ هَمَاكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ

وقال عفا الله عنه:

إِذَا مَا كَانَ لِحُضْرَتِكَ عَيْنٌ فَسْتَدِيرِي مِمَّا دَاكُ دَسِيرٌ صَدُوكَ مَعِيَ السُّودَادُ

وَعَلَيْكَ أَنْ كُلَّ الْأَمْرِ أَمْرِي هُوَ الْمَعْنَى الْمَعْنَى بِاتِّحَادِ

وقال رحمه الله:

هو أول وهو آخر
هو عزيز ومعاير
واحد في كل حال
مستجاب موعود

وقال رحمه الله:

قال لي كل أتسلي
يا علي أنت سائلي
قل وقل لا تكلفن
أنت ينسلي أنت عرشي

وقال أيضاً رحمه الله:

هو ثلثا وجوده
عظيم وحسن عيبه
فالكل يحس يا مني
والكل هو بلا مرء
ما نسم إلا واحداً

ومن كشف ذلك سيدي عمر بن الفارض رحمه الله فقامت عليه القيامة فقال:

وفي الصبح نعت المحم لم أك غمها
جلت في تجليها الوجود لناظري
فومني إذا لم أذع بالثمن وصفها
لماذا دُعيت كنت المجيب وإن أكن
وإن نطقك كنت المناجي كذاك إن
والد رُفعت نداء المحاط به يتنا
فإن لم يحوز رؤية الله واحد
سأخو إنشادات عليك حمية

وقال رحمه الله:

هو ساطع وهو ظاهر
هو مشهود وشاهد
بحسب ما يشاء
صارت عنه موارد

أنت هو التعبير عني
أنت أروحي أنت شامي
نسخ وصريح لا تكلفي
أنت فرشي أنت أنسي

وعنه شمس وجوده
مستراة من ريشته
لأنها حُفوت
إن أطلقك فتبوءه
معدده معدوده

وقال رحمه الله:

وقال لي بدائي إذ تحللت تجلست
نسي كل مرئي أرقا برؤي
وعندتها إذ وجدت نحو هجي
مناذا أجاوبت من دقاتي ولبت
فمنعت حديثاً إنما هي قمت
وفي رفعتها عن فرقة الفرق رفعت
حجراك ولم يلبث لبعدي كبت
بها كبارات نديك جليلة

أولئك الذين هداهم الله، فهداهم اقتده، وأولئك هم أولوا الألباب.
 وفي هذا القدر كفاية لمن أدركه العناية من آرياب الدراية: «كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ
 شَاءَ ذَكَرْتُمْ» [عبس: ١١، ١٢] «وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل

وَأَنْتَ بِالْبَهْرَمَانِ قَوْلِي خَارِبًا
 مَشْبُوعًا بِسَبِّكَ بِي الصَّرْعَ غَيْرَهَا
 وَمِنْ لَعْنَةِ ثَبَلُو بِعَمِيرِ لِسَانِيهَا
 وَفِي الْعَلَمِ حَقًّا إِنَّ مَبْنَى غَرِيبَ مَا
 فَلُو وَاحِدًا أَمْسَيْتُ أَصْبَحْتُ وَاحِدًا
 وَلَكِنْ عَنَى الدَّرَكِ الْخَفَى عَكَلْتُ لَوْ
 كَذَا كُنْتُ حَيْثَا قَبْلُ أَنْ يُكْتَفَى الْعَطَاءُ
 أَوْ رُوحٌ يَلْقَى بِالْعَبِيدِ مَوْلَانِي
 بِغَيْرِ قَوْلِي تَكْسِي التَّسْوَامَا بِحَضْرِي
 أَحْسَلُ حَضِيرُ الصَّحْوِ وَالسَّكْرِ مَرَجِي
 فَلَوْ جَلُوتَ الْعَيْنِ عَنَى اخْتِيسِي
 فَمَنْ بَعْدَمَا جَاءَهُتُ شَاعَدْتُ مُضْهِدِي
 وَبِي مَوْقَفِي لَا بَلَّ إِلَى تَوَجُّهِسِي
 فَفَسَارِقُ ضَلَالِ الْقَسْرِ فَلَا يَجْمَعُ مَتَجِ
 إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا التَّسْوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: دَلَّ فِي ذَلِكَ الظُّمُّ الْكَثِيرُ. بَلْ كُلُّ اشْتِعَارِهِ فِي الْإِتِّحَادِ مِمَّهْ قُوَّةُ:
 [بَلَّكَ لَا تَطْطُرُ الْبَلَّ] لَا تَتَّبِعُ الْعَلَطَ أَنْتَ هُوَ مَطْطُ
 فَلَنْ نَمَّ سَوَى مَرْدٍ بِعَمِيرِ عَيْرُ الْكَثِيرِ فَلَا تَلْوِي عَلَى أَحَدٍ
 وَعِنْدِي أَنْ هُوَ الْهَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ بِالْإِتِّحَادِ كُلِّهِمْ لَمْ يَصْحُ لَهُمْ إِتِّحَادٌ فَطَّ إِلَّا بِالْوَهْمِ.

وَانْظُرْ كَلَامَهُمْ تَحْدِثُ مِنْ أَوْنِهِ إِلَى آخِرِهِ لَا يَرُوحُ مِنَ التَّوْبَةِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ مِنْ عَنَابِ وَخَطَابِ.
 وَتَأْتِلُ مَوْلِ السَّرِي- (تَأْتِلُ لَا تَطْرُقُ السَّرِي) مَعْنَى قُوَّةُ: (تَأْتِلُ) بِمَعْنَى التَّوْبَةِ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهِ بِهَا،
 وَلِلَّذَلِكَ دَهْبًا إِلَى خِلَافِهِمْ، وَعَايَةً أَحَدَهُمْ أَوْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: (أَنَا هُوَ)، مَمْدُولُ (أَنَا) خِلَافَ
 (هُوَ)؛ فَمَنْعِلُ.

المعفرة ﴿[المذثر: ٥٦]﴾.

وصلّى الله على سيدنا محمد الذي نور حبه للقلوب مطهرة.

وعلى آله وأصحابه الكرام البررة آمين آمين، سبحان ربك رب المعفرة عما يصنعون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تمت هذه المراسلة بحمد الله وعونه

حاشية الشيخ حسن رضوان

على

الوصية الجلية للمساكين طريقة الخلوتية

لمسيدي مصطفى البكري الخلوتي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد كتبت كتاب
استاذنا ايد الله تعالى بها مشيخة الشيخة الموصية
الجديدة للسالكين طريقه الخيرية على بعض كلمات
حوادث منها قوله عند قوله فيها فان من سلك
بغير دليل ناه وربما هدى مع السالكين قال
الشيخ ايد الله تعالى بتوفيقه وعرفه طريق الحق
وتمزيقه بسم الله الرحمن الرحيم والحمد
العظيم والصلوة والسلام على صاحب الخلق العظيم
وعلى آله واصحابه اهل المجد والكرام والنائبين
لهم باحسان الى يوم الدين في كل وقت وحين
الدليل باب وصل الى المدلول عليه قال تعالى وانرا
البيوت من ابوابها فاسم بوابه هنا الاساقفة فن
رام سلوك الطريق بنفسه فقد غشها قال بعضهم
لان تكون تحت حكم هرة خردك من ان تكون تحت حكم
نفسك فمن لم يخرج عن موافقة نفسه في هوانها فانه كاهن
ولا يمان عن اهل نفسه الاجمول ولا يركن اليها الله من على
الرد المجبول بعد ما سمع قول الحق جل وجلال ان النفس
لا تارة بالسمو وقوله صلى الله عليه وسلم ليس عدوك
الذي يغفلك فندخلك الله به الجنة وان فليلك كانت
ذلك دورا ولكن أعدا النفس التي بين جنبيك فاذا
رمت الخلاء من دنسها والنجاة من خباياها

٤٠٢

سيد الطائفتين لا يامن على نفسه ان يخلو بامرأة
اجنبية فالوقوف مع حدود الشريعة والتمسك
بها من علامات التوفيق والخذ والخذ بالخذ
والله اعلم تمت هذه المقدمة بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
وصحبه وسلم تسليما دائما الى يوم الدين والحمد
لله رب العالمين ووافق تمام رفق هذه النسخة
الشريفة المظلمة الظريفة في شهر شعبان سنة ١٢٩٦

علي يد العبد الفقير الحقير

الذليل الكسير المعترف

بالذنوب والوقوع والنقص

المراد غفر الله له

احمد حمزة بنهاوي

النفذ اوى

الشيخ

الهاشمي

حيدر

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

الهاشمي

بإتقان يد العبد الحقير
نصفه الشاذل المذنب
في شهر شعبان سنة ١٢٩٦

اللهم اغفر لكاتبها ولقارئها ولمن دعا لنا بالاعفان

امين امين امين

ولا اله الا الله

والحمد لله رب

العالمين

م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه الإعانة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

فقد كتب جناب أستاذنا أيده الله تعالى همامش نسخته الوصية الجليلة للسالكين طريقة الخلوتية^(١) على بعض كلمات حواشي منها قوله عند قوله فيها:

(فإن من سلك بهير دليل تاه وربما هلك مع المهالكين)

قال الشيخ أيده الله تعالى بتوقيفه، وعرفه طريق سحقه وضيقه:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله العظيم والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم، وعلى آله وأصحابه أهل المجد، والتكريم، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين في كل وقتٍ وحين الدليل باب موصل إلى المدلول عليه.

قال تعالى: ﴿وَاتَّوَاتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] فالأبواب هنا:

الأساتذة فمن رام سلوك الطريق بنفسه فقد غشها.

قال بعضهم: لأن تكون تحت حكم مرة خير لك من أن تكون تحت حكم نفسك، من لم يخرج عن موافقة نفسه في هواها مما ركاهها، ولا يأمر عوائل نفسه إلا جبول، ولا يركس إليها إلا من على الردى مجبول بعدما سمع قول الحق حل وعلا:
﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقوله ﴿لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي يَقْتُلُكَ﴾ فيدخلك الله به أخته، وإن قتلته كان ذلك دوراً، ولكن أعد الأعداء نفسك التي بين جنبيك^(٢).

فإذا رمت الخلاص من دسائسها، والحياة من خائسها، فلتتحمل خلافها سيلاً^(٣).

(١) لسيدنا الشيخ مصطفى البكري الخلوتي قدس الله سره العزيز. وقد وضع الشيخ حسن رضوان حاشيته عليه. وقمنا بالتعليق قدر المستطاع حتى نعلم الفائدة إن شاء الله.

(٢) رواه المديني في المبرور (٣/٤٠٨)، والسبكي في الزهد الكبير (٢/١٥٧)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٣٨٥)، والمجلوني في كشف الخفا (١/١٤٨).

(٣) فائدة عظيمة: قال سيدي مصطفى البكري الحنوتي: وأعلم أن النفس مشتقة من المماسه وهي المسارعة؛ لأن المماس تفاعل، فلا بد لها من رؤية وجود ودعوى مع موجدتها، فتحتاج إلى علاج.

ودواء.

فقد جاء في بعض الأخبار وإن كان ليس بالمعوي عبد الأختيار أن الله تعالى خلق الدنيا وأوجدتها، وقال لها: من أنا؟ قالت له بحية: أنت الله الأحد. وخلق النفس فقال لها: من أنا؟ فقالت له: من أنا؟ صوّع لها العذاب، فلم تدع حتى ألقاها في بحر الجوع كذا كذا سنة، فأقرت له بأنوحها، واعترفت بالمودة، من هنا وجب الجهاد فيها بيردها صاحبها إلى الإقرار بهواها وحواسها، قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

قال عبد الله بن المبارك: هو مجاهدة النفس والهوى. وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد الأكبر على ما روي في الخبر: أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

وقال الحسن قنص الله سره في قوله: ﴿فَلَا أَقْتَحِمُ الْعَصِيَّةَ﴾ [المائدة: ١١]: هي والله عصية شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان.

وعن سهل بن عبد الله عليه السلام: يقول الله تعالى: «ما خلقت خلقاً يارعي في ملكي غير النفس. فإذا أودت رضائي فحافظها».

وفي الحديث: «أعدى أعدائك إليك نفسك التي بين جبك» رواه البيهقي.

وقال أبو عثمان الموهبي رحمه الله تعالى: «بلى الله الحق بسمة أمشاج كل واحد يطلب صد ما يطلب الآخر: ثلاث معصيات، وثلاث كفرات، وثلاث مؤامات، فالثلاثة المعصيات: السمع والبصر واللسان، والثلاث الكفرات: النفس والهوى والشيطان، والثلاث المؤامات: الروح والعقل والملك الهب».

وإذا تب كبرها وجب الجهاد فيها، قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَنُفِقُونَ مِنْ الْكُفَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٣].

قال سيدي محيي الدين قنص الله سره في كتابه روح القدس في مصالحة النفس بعدما ذكر الأية: والمغرب عدو لك وأعداء عليك نفسك التي بين جبك، فيها شغل ساعلي بمعاقل الهب. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَبَىٰ النَّفْسَ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التارعات: ٤٠، ٤١].

قال القشيري قنص الله سره في باب مخالفة النفس: أخبرنا علي بن محمد بن عثمان قال: أبي أحمد بن عبد، قال: أخبرنا تمام قال: أخبرنا محمد بن معاوية البسابوري قال: أخبرنا علي بن عتبة بن أبي حنيفة عن محمد بن المسكين عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «الخوف ما أحاف على أصني اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فبصد عن الحق، وأما طول الأمل فببسي الآخرة».

واعلم أن مخالفة النفس رأس العادة، وقد شغل المشايخ عن مجاهدة النفس، فقالوا: دبح النفس بسيف المحالمة.

واعلم أن من دحمت طوارق نفسه أفلت طوارق نفسه.

قلت: ولي الحديث عن صاحب القدر السيف: «اجاهد من جاهد نفسه في الله» رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن حبان، والعسكري في الأمثال عن فضالة بن عبيد.

وعن الصديق الأكبر رحمه الله: «من مفت نفسه في ذات الله آمنه الله من مقته» رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس عن نولي أبي بكر ذكره في الجامع الكبير.

وقال ذو النون المصري: مصاح الحادة الصكرة، وعلامة الإصابة مخالفة الحق والنفس، ومخالفتها ترك شهواتها.

وقال ابن عطاء: النفس محبوبة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس بحري بطنها في ملك المحامدة، والعبد يرددها بمحمد عن سوء المطامدة، فمن أطلق عصبها فهو شريكها معها في فسادها.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الردي يقول: سمعت أبا عمير الأماطي يقول: سمعت الحيد رحمه الله تعالى يقول: النفس الأماره بالسوء هي الدابة إلى هلاك المحبة للأعداء، الشبهة للهوى، التهمة لأصناف الأسواء.

وقال أبو حفص: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكسرونها في سائر أيامه كان معروفاً، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهملها. وكيف يصح لمالك الرضا عن نفسه، والكريم من الكريم من الكريم يقول: «وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء» [يوسف: ٥٣].

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن مقسمة بعدد يقول: سمعت ابن عطاء يقول: إن الحسد رحمه الله يقول: أرت ذات ليلة، فمعت إلى وردي، فلم أجد ما كنت أجد من الخلاوة، فاردت أن أدم، فلم أفلد عليه، فمعدت فم أطق المعود، فمعت الباب، وخرحت. فساد رجل ملتف بعبادة مطروح على الطريق، فلما أحس بي رفع رأسه، وقال: يا أبا العاسم ألي ماعه، فقلت: يا سيدي من غير وعد؟ فقلت: بلى. لي سأل محرك لقلوب أن يحرك قلبك، فمعت: قد فعل، فما حاجتك؟ فقال: من يصير داء النفس دواعها، فمعت: إذا حانت النفس هواها صار دواعها دواعها، فأفلد على نفسه وقال: اسمي قد أحلك هذا الحواس سبع مرات، فأيت ألا تسمعه عن الجنيد فقد سمعت، وانصرف عني، ولم أعرفه، ولم ألق عليه بعد.

وقال أبو بكر الطمستاني رحمه الله: البعة العظمى المروح عن النفس، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عمر الأماطي يقول: سمعت ابن عطاء وقد شغل عن أقرب شيء إلى ممت الله؟ فقال: أقرب شيء إلى ممت الله رؤية النفس وأحوالها، وأشد من ذلك مطالعة الأغراض على أفعالها.

وسمعت يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن بصير يقول: سمعت إبراهيم الحواصي يقول: كنت في حل النكاح فرأيت رماناً، فاشتبهته، فمدوت فاحدث منه واحدة.

تشققها فوجدتها حامصة، فصصيت وتركت الرمان، فوجدت رجلاً مطروحاً قد اجتمعت عليه الرماهير، فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم. فقلت: كيف عرسي؟ فقال: من عرس الله لا يحصى عليه شيء. فقلت: أرى لك حالاً مع الله، فلو سأته أن يحسبك ويقيمك من الأذى من هذه الرماهير فقال: وأنا أرى لك حالاً مع الله، فلو سأته أن يقيمك شهوة الرمان، فإن لدع الرمان يجد الإنسان الله في الآخرة، ولدع الرماهير يجد الله في الدنيا مكرمه، ومصيب.

وحكى إبراهيم بن شيخان أنه قال: ما بك تحب سقوب ولا في موضع عنه علق إبراهيم سيفه، وكنت أشتبه في أودع أن أتناول شعبة من عذس، فلم يتفق لي، فكنت وقتاً بالشام وخملي إلى عصاره فيها عذس، فتناولت منه، وخرجت، فرأيت قوبراً معلقة فيها شيء يشبه السمودجات. فطسه حلاً، فقال لي بعض الناس: إيش تنظر، هذه كمودجات الحمر، وهذه الذئبان حمر. فقلت: لاسمى فرحني، فدخلت حانوت اخمار، ولم أزل أصب تلك الذئبان، وهو يتوهم أنني أصبها بامر السلطان، فمما عنده صدي في اس حبوب وري مصر فأمر بضري مائتي حشبة، وطرحني في البحر، وبقيت مدة حتى دخل أبو عبد الله المغربي أسناد ذلك البد شمع لي. فلما وقع بصره عني قال: (إش تعنت. فقلت: شعبة عذس ومائتي حشبة. فقال: يحوت بحاناً! أي بلا بدل.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا العباس المعتزلي يقول: سمعت جعفر بن بصير يقول: سمعت الحيد رحمه الله يقول: سمعت السري يقول: إن عيسى تطالبني مدة ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغتس جزرة في ديس، فما أظعتها.

وسمعه يقول: سمعت جدي يقول: أفة العيد رضاه عن نفسه بما هو فيه.

وسمعه يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرزاري يقول: سمعت الحسين بن علي المرمسي يقول: وجّه عصام بن يوسف الملحني شيئاً إلى حاتم الأصم، فقله، فقل له في ذلك: ثم فته؟ فقال: وجدت في أحدي لدنني وعزّه، ولي رده عزّي ودنّه، فاحترت عره على عزّي ودنّي عني دنّه. وقيل لبعضهم: إني أريد أن أخرج عني التحريد. فقال: جرد فيك أولاً عن أسبهو ولسانك عن اللغو، ثم اسلك حيث شئت.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: من أحس في بهاره كومي في ليله، ومن أحس في ليله كومي في بهاره، ومن صدق في ترك شهوة كفى مؤثها، والله أكرم من أن يعدب قلباً ترك شهوة لأجه.

وأوحى الله إلى داود الشيخ: يا داود حذر والنز اصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقوباً عني محبوبة.

وروي رجلاً جالساً في أهوى. فهيل به: ثم قلت هذه؟ فقال: تركت أهوى، فمضت لي الهوى وقيل: لو عرس على المؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف، ولو عرس للماجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف.

وقيل: لا تصع رماحك في يد أهوى؛ فإنه يقودك إلى الظلمة.

وقال يوسف بن أسباط: لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مرعج أو شوق مقنق.

وقال الخواص: من ترك شهوة فلم يجد عوصها في قلبه فهو كاذب في تركها.
وقال جعفر بن بصير: دفع إلي الخيد درهماً وقال: اشتر به اثنين الوريري، فاشترته، فلما أنظر
أحد واحد، ووصعها في فيه، لم أذهب، وبكى، وقال: احمد. فقلت له في ذلك، فقال: عصف في
قلبي هاتفت: أما تستحي شهوة تركتها من أجل تعود إليها.
واعلم أن للنفس أخلاقاً دميعة، فمن ذلك الحسد، وقد قيل: ما على حسد من حسد نساد. بل
لا بد أن يلف ويدركه فساد.

وفي كتاب منازل القاصدين للحكيم الترمذي رحمه الله قال عيسى بن علي: يا بني إسرائيل أجمعوا
أنفسكم وأخلصوها وعبروها، تعل قلوبكم برب الله تعالى، وقال سيبا محمد بن أبي لأصحابه: ما
يقولون في صاحب إن أتم أكرمتموه واسقيتموه وكسبتموه ألقى بكم إلى شر غاية، وإن
أستم أفتنتموه وأظمانتموه ألقى بكم إلى خير غاية فقلوا: يا رسول الله، هذا شر
صاحب في الأرض. قال: فولدي عيسى بيده إيا لأفسكم التي بين جنوبيكم، حدثنا بذلك
محمد بن سبل، حدثنا عمر بن منصور القيسي: حدثنا عبد الواحد بن زيد عن الحسن بن
عيسى بن علي.

اعلم أن الموتات أربعة:

موت الجوع: وهو مخالفة النفس.

وأبيض: وهو الخروع؛ لأنه يور الباطن، ويبقى وجه القلب، فمن ماتت بطنته حيث فطنته.

والأصفر: وهو لس المرتعات من الخرف التي ليس لها فية لاصرار عيش لا يسها بالقاعة.

والأسود: وهو احتمال الأذى وكفنه.

وهذه الموتات تنشأ عن سوء النفس: أي نحو صحتها الدميعة وبقاء الصعاب الحميدة، وهل ضرت
منفس بالمجاهدة والمكاداة فيها، أو تضعف، أو ضللت، فتكون مقهورة ماسورة تحت حكم
مباحها، بعدما كانت حاكمة وذليمة، بعدما كانت عريرة وخادمة للروح بعد استئذانها لها.
ويكون التعبير بالموت: أي موته عن مرادتها، وكلنت الضعف: أي قلة شيوته، ومكناها. أي
الحكم فيها، وانقيادها وطاعتها بعد نفورها وتجاهلها هذا ما عول عليه الأكابر.

وأما استسلامها عما كان جنباً في شأنها بالرياضة فقير ممكن، لكنها متى ضعفت وانفادت
واستسلمت وملئت عليها صاحبها فادها إلى المراضى قهراً، ولكن يلزم المجاهدة فيها دهرًا، فإنه
مضى عملها وطلب الراحة عادت على ما كانت عليه، وفلت منه بعد دخولها في الراحة،
فاطف سراح آمالها العرصى الأرضي، وأوقد لها سراج مطلوبها الأصلي السماوي المراضى.

واحذر أن تكون من أمر نفسه فطاب له في سجنها حسه، ومن سوا الله وأسأهم أنفسهم.
فتكون من التسخير: أي الخالدين عن دائرة الحق إلى دائرة الباطن، فإن أصل سبق الخروج عن
الغصود.

قال رؤيه: مواسق عن فصلها جوائز، ويقال: سمعت البصة إذا منرت، والرمطة إذا خرجت من
قشرها، واجهد ألا تواقها في شهوة تطلبها منك، فجاهد فيها.

وقد كان سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب عليه السلام وجهه يقول: من لم يحط به في صلاتها لم يرضي ربه في طاعته.

وقال بعضهم: مادام النفس حية تسعى فهي حية تسعى أي مادامت ساعية في مقاصدها فهي داعية إلى الهلاك راضعها.

ونقل الشيخ تقي الدين الحلي الكبير رحمه الله في بعض مؤلفاته فقال: قد رأيت مقولاً أن في الأدمي ثلاثين وصفاً ذمياً، والنفس الأتارة بالسوء تدعو إلى الوقوع في جميعها.

قال: وسعت من حصن المشايخ يقول: إنها حمول ألف وصفٍ روي، ولا غلط فيها إلا كما قال الله: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، ومعنى الآية: إلا من عصاه ربه.

وقد قيل: لا يدرك الشخص حقيقة الإيمان إلا بدمع النفس بسبب المخالفة؛ وذلك لأن النفس بطبعها متالة إلى الشهوات والمغالب، والأمر العسل في جميعها أن الشخص لا يخلص من شوائبها إلا بضعفها بأسمه المخاض، حتى يشحنها جراحاً، ولا يفتقر عن ذلك فإنه معها كان لك حركة لا يؤمن عليك منها؛ فالدسيسة واحدة تفنك وأنت لا تشمر.

وروي مسمره بن عسداد بن موسى أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الكفن من دأب نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

وعنه أيضاً: «ثلاث مهلكات: شح مطاغ، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه».

وقال مطر القاري رحمه الله: لعل الخيال بالأطمار حتى تقطع الأوصال تعود من مخالفة الهوى إذا هلك في النفس.

وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب متى تكون لي؟ قال: إذا لم تكن نفسك. قال: متى لا تكون لنفسي؟ قال: إذا سبها كلها.

قال بعض العارفين: معنى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]: أي إذا نسيت نفسك أها.

أي من حيث نفسك ورؤيتك لها واحتجابك بها، فإذا عت عنها ولم ترها بانكليه واستغرقك مشهود عن كل مشهود هناك يقال لك: «واذكر ربك في نفسك» [الأعراف: ٢٠٥]، أي شاهد أها أثر من آثار قدرته، وإذا عرفت نفسك ألا وجود لها من عينا عرفت وبك أنه هو المهيمن عليها الجود، فتنت من دعوى الوجود، وونت في هذه الرتب إلى يوم الورد المورود.

وقال سيدي عبد القادر قدس الله سره: متى ذكرته مات محب، ومتى سمعت ذكره لك فأت محبوبة، والخلق جميعاً عن نفسك ونفسك جميعاً عن ربك، وما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك.

وعن أبي يزيد البسطامي قدس الله سره أنه قال: رأيت رب العزة في السام حل جلاله، فقلت: يا بار حياء، كيف الطريق إليك؟ قال: أترك نفسك لم تعال.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، «ومن جاهد فإنما

يُجَاهِدُ نَفْسَهُ [المكوت: ٦]. فَوَجَّهُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ [الحج: ٧٨]. «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» [نص: ٤٦].

فالمجاهدة هي النفس نفس عبادة ورأس عبادة، وهي عين السعادة ورب السيادة، ومع بدنه مجهوده في عبادته ومصارعها ومعالجتها لا يمكن أن يتخلص منها بالكلية ما دام في حكم البشرية. فإذا اعتدلت منه الذات وانسجحت إلى عالم الذات هناك يتخلص من شرها ويخرج من حلوها ومرها.

واما قوله تعالى: «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» [يوسف: ٥٣]، سواءً قلنا: إنه من كلام يوسف عليه السلام أو من كلام ربه المراد أن ذلك عزم لها بالخروج من غير، لا أنه من أصل شائتها؛ فإنها من عالم النفس والظهور، فاعلموا ذلك أيها الخاب. والله يتولى هداكم اهـ.

لأن النفس الباطنة جوهر مجرد عن المادة في ذاتها طاهرة مقدسة في صفاتها، لكنها لما أدمت لنفس الشهوانية الحيوانية والهاغات لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت أمارة، وما دُمعها ولا مسمها على تفكيرها في عبادة مولاهما سُميت نومة، ولما راد ميلها إلى عالم النفس وبغيت الإلهامات الربانية سُميت ملهية، وعندما سكنت تحت مجاري الأقدار وروى طرفها ولم يبق لنفس الشهوانية حكم سُميت مضطربة، فإذا ترقّت وبرقت لها بوارق القرب وقبت عن مسرادتها وطلبت ما الشرب وكسبت بعد النقاء ثوب برصا فأشرف وجه توجهاتها وأضاء سُميت راضية، ثم إذا قلت جميع الأسرار وتقبلت في سائر الأطوار ورضيت الحق ولها يتخلص المحض الحق مستمرحية، وإذا أمرت بالرجوع إلى العباد للكمال والإرشاد والسنة والخلقة والتفني والإنهاء بها لا يسمع انقلاب حاله وظهرت عليها علامات العز والامتنان انقرب المحض على والوصول سميت كاملة، وعدت محمولة حاملة، وهناك يحق لها أن تصدر للإفادة، وتجلس على سجادة السيادة، وإلا قبل: السلوك في هذه الملائك والحفاة من هذه المعاطب والمبالك. فكيف يليق التقدّم والإقدام على مرحلة الرؤساء من كان حقّه الوقوف في مواطن الأقدام.

واعلم أنه لا يتم لسائر السير في معارج هذا الخير إلا بإساعه لشيخ مرشده سلم من الصبر، وشهدت له الأكابر أنه قد خلص من العز، ويحق له أن يحاب إذا دعا بلى وعم وخير، ليتخلص من النفس المكلفة بسير الطير كل من كنهها حسن السير المشاهدة فعل محبها المحبوبة عن شهود مر: «مَوْطُ عَذَابٍ» [الحج: ١٣]. مع أنه عين الرحمة به بدون ارتباب الظالة معوقا إلى جوراء العرف بمور ارتقاء سلم اشرف المقاسية عصر الموت فيما حصل لها من الموت، ومع ذلك فلا تنبه من رفاها ولا تتروّد لتقوى لتقوى في يوم معاده ترى في الطاعات كرب الدواء، وتخرج في ساعات القرب مرارات النوى، سرر حظوظها لزوم الريق، ويود أن لو أظفقت من الريق فما هي إلا مطية جهل ومضة أن تكون أبا جهل، فإذا ظمرب بمن يتخلص من قبائحها ويسد أذيك عن سماع بضائنها ويدل على عيبك سترًا، فلا تشهد لوائحها، ويشقك عرفًا من معارفه فلا تشق روايتها، ويظهر لك معانيها، ويبرك عفافها وعفافها، فقد صُفرت بكسر يسر وحده ويقبل لقه، ويحب قربانه، فإذا أدركه وما وفقت لمواقفه حتى ماتك وصيحت أوقدك وأقوتك حتى عديت، وفانك فستندم بدم الكهسي لما اسبان السهار، والفرزدق

قال سيدي أبو مدين قدس الله سره: ما وصل إلى صريح الحرية من بقي عليه من نفسه بقية. ولا يمكن النجس من مهامها إلا بالذيل المعارف والمسلك الذي من يحور العلوم غارف.

قال سيده السدي الميرغالي في أحد نلامه سيدي محمد القوموي ربيب سيدي محي الدين وتسميته قلنس الله سرهما في مقدمات شرح التاليف الفارسية: من أهم المهمات لسالك الطائفة إعلام الطالب، وأولى الأسباب والشروط في مسلكه حصول شيخ مرشد وأصل عالم بالمعوم الثلاثة: الشريعة، والطريقة، والحققة، بصير عاملاً بحقائق الأمراض انفسية، والأدوية المبرمة لها، ودقائق شهباء العلوم. وتركها الخفي في كل مطلوب أو حاج، فإن السالك نفسه الواقع في مرض جهله وعقله وأنواع الأمراض المذكورة إنما هو بمقامه مريض غير خبير بحقيقته مرضه وعلاجه، فيعالج مرضه بهواه وشهوته عن جهل به ويسببه وبما يصاد من الأدوية، فلهذا توهم شيئاً أنه دواء، وفيه يكون حقه، والذي شاهده من بعض من طلق أنه من السالكين الفارفين معجناً بنفسه مدعياً بوعيه أنه داق وشرب شراباً من الشهود، ولم يشم رائحة ولا خطرته، ويظهر عرفاناً كسباً منه كنهاً شهودياً وتوجعاً باقياً بحال الإحاجة توجعاً والبردة معرفة حقيقة، حتى طرأ بعضهم وادعى أنه مهدي أو عيسى أو قطب أو نذل أو نحو ذلك، صبح ذلك من نتائج السوء بنفسه من غير شيخ مرشد، والظن بأن الخوة والرياسة والاشتغال بالذكر شهبوة النفس وإزائها وإخبارها بآفاق أو موصل إلى حضرة من حضرات الحق تعالى حل حلاله وحل حجاب الحق أن يكون مورداً بكل وارد أو يطلع عليه إلا واحداً بعد واحد: يعني واحداً في نفسه أو إصالة عنه، بعد واحد: يعني على متابعة واحد لا يصح قدم في سيرة إلا بعدة ومتابعة قدمه، فكان داء السالك بنفسه من حيث دوائه وحته في غير علاجه، أعادها الله وسائر الصادقين من شروا أنفساً وظنوها المردية وأوهامها الخفية لهم.

ومما يأكد عليك إذا عرمت على طلب أمام سالك يقبل في ميراث من المهادنة، ويجعلك من طلام أوهامك الخائنة، وبذلك عني ما فيه بحادث يوم تقف بين يدي أمانك ألا تنهات على من أثبتته يدعي الإرشاد، وينصدي لصبح الصباد، ويريك بعض شقائق لسانه، ويشير إليك موارق حبه حتى تصحبه، وتري كيف أتباعه لئس المحمدية، وتسال عنه المعارف به من أهل المراتب المسبية، ثم بعد أن يشهد له أهل الصدق والأمانة وتري أثر الهداية لانتخا عليه والتقوى لباسها رايه، فهناك فاستبحر الله سبحانه، فإن وقع لك إذن فأقبل بنفسك لهامة طمأة مارة، من السوى ماعرة فهاهنا ليل الدواء ناجوى، ملأه مقدرة مدعه لييه كالحيرانية، واصدق في الخمة والإقبال عسبه، وألق بصفت سلماً بين يديه بفتح الله أن شاء لك الأبواب، وتبعد دوح الاقتراب، وما جعلني أسبك على هذا الأمر إلا لئلا يفسد الرمان وكثرة الدعوى التي لا تدخل تحت ميراثكم من مدع مثلي لم يدك من مطاعم أهل الطريق حردنة أصبح يدعي الإرشاد؟ وما ذلك به.

فياك قلت: أين أخذت الطريق عن بعض رحاله من أهل التحقيق، فهل لي أن أأخذ عن غيرهم وأسلك سبيله وأبذل حسن سيرهم؟

قلت: إن حصل لك المرام من مسج أولئك الأقوام وحدثت من عمنات نفسك وسمعت من

واستعمل المجاهدة فيها ليلاً طويلاً فإذا لانت بعد فسوتها، وحضعت بعد شلتها، وأست بعد وحشتها، وأقلت بعد عرتها فاستنصتها لعالي الأخلاق، وشوقها لرفع الأدواق فإذا مالت لذلك، وأقلت على ما هانك، ونشعت عنه، وظهر لها من الحق ما كان هواها بحميم، حثت نحو الغريب لأوطانه، وناحت على ما صبغته نواح القمري على أعصابه، ورجعت طالبة إلهها القديم، وباديتها التي كانت به تهيم، ثم بعد هذا إياك من فلتاتها، ثم إياك أن تغتر بتركها لعاداتها بل لا تغفل عن الجهاد فيها أن تكن عرفت طواجرها وحلاقيها، وانظر قول الفائل: ما دامت النفس حية تسعى فهي حية تسعى، فمتى ما عملت عنها ربما رجعت بك إلى وراء، وأنت تظن أنك أمام لما اعتمدت عليه من حسن سلوكها والسلام.

وكتب عبد قوله فيها أيده الله: ومعلوم من هذه المراقبة أن يكون كثير الأدب مع من هو مراقب له.

جائز وهمت وحديثك وعرفت نفسك المعرفة الخاصة التي لأحنحة العبد فاضد، وكشف لك عن عوالم الغلب وأسراره وعلومه وأنواره وعن السر وسره وسر السر ومكون دره، واكتفيت بما لاح بك من أثر الرحيم، فما عليك إذا تب عن طريقك من جاح، لأنك سكت به المصحف المقويم، وإن قصرت عن نوع مشاهد هذه المفاخر فما عليك إن أسمع الأول دأخر، وأنتعت الثاني: لتكون هواءك كالساحر، وتكرع من بحر العلوم الزاخر.

فإن قلت: أليس نقض العهد مضموم؟

قلنا: نعم، لكن طلب معرفة النفس أمر مضموم معلوم، والمرضا عنها بما هي به جهل يبقى صاحبه محموراً، وإذا شاهدت أن سائر الدعاة بواب السيد المضموم وأن مقصودك الجهاد في نفسك لا الحظ العسائي المسموم، وقد وجب عليك الدواوي من الكموم ويسون طبيب حادق لا يبرئ مسموم، فم بعد إذن أخذك لهذا المقصد المضموم بقصاً ولا قصاً، بل تنميماً للأول عند نهوض في العلوم، سيما إذا كان بعد الاستحارة، وأذن في ذلك الحق القيوم.

واعلم رجعت الله أن داء النفس داء عسير، ودأها حطرت عمر يسير، فلا بد لك إن سمعت طبيبك قد وصف لك الدواء من العمل به والمبادرة إليه بلا تكاسل والتواء.

ومس الشروط اللازمة أيضاً دوام صحته سراً وحضراً لأن العمل متى غاب الأسى فقد أوى، ورنسب ثم يسر، سبل له الماء برعاً، فإن نر من رفقاً، وللصحة أثر في المحنة، وللمواعظ تأثير، وللملاحظ تعمير، وللخدمة فائدة، وللحضور عوائد.

فيل لأي العباس بن مهدي ج. بما يرؤس المرشد منه؟ فقال. بالصبر على الأوامر، واحباب الصالحين، وخدمة الرفقاء، ومحاسبة الرفقاء، والمرء حيث وضع نفسه امر. وانظر: المراسل القدسية (تحت قيد الطبع بتحقيقنا).

وقد ورد الأمر لما في قوله ﷺ: ((اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك^(١))).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨]، ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

فإذا كان الحق تعالى هو الرقيب على عبادته في حركاتهم وسكناتهم وهو الذي لا يجهى عليه شيء من ذلك فكيف لا يلزم من يكون مشاهدا لهذا المقام الأدب مع الحق بل إذا وجب عليه وعلى غيره من العباد لكان في مثل هذا أكد فإن العبد إذا كان مراقبا لله سبحانه وتعالى لرمه الأدب ومن لرمه الأدب وحيث له الهبة من الحق فإن أهل الأدب هم أهل الإكرام من الحق فإنه قد خص أهل الأدب بأمور وعطايا إليه أما نكر عدم التوفيق منه وغفلة العبد عن ذلك أوجبت له البعد والمراقبة مع سوء الأدب تورث العطش فإن كان بين يدي ملك وأساء الأدب عنده لا يؤمن عليه أن يعتك به وأما إذا كان بحسب عقله عن ربه عائنا عن حصرت، وأساء الأدب كان بالنسبة لمن هو في حصرت ومشاهد له على الكشف والشهود أحق جناحه ولهذا كات هوة الأكاير بألف هوة من هوات غيرهم بل حسسات غيرهم سينات بالنسبة لهم فانهم أهل حضور ومراقبة ومعايه وأما غيرهم فلحبلهم بذلك غدروا وإن كان الجهل ليس بعذر عن إمكان الوصول إلى العلم وإنما قلنا عذرا حلالا لهم عن عدم إمكان الوصول إلى العلم فأهل المراقبة له تعالى هم الذين لا يفعلون ما نهاهم عنه بل ولا يحظر لهم ذلك في حاضر وتماوتون في مراقبتهم واحترامهم للجباب الإلهي على قدر دوقهم ومعرفتهم به تعالى، فعلى قدر سعة المعرفة يكون الخوف والأدب حتى أن بعض المراقبين ماتوا بحضر الشول، ولم يكشفوا لهم عورة حياء من الله وأدبا معه لأنهم يعلمون أنه تعالى يراهم أينما يكونوا وبعضهم كان لا يقدر على مد رجله لتحفقه أنه بين يدي ربه وأنه مطلع عليه، وبعضهم كان لا يتكلم مع أحدا لأن الكلام مع الغير في حضرة الملوك سوء أدب إلا عن مروره فيستأذن ربه ويتكلم مع ذلك بقدر الحاجة.

حكى ما شيحا أن بعض الشيوخ كان يقرب تميدا له على بقية جماعته فسألوه عن سبب ذلك، فأعطى كل واحد منهم طيرا، وقال له: ادبح هذا الطير من مكان لا يراك فيه أحد، وأعطى ذلك التلميذ المقرَّب أيضا فدهسوا، وجاء كل منهم بطيره مذبوحا إلا ذلك

(١) رواه أبو نعم في حلية الأولياء (٢٦٦/١٠)، وذكره الصدري في الترهيب والترهيب (١٢٤/٤).

التلميذ فإنه جاءه غير مدبوح، فقال: لأي شيء لم تدبحه يا ولدي فقال: يا سيدي أنت قلت لي ادبحه في مكان لا يراك فيه أحد، وقد درت لأرى لي مكانا أدبحه لا يراني فيه أحد فلم أجد لأني أينما كنت أراه يراني، فقال لجماعته وكانوا حاصرين لهذا: أخدمه عليكم لأنه صاحب حضور ومراقبة، فلو كنتم مثله مراقبين لما أمكنكم دبح ما أعطيتكم إياه. انتهى.

وقد ذكرها القشيري في باب المراقبة، فالمراقبة تنجر المراقب إلى القرب من المراقب بواسطة الأدب الحاصل منها؛ إذ المراقبة أصل في الأدب، فمن كان صاحب مراقبة كان صاحب أدب، ومن كان صاحب أدب كان صاحب قرب، ومن كان صاحب قرب كان من أهل الحصرة، ومن كان من أهل الحصرة كان صاحب شهود، ومن كان صاحب شهود بلغ المقصود من المقصود^(١).

(١) قال الشيخ الشرقاوي: عرف بعضهم المراقبة بقوله: هي مراعاة السر سلاطة العيب مع كل لحظة ولحظة.

قال في الفتوحات في الباب السادس والعشرين ومائة ما حاصله: اعلم أن المراقبة إما من الله تعالى للعالم جواهره وإعراشه، وهي: إمداده الجواهر بالإعراش المفتقى ذلك سعتها، فكما أن عدم عرض خلقه عرض آخر مثله أو صده يحفظه به من العدم في كل زمان، فهو خلاق على مداوم، والعالم معتقر إليه على الدوام، فهذه مراقبة الحق خلقه وهي المراقبة بقوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [فرص: ٢٩].

وله مراقبة أخرى في عباده وهي: نظره إليهم فيما كلفهم من أوامره وبواهي. ورسم لهم من حدوده وهي مراقبة كبرياء ووعيد وهي المراقبة بقوله تعالى: ﴿مَا يُلْقِطُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، ويقول تعالى: ﴿كَرَامًا كَانَ يُثَمِّنُونَ مَا تَقْتَضُونَ﴾ [الاسطر: ١١، ١٢]، ويقول: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَتَمَنَّوْنَ﴾ [الشعرة: ٧٤]، ويقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وأما مراقبة العبد فهي على ثلاثة أقسام:

الأولى: أن يراقبه تعالى وهو لا يعلم ذاته ولا نسته إلى العالم، قال بعضهم: وهذه لا يتصور وجودها؛ لأن المراقبة متوعدة على العلم بذات المراقب بفتح العاقل، وقالت طائفة أخرى: تصورها؛ لأنه قد عرفنا إله تعالى كما يسعى لجلاله فهو معنا أينما كنا وهو على العرش استوى. وهو في الأرض يعلم سرنا وجهربنا، وهو في السماء كذلك ويسرل رايها، وهو الظاهر في عين كل مظهر من مميزات، فند علمنا هذا الثقل به مراقبة على هذا الحد، فمراقبتنا لأنفسنا هي عين مراقبتنا لآله؛ لأنه الظاهر في كل شيء ولذا قال بعضهم: (ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه).

وقال آخر: بعده، وآخر: معه، وآخر: فيه، فمثل هؤلاء يصححون المراقبة.

الثانية: مراقبة الحياء أحد من فوّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتْلُبِكُمْ مَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْهُ عِلْمٌ شَيْئًا مِنْهُ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الحج: ١٤]، بأن يراقب روجه وهو

ولقد قلت في المراقبة :

إن رقت تدبوا نحو المائي وترقى أحس المسالك
وتحطى بالمرب والتدلي وتجو أبصاً من الممالك
وعك حجب السعاد تجلى وبحرى ما شئت في الممالك
وينجلي عنك كل غمهم وتغمى ظلمة أخوالك
ففرع القلب مما سواه وراقب الله في لعالك

فتأمل، وانهم، والله تعالى أعلم.

ومنها عند قوله فيها أيله الله:

(فالشرعية أصل، والحقيقة فرعها، فكل من لم يحكم الأصل لا ينتفع بالفرع).

ولهذا كان سيد رؤساء هذه الطائفة أبو سليمان النادمي قدس الله سره يقول:

«ما حرّموا الوصول إلا بتصحيح الأصول، مشريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا
شرعية باطلة»^(١).

قال الشيخ أيله الله:

فإن من لم يلمس لا يستقيم له بناء، ومن لم يحكم ما بلى لا ينال المنى.

يراقبه فهو يراقب مراقبة الحق لها، فهذه مراقبة المراقبة وهي مشروعة.

والثالثة: أن يراقب قلبه وبصره الظاهرة والباطنة يرى آثار ربه فيه، وكذلك الموجودات الخارجة
عنه يراقب يرى آثار ربه فيها قال تعالى: ﴿مُسْتَرِيبٌ آيَاتِنَا فِي الْأَقْصَافِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت].
٥٣]، وهذه المراقبة تعلق بالحق لا بالباطل لا هو. والمراقبة دوام المراقبة بحيث لا يحلها
وقت يكون البعد به مراقباً، فاعلم ذلك وتحققه تعلم شؤون ربك في نفسك، وبما يدركه
بصرك من الموجودات. وما يصل إليه فكرك وعقلك، وما يشهدك في مشاهدك، وما يطعم من
الغيب في كوكبك، أو حيث كان، ومن هنا تعرف خواطرك، وتعرف حاجات الموارث الشرعية
وهي حسنة: المحرص والسدب والإباحة والمحظر والكراهة، ولها درجات عند أبواب الأسس
والوصول من المعارف، انتهى.

(١) وبخية النفس: علامة من صح وصوله: الخروج عن الطبع، والأدب مع الشرع، وأتباعه حيث
سلك، والشعاع انشائي والنداء الكافي هذا النداء العصال العلم، بشرط التوحيق، فإذا اجتمعا فلا
حائل بينك وبين التحقيق. كما في شرح الحكم الكردية لشرقاوي (ص ١١٩).

فالشريعة باب لا يدخل منه من لم يكن متبعاً للشريعة، فهو في دركات الفطيرة^(١).
 كيف يتيسر الوصول لمن يخالف ما جاء به الرسول ﷺ وشرف وكرم.
 فكل من خالف طهر من الأحكام فهو زنديق ولا يتمسك له بكلام.
 وإياك أن تفرح على من لا تراه ذا اتباع للقدم المحمدي.
 فإن كان من أهل الجذب والتولة فدعه وحاله فإنك لا تدرك مقامه، ولا تدري مرامه،
 ولا تعرف ما يشير إليه ممن هو غائب عنك، مسلم له حاله، فإن الإيمان بالعيب من
 صفات المؤمنين (لا إذا كان ما جاء به يكره طهر الشرع ولا يقبل تأويلاً فارم به، فإنك
 ما كلمت بقبوله، هذا إذا كان ما طهر لك على يد محدوب مسلوب الاختيار^(٢).
 وأما إذا كان ذلك من عارف كامل شهد بمعرفته أهل المعرفة والوجدان، وإذا أقرت

(١) قال أبو بكر الرافق: كان سب دهب بصري، أتني خرجت في وسط أسنة أريد مكة، وفي
 وسطى نصف جل، وعلى كعبي نصف جل، فمدت إحدى عيني، فمسحت الدموع بالجل.
 ففرح المكان، فكانت الدموع والدم يسيلان من عيني وفرحتي، وأما من سكر لؤاذني لم أحس
 به. وإذا أترب الشمس في يدي فلهباء ووضعها على عيني رضاء مني بالداء، وكنت في أنيه
 وحدي، فخطر بعني أن عدم الشريعة يباين علم الحقيقة، فهتف بي هاتف من شجر النادية: يا أبا
 بكر كل حقيقة لا تبعها شريعة فهي كفر.

وقال الشيخ ابن طهيف: التصوف: تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومعارضة الطبيعة وإحصاء
 صفات البشرية، ومحاربة الدواعي النفسانية وموازلة الصفات الروحانية.

والتعلل بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمديه، والصح لجميع الأمة، والنواء لله
 تعالى عن الحقيقة، وإساع الرسول في جميع الشريعة. وانظر: كتابا الحميد (ص ٥٦، ١١٩).

(٢) والمخاديب جمع محدوب، وهو من صادفته حدة إبطية، وهي كما قال بعضهم: تقرب العبد
 ببعض الصاية الإلهية، مهيئاً له كل ما يحتاج إليه في هي الممارس إلى الحق بلا كعفة وسعي.
 انتهى.

بكل حذية من جذبات الحق نواري عمل المتعبين، ولها علامات فنية يعاينها السالك بطريق
 الوجدان، ويتأكد ذلك بأن يرى نفسه طائرًا أو في السماء أو غير ذلك.

وأهل الجذب على ألسانهم كما أن أهل السلوك كذلك:

لهمهم بمحبوب سالك.

ومهم: محذوب فلم له الجذب.

ومهم: محذوب وقف بعد سيرة.

والأول: هو الذي يصلح للإرشاد لمعاينة مآزل المسائرين من الرجال في حال سلوكه بخلاف
 غيره، وبعضهم يكشف له في هبة واحدة عن مبادئ السلوك بعرف حقائقها، وهذا عبد اعنى
 الله به بعبه شامخاً عادته إليه. وانظر: شرح الحكم الكردية لشيخ الشرفاوي (ص ٩٧) بتحقيقها

يعلم مشربه أهل الاطلاع بالكشف والإيقان، فسلم له ما يقول.

وإن ما عه فملك القاصر لصيق عطف، وقلة نظر، وعده تبحر في السنة، وتوسع في الشرب من عين العنة؛ لأنه لا يطلق إلا عن دوق صحيح، لكن عاب عك من أين ما حنته لذلك، فالتسليم في هذا مطلوب لتلا بفع المكر في الحرمان؛ لأن من أكر شيئاً حرم بركة ذلك الشيء، ولا يمكنه الوصول إليه.

فالخاص أن كل من لم يتمسك بما جاءت به الشريعة المحمدية فهو جاهل ناقص المعرفة بصاحب الملة الحيمية فاعرف قدر ما نهتك عليه، والزم حتى الشريعة تصل إليه والسلام.

ومنها عند قوله فيها ﷺ:

(ومن أوصافهم ألا يقول أحد منهم لي ولا متاعي. ولا كتابي ولا ثوبي؛ لأن العبد لا ملك له مع سيده). انتهى.

قال الشيخ أيد الله:

إذ الملك لله وسعة ما بأيدينا لنا بسعة محاربة بل ليس لنا ملك، ولا فعل ولا حول ولا قوة إلا بالله فكيف يدعي العارف بمقام توحيد الأعمال ملكاً لشيء أو فعل ذلك بحال، وإنما إضافة الأشياء لنا إضافة معنوية لا حقيقية.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

فأثبت لنا قتلاً وهذا من طريق الظاهر، ثم قال في آية أخرى: ﴿فَلَمَّ تَفَلَّوْهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذا من طريق الحقيقة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١].

فأثبت لنا ملكاً على طريق الهماز مع إنه تعالى المالك الحقيقي.

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

فمن كان مشهده الظاهر^(١) بأذن له الشرع في أن يسلم ما بيده لغيره، فإنه ملكه وله المدبرة عنه، ومن كان صاحب هذا المشهد عند المحققين صاحب حال، وأما صاحب المقام فهو وافق مع الشريعة المطهرة، وإن كان صاحب الحال أيضاً مستنده في عدم المع الشرع، لكن الوقوف مع ظاهر الشرع صفة المحققين من أهل الطريق.

ثم اعلم أن العارف بالله ميت بين يدي عاقل لا حركة له إلا بره، واقف في مقام

(١) الظاهر: هو المفعول والمفعول من العلوم الشائعة التي تكون بها الأعمال المصاحبة.

التسليم له تعالى وعدم الاعتراض عليه في أمر ما، وكيف ينكر فعلاً من الأعمال وهو لا يرى غيره تعالى فاعلاً، ولهذا كان العارف بهذا المقام إذا أعطى من الوجود ما عسى أن يعطى، ثم يسلب منه جميع ما أعطى لا يتعير له من ذلك شعرة إذا الذي أعطى هو الذي أحد، والوكيل إذا أحد صاحب المال منه ماله عسى لا يقول له لأي شيء أخذته؛ إذ هو ما أحد إلا ما هو له، ولو لأمه في ذلك لعد منه العقل ذلك الملام حينئذ حتى ولو سبوا مقاماً ما كانوا فيه لا يصحرونا من نفلهم عنه إلى ما هو دونه إلا عن رلة، فإنه إذا كان عنها ربما لا يعود إلى المقام الذي أخذ منه؛ لأنه قد أخذ بالجلال.

ولهذا قال بعضهم: هموت هموة مطردت وكان لي مع الله بعض حال فم أجد بعد إلى الآن، وأما إذا كان السلب لا عن رلة فإن ذلك إما للاختيار أو لترقي المسلوب السلب إلى ما هو أعلى مما سلب، أو لسر يحيى عن المسلوب في وقت سلبه، فإذا أسلم سلم، وقد تكون الرنة لترقي مرتبة صاحبها فإذا أدب ربما حصل له ندم، وذلل، وانكسار فيكون دله وانكساره وندمه موجبة له الترفي عما هو فيه إلى ما هو أعلى منه، بل لو استقام في مقام الانكسار، والذل لكان أعظم مما كان فيه لأن مقامات الانكسار، والذل أعظم مقامات العبودية ولكن إذا نادر فلا يقاس عليه، ولا يقترب به دا حرجاً وعليه قول الفاتل: وربما صحت الأحسام بالعلل وكذا إذا سلبوا حالاً ومهماً فهم مع رهم على بساط التسليم والانقياد لا يعترضون في أمر من أمورهم، ولا فعل من أفعاله، ولا حكم من أحكامه والسلام.

ومنها: أيضاً عند قوله فيها:

(ومما يجب عليهم القيام بشروط الطريق الثمانية قياماً كلياً وهي الصمت، والجوع، والسهر، والاعتزال، ودوام الطهارة طاهرًا وباطنًا، ومداومة الذكر^(١)) ونهي

(١) قال الشيخ ماء العينين في فضيلة الذكر: وأما الذكر: فقد ورد به من الأحاديث كثير، ومن الآيات كذلك، ويكفي من ذلك قوله ﷺ: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً» [الأحراب: ٤٦]، وقوله ﷺ: «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون» [البقرة: ١٥٢].

قال الشيخ عبد القادر الجليلي، رحمه الله بركاته، في كتابه «الغية»: اختلف العلماء في ذلك: فقل ابن عباس رضي الله عنهما: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، كما قال الله تعالى: «والذين جاهدوا لينا لشدائهم مبلى» [العنكبوت: ٦٩].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، كما قال الله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقال نصيب بن حباب رحمه الله: فادكروني بطاعتي أذكركم شواهي.

كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١] الآية.

وقال السيوطي: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن».

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كلني يا شوحيد عبادة، وكلني يا حجة نواها.

وقال ابن كيسان رحمه الله: فادكروني بالشكر أذكركم بالبرادة نقوله تعالى: «لئن شكرتم لأزيدنكم» [إبراهيم: ٧].

وقيل: اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات والجنات بقوله تعالى: «وَيُشْرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» [المائدة: ٢٥] الآية.

وقيل: اذكروني عني ظهر الأرض أذكركم في بطنها إنا نسيكم أهلها، كما قال الأصمعي: رأت أعراساً واقفاً يوم عرفة يعرفات وهو يقول: إلهي، عشت إليك الأصوات بصروب اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلاء إذا نسيتي أهلي.

وقيل: اذكروني في الدنيا أذكركم في الآخرة.

وقيل: اذكروني بالطاعات أذكركم بالمعادة، عليه قوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ يُؤْتِيهِ أَجْرَهُ نَفْثًا مِمَّا يَنْفِثُونَ» [الزمر: ١٧].

وقيل: اذكروني بالخلا والملا أذكركم بالخلا والنسلا، كما روي أن الله تعالى قال في بعض الكتب: أما عبد طن عدي بي، فليظن بي ما شاء، وأنا معه إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن مضى إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني باعاً أتته هرونة، ومن أتاني بعراب الأرض حطبة أتته بمثلها معصرة، قراب الشيء وقربه وقربته: ما حارب قدره بعد أن لا يشرك بي شيئاً.

وقيل: اذكروني في النعمة والرحاء أذكركم في الشدة والبلاء.

كما قال الله سبحانه: ﴿لَقَوْلَا إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إن العبد إذا كان دعاءً في مسراء فيسر له البلاء، فتقول الملائكة: يا ربنا عندك قد برز به الدلاء، فيسمعون له فحبيهم الله تعالى، وإذا لم يكن دعاءً قالوا: (الآن ولا يسمعون) بيانه قصة فرعون: ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾ [يونس: ٩١] الآية.

وقيل: اذكروني بالنسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار، بيانه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقيل: اذكروني بالمعوى والشفعة أذكركم بالوسيل والقرينة.

وقيل: اذكروني بالهدى والثناء أذكركم بالعطاء والحرمان.

وقيل: اذكروني بالثوبة اذكركم بفراق الحوبة.
 اذكروني بالدعاء اذكركم بالمطاء.
 اذكروني بالسؤال اذكركم بالتوال.
 واذكروني بلا غفلة اذكركم بلا مهلة.
 اذكروني بالندم اذكركم بالكرم.
 اذكروني بالمعلومة اذكركم بالمغفرة.
 اذكروني بالإرادة اذكركم بالإفادة.
 اذكروني بالثقل اذكركم بالثقل.
 اذكروني بالإخلاص اذكركم بالإخلاص.
 اذكروني بالقلوب اذكركم بكشف الكروب.
 اذكروني بلا نسيان اذكركم بالإيمان.
 اذكروني بالاعتذار اذكركم بالاعتذار.
 اذكروني بالاعتذار والاستغفار اذكركم بالرحمة والاعتذار.
 اذكروني بالإيمان اذكركم باليمان.
 اذكروني بالإسلام اذكركم بالإكرام.
 اذكروني بالقلب اذكركم بكشف المحجب.
 اذكروني ذكراً ثانياً اذكركم ذكراً ثالثاً.
 اذكروني بالانتهال اذكركم بالإعصال.
 اذكروني بالتدليل اذكركم بسفرة الليل.
 اذكروني بالاعتراف اذكركم بمحو الاعتراف.
 اذكروني بصفاء السر اذكركم بصفاء السر.
 اذكروني بالصدق اذكركم بالرفق.
 اذكروني بالصبر اذكركم بالعفو.
 اذكروني بالضعف اذكركم بالشكر.
 اذكروني بالكبر اذكركم بالنجاة من السحر.
 اذكروني بترك الجماء اذكركم بحفظ الوفاء.
 اذكروني بترك الخطأ اذكركم بأنواع العطا.
 اذكروني بالجهل في الخدمة اذكركم باتهام العمة.

اذكروني من حيث أنتم اذكركم من حيث أنا: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

قال الربيعي رحمه الله في هذه الآية: إن الله تعالى ذكراً من يذكره، وذاتاً من يشكره، ومعبوداً من يكفره.

وقال السري رحمه الله فيها: ليس من عبد يذكر الله تعالى إلا ذكره، لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافر إلا ذكره بالعذاب.

وقال سيدي بن عيه رحمه الله: بصا أن الله يحجز قال. أعطت عادي ما لو أعطته جبريل وميكائيل كنت قد أحترلت لها، فقلت هم: اذكروني أذكركم، وقلت لموسى: قل للطفلة لا يذكروني؛ فهي أذكر من ذكرني، وإن ذكرني (ياهم أن العبيد).

وقال أبو عثمان البهدي رحمه الله: إني أعجب حين يذكرني ربي، قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: إن الله يحجز قال: «فادكروني أذكركم» [البقرة: ١٥٢]، فإذا ذكرت الله ذكرني.

قلت: وهذه الآية أعني: «فادكروني أذكركم» إحدى ثلاث آيات في القرآن، في كل آية منها مائة قول، الثانية: قوله تعالى: «إِنْ غَدَّكُمْ غَدَاً» [الإسراء: ٨]، الثالثة: قوله تعالى: «هَلْ جَرَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» [الرحمن: ٦٠]، ومما قيل في هذه الأحرة: هل جراء التوحيد عر اجنة: أي جراء من قال (لا إله إلا الله) إدخال الجنة.

ومما قيل في آية: «فادكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفروني» [البقرة: ١٥٢] ما قدمته من أسير وأربعين قولاً، وحسب لو سمعت إتمامها من تشويع الذي يوقع بآخره في تشويع.

وقال صاحب كتاب مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، وهو الإمام الفخر الرازي: اعلم أن الله تعالى كلّفنا في هذه الآية بأمرين: الذكر والشكر.

أما الذكر: فقد يكون بالنسب.. إلى آخر الكلام المتقدم المنسوب لعرفي وروح البيان.

ثم قال أما قوله: (أذكركم) فلا بد من حمله على ما بين بالموضع، والذي له على ذلك الثواب والمدح وإظهار الرضا والإكرام، وبهجاب مصرية، وكل ذلك داخل تحت قوله: (أذكركم)، ثم ذكر عشرة أقوال كلها تقدم إلا العاشر منها.

وهو قوله: «ادكروني بأروبي» في الماتحة أذكركم بالرحمة والهدوية في الخافضة، وهذا القول تكمل ثلاثة وأربعين قولاً أثبت بها في هذه الكلمات.

ثم إني أقول عبر الله لي ما أعمل وما أقول: إن الذي نسي لي في هذه الآية أن قولهم أن فيها مائة قول لعله إما هو تمريض للأدهان، أو أن بعض العلماء ذكر فيها ذلك، والذي يظهر لي أن فيها كثيراً كثيراً غير ذلك، ومما يقرب بك ذلك ويصدقه عندك أن كل حال أو وضع كان فيه العبد ذكر الله ذكره الله بما يطابقه من فضله. وذلك لا عدد له كثرة الأعراض والأعراض في الليل والنهار، وكثرة المصل في جميع الأدهان. إلا إني نظرت في أكثرها فإذا هو لا بد أن يرجع لأحد هذه الوجوه التي تقدمت، إما بواسطة وإما بلا واسطة، والذي يحصى على الأكثر محل الترابط. ومما يصدق عندك أيضاً قولهم فيما تقدم، فصار الأمر بقوله: (ادكروني) متضمناً جميع الطاعات والمضاعات أكثر من مائة.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «يا داود بي فافرحوا وابدكروني لتعموا».

وقال الثوري رحمه الله: (لكل شيء عشوه، وعشوه المارح انفضاعه عن ذكر الله)، يعود بالله من عقابه دينا وأخرى.

الخواطر عن القلب، وربط قلب العابد بالأستاذ.

قال الشيخ أبده الله: لأد المشروط لا يتم بدون شرطه، وفي تسميتها شروطاً إشارة إلى أنها كالمروص التي لنصلاه فكما أن الصلاة لا تتم بغير النظارة فلدلك ملوك الطريق لا يمكن بدون هذه الشروط الثمانية حتى قالوا: بذل المريد في طلب حق من أخلاق الطريق روحه لم يكن أسرف في ذلك، وقد قلت:

بذل الروح في طلب المعالي يسير للذي يرحو العوالي

ومن يرحو الوصال بغير بذل فذلك ممالك طريق الخصال

فمن أحل شرط من الشروط المعلومة المأمور بها والمندوب إليها وعاقبه ما حصله الرجال من أهل الطريق. فلا يلزم إلا نفسه؛ لأنه هو الخلق المتقصر في طلب ما أرشده إليه عرفوه به، ومن لم يكن في التخلق بجهت هذا فسلوكه في الطريق سداً.

فإن السلوك لا يكون إلا بالخلق في الصفات المرضية، والتخلي بالكفايات النسبية، ومن لم يكن كذلك فليس يسأل، فإن من لم يتأدب بأداب أهل الحضرة الإلهية فكيف يرحو الوصول إلى المراتب العلية فإن رمت القور بالكمال فعليك بصفات الرجال والسلام.

قال أبده الله تعالى في حاشية أخرى عند قوله الخامس ((دوام الطهارة)): (لأنه ذكر قبله أربعة شروط وهي:

الجوع، والصمت، والسير، والاعتزال).

وقيل: إذا حكى الذكر من القلب فإذا دنا منه الشيطان ضرع، كما يصرع الإنسان إذا دنا منه شيطان، يمولون: ما لهذا؟ فقال: قد منه الإنسان، ويعولون من ذلك المعنى فلان مأثور، كما تقول بنو آدم ليس منه الجن: يهتون.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: ما اعرف معصية تقيح من سيئات هذا الرب الكريم. قلت: وذلك لما به من الدلائل الناصحة والآلاء الواضحة التي لا يحصى معها سيئات وما بالقلب، وما باللسان.

وقيل: تذكر احصي لا يرميه الملك؛ لأنه لا اطلاع له عليه، فهو سرّ بين العبد وبين الله تعالى. وقال بعضهم: وصف لي ذاكر في الأحمد دأبته، فيسما نحن جنوس و(دا) سبع عظيم أفضل، فصره صبرة وهش من فطمة، فعنى عليه وعنى، فما اكتفت قلت له: ما هذا؟ فقال: فبشر الله على هذا مسبح كلما دحني صره عن ذكره، جاني معني كما رأيت، سأل الله العافية في الدنيا والآخرة، وانظر: صيل العبد منه (ص ١٦٢) بتحقيقنا.

فقال: وهذه الشروط الأربعة المتقدمة هي التي بصير بها الأبدال أبدالاً، كما ذكر ذلك سيدي عبي الله قنص الله سره. وأهل الطريق قد راوتوا أربعة أخرى وهي المذكورة هنا إشارة إلى أن طريقتهم تحتوي على طريق الأبدال، ويريد عليهم نفس صديق في سدوكة من أهل الطريق، واترم ما شرطوه عليه، وقام بذلك قياماً كلياً لا بد وأن يصير من الأبدال. والبدل عندهم هو: من تبدلت أوصافه الذميمة بالحميدة^(١).

(١) قال سيدنا الشوقاوي: (والأبدال): جمع بدن. وهو من له قدرة على أن يقيم غيره بدلاً عنه إذا أراد معارضة محله مثلاً.

قال في الفتوحات في الباب الثالث والسيهين ما مضى: اعلم أنه لما انتقل رسول الله ﷺ بعد أن حرر الدين الذي لا يبدن، وكانت الأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه يكون قطب العالم الإنساني، أُنهي بعده من الرسل ثلاثة متعاقباً عليهم، وهم زكريا وإلياس وعيسى، وواحد مختلف فيه عند عربنا لا عدداً وهو اختصر عليهم السلام، فهؤلاء الأربعة يلقون بأجسادهم في الدنيا. واحد منهم القطب وثالث منهم الإمامان وأربعتهم أولاد، فالواحد: يحفظ الله الإمام، والثاني: يحفظ الله الولاية، والثالث: يحفظ الله السورة، والرابع: يحفظ الله الرسالة، والخامس: يحفظ الله الدين الحسبي. ولكل واحد منهم في كل زمان شخص على قلبه نائب عنه، فيتناول كل واحد من الأمة ليل هذه المقامات، فإذا حصنها عرف أنه نائب. فالثاني القطب يعرف أنه نائب القطب، والثالث الإمام يعرف أنه نائب الإمام، وكلما نائب الوتد، فمن كرامة رسول الله ﷺ على ربه أن جعل من أمته وأتباعه رسلاً وارثين مقام الرسالة إلى يوم القيامة.

واعلم أن رجال الله في هذه الطريق هم المسمون بحال الأناس، فهذا اسم يعم جميعهم، وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة: فمنهم من تجمع له الصفات كلها، ومنهم من يحصل ما شاء الله منها، وما من أهل طبقة إلا وهم اسم خاص، فمنهم من يحصره عدد في كل زمان، ومنهم من لا عدد له.

فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب: وهم الجامعون للأحوال والصفات بالأصالة أو النيابة كما ذكرنا، وقد يوسعون في هذا الإطلاق فيسمون كل من دار عنه مقام ما من المقامات، وانفرد به عن أساء حمته قطباً، وقد يسمي رجل البلد قطب ذلك البلد، وسيمما شيع الجماعة قطب تلك الجماعة، لكن القطب المصطلح عليه الذي يصرف إليه الاسم عند الإطلاق لا يكون في الزمان إلا واحداً وهو الغوث أيضاً، وهو سيد اجتماعه في زمانه، ثم قد يكون ظاهر الحكم فيحور الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة السنية كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، ومعاوية، وعمر بن عبد العزيز والمتوكل، وقد يكون لا حكم له في الظاهر، وإنما حكمه في الباطن كأحمد بن هارون السني ونبي يريد السطامي وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر.

ومنهم رضي الله عنهم الأئمة، وهم لا يريدون في كل زمان عن اثنين، أحدهما يسمى عبد الرب، والثاني عبد الملك، والقطب عبد الله قال الله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ قَوْمًا يَبِيدُ الَّذِينَ﴾ [الحج: ١٥] يعني محمد ﷺ، وهذا اسم إلهي يحصر كل واحد من الثلاثة، وإن كان له اسم آخر غيره

وضع عليه عدد ولادته، والإمامان تلقى بمسجلة التورميرين له، أحدهما مقصوراً على مشاهدته عامه المذكوت، والآخر على مشاهدة عالم الملك. وإذا مات انقطعت حكمة واحد منهما. ومنهم الأوتاد: وهم أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، أحدهم يحفظ الله به المشرق. والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال والتقسيم من الحكمة. وقد يعبر عنهم بالجمال أحد من قول الله تعالى: ﴿الَّذِي يَخْلُقُ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ وأنجيل أوتادهم [السا: ٦، ٧]، فكما أن الجمال يسكنها مبدأ الأرض كذلك هؤلاء في العالم، يحفظ الله بهم هذه الجهات، وليس لتسقط عنهم سلطاناً إلا لا دخول له على من آده إلا من هذه الجهات. ومنهم الأبدال: وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل إقليم واحد.

أحدهم: على قدم الخليل.

والثاني: على قدم الكليم.

والثالث: على قدم هارون.

والرابع: على قدم إدريس.

والخامس: على قدم يوسف.

والسادس: على قدم عيسى.

والسابع: على قدم آدم، على الكل السلام، وهم عارمون بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الأمور والأسرار.

ولهم من الأسماء أسماء الصفات، فمنهم عبد الحى، وعبد العليم، وعبد المريد، وعبد العادى، وهذه أسماء أربعة الأوتاد، وبقيهم عبد الشكور، وعبد السميع، وعبد البصير، لكل صفة إلهية رجل من هؤلاء الأبدال، كما ينظر الحق إليه وهي الغاية عليه.

كما من رجل إلا أنه نسبة إلى اسم إلهي منه يتقنى ما يود عليه من المحصرة الإلهية. وسُمي هؤلاء أبدالاً لأن أحدهم إذا فارق موصفاً وأراد أن يخلف به رجلاً آخر بدلاً منه لأمر يريده في مصححة وقرينة كان له القدره على ذلك، يترك شخصاً على صورته لا يشك من رآه أنه عن ذلك الرجل، وبس كذلك بل هو شخص روحاني مقامه مقامه، فكل من به هذه القوة فهو من الأبدال.

أما من يقبض الله بدنه شخصاً لأمر ما ولا علم له به فليس منهم، ومعنى فوهم: (فلان على قدم فلان) أنه مثله في عيونه ومعارفه التي ترد على قلبه، فإن المعارف الإلهية بما ترد على القلوب، وكل علم يرد على قلب الشخص الكبير من مناجاة أو رسول فإنه يرد على قلب من ورثه في مقامه.

وقد يقولون: (فلان على قلب فلان)، ومعناه: ما ذكر: أي يتقلب في عيونه ومعارفه.

وقد تطلق الأبدال على أربعين رجلاً يُسمون أيضاً الرحيمين، وهم رجال لهم القيامة بعظمة الله تعالى، وهم الأفراد وأرباب القول الثقيل المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَلَفْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾

[انمرمل: ٥]، سُمُّوا رجبين؛ لأنَّ حاضه لا يكون هم إلا في شهر رجب من أوله إلى انفصاله، ثم يفتقد ذلك الحال من أنفسهم إلى دخول رجب من السنة الآتية، ومنهم من يبق عليه أمر من ذلك في سائر السنة. وقيل من يعرفهم من أهل هذه الطريق، وهم متفرقون في البلاد ويعرف بعضهم بعضاً، فمنهم باليمن وبالشام وبديار بكر.

ومنهم رضي الله عنهم القباء: وهم اثنا عشر نصياً في كل زمان لا يريدون ولا يقصون، على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجاً؛ كل غيب عنهم بحاصه روح مها، وقد جعل الله بأيديهم عبود المشرقة، ولهم استخراج حيايا النفوس وغوايتها، ومعرفة مكرها وحداها، وإبليس مكشوف لهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض، ولو حجرة علم أنها وطأة سعيد أو شقي، كالعلماء بالآثار والقيامة إذا رأوا صاحب ذلك الآثار عرفوا أن الآثار له، وبالديار المصرية منهم كثير.

ومنهم رضي الله عنهم النجباء: وهم ثمانية في كل زمان لا يريدون ولا يقصون، وعليهم علامة اقبول من أحوالهم تطهر عليهم، وإن لم يكن لهم فيهم اختيار، ولا يعرف ذلك منهم إلا من هو موافق، لا من هو دوسم، وهم أهل علم الصفات الثمانية السبع المشهورة والإدراك ولهم القدم المراسخة، وعلم تسير الكواكب من جهة الكشف والاضلاع، لا بالطريق المصنوعة عند العلماء بهذا الشأن، فهم حائرو عدم الثمانية أفلاك في كل ذلك كوكب، والثناء حاروا عدم الفلك التاسع.

ومنهم رجال الفتح: وهم أربع وعشرون في كل زمان لا يريدون ولا يقصون بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتح من المعارف والأسرار، وحلهم الله تعالى على عدد الساعات لكل ساعة رجل منهم، فكل من فتح الله عليه شيء من العلوم من ساعة من ساعات كان مدده من رجل تلك الساعة، وهم معروفون في الأرض لا يحتملون أبداً، كل شخص منهم لازم مكانه لا يرح عنه، فمنهم اثنا عشر، وأربعة بلاد المشرق، وستة بالمغرب، والباقي في سائر الخبايا.

ومنهم رجال الغيب: وهم عشرة لا يريدون ولا يقصون، أهل خشوع لا يكلمون الناس إلا همساً لعل له تحلي المرحس عليهم دائماً في أحوالهم، وهم مستورون لا يعرفون، حتاهم الحق في أرضه وسائه ملا يحسون سواه ولا يريدون غيره، دأبهم الخياء، إذا سمعوا أحداً يرفع صوته في كلامه نزعوا من الصميم، ويحسبون من ذلك لأهم محببون أن لا تحلي الذي أورث عندهم الخشوع والخياء قائم بكل أحد.

وقد يظنك رجال الحب على من ينجب عن الأنصار من الإنس، وقد يطلقون على رجال من الجبر من صاحبي مؤمبيهم، وقد يطلقون على الذين لا يأخذون شيئاً من العلوم والبرق المحسوس من خمس، بل يأخذون ذلك من الغيب، ومنهم ثمانية عشر ظاهرون بأمر الله عن أمر الله، فانمون بحقوق الله، يحبون إظهار الطاعات وحرق العوائد، وكـ الشيع أبو مدني منهم، فكان يقول لثلامته: أظهروا للناس ما عندكم من المواقفة كما يظهرون بالمخائفة، وأظهروا ما أعطاه الله من نعمه الظاهرة: يعني حرق العوائد، والباطنة: يعني المعارف، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ

وهذا المرید إذا تحقق هذه الأوصاف الأربعة وما تنمحه يكون قد نال من هذه الصفة الدلية، فإن كان مرادًا لها وقف عندها، وصار من أهلها وإن كان مرادًا إلى ما هو أرفع منها تخطاها، وصار في ما هو أرفع منزلة منها.

وبعض المريدين من يقيم في مقام الدلية أمانًا وأكثر، ويرتحل عنها إلى غيرها إلى أن يصل إلى مقام الفردية.

وبعضهم لا يكون له ذلك بل يكون ملامتي الشرب لا يقف عند مقام ولا حال، بل لا يزال في سير وارتقاء إلى أن ينتهي أحله المحتوم، وينتقل إلى الدار الآخرة وقد حصل من المقامات، والأحوال، والعلوم ما قدر له في الأزل أن يناله والسلام.

ومنها عند قوله فيها:

(وأجمعوا على أنه ينبغي للمريد أنه إذا ذكر الله تعالى أن يهتز من فوق رأسه إلى أصابع قدميه، وهي حال يستدل بها على أنه صاحب هبة يرجى له الفتح عن قريب).

قال الشيخ أبده الله:

واستدل بها أيضًا على أن صاحب شوق وعزم يس يدكر وكل ما كان شوقه وغرامه أكثر كان ذكره لمحويه أكثر، وكل ما كان ذكره أكثر كان فتحه أكثر، وكل ما كان فتحه أكثر كان تمكنه في المقامات أكثر، والتمكن فيها دليل على الرجولية، وهي لا تكون إلا عن امرئ: إما لمحسن الجود، أو بمكانة شديدة مقرونة بالعناية الإلهية، والتوفيق الأروبي فعلم أن ذكر الحق تعالى بالشوق، والعزم، وافضة الرائدة له مرید تقرب وإمداد من ربه تعالى.

من أحب مولاه أكثر من ذكره، ولكن مع المرافقة للمذكور، واليه فيه عن الذكر، فإن التذكر إذا كان دائم الذكر، أوره الذكر العينة في المذكور وهي المقصودة منه، فإذا غاب التذكر عن الذكر في المذكور يوجب الحق عنه في ذكره، فيكون الحق ذاكر لنفسه بنفسه.

ويكون الحق في هذا المقام هو التذكر والمذكور فباب الحق هنا عن العبد عن ربه عند قوله في الصلاة: ((سمع الله لمن حمده))، وإن كان التذكر بحسن طاهر العبد، فإن الحق

رَبَّنَا فَحَدِّثْ [المحج: ١١]، وقال رسول الله ﷺ: «التحدث بالمع يشكر» انتهى.

هذا ما أردت إيراده من كلامه، وقد ذكر طوائف كثيرة رضى الله عنهم، وذكر أن جميع هذه الطوائف قد يكون فيهم لسان، لكن يغلب ذكر الرجال عليهم، انتهى.

تعالى هو الناطق في ذكره على لسان عبده.

ويؤيد هذا ما ورد في الحديث القدسي:

((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يبصر به. ويده الذي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)).

وهذه الحانة هي نتيجة عن الذكر ودوامه، وتسمى بالعناء والسحق، والمحق، والطمس والعبث فمن عرف قدر هذه المرتبة، وأراد أن يدوقها من نفسه، فلينجد الذكر المنقش به عن الأستاذ العربي.

ومما عند قوله فيها أبدى الله: (وأن يبادروا في الأعمال الصالحة ولا يملوها وقت العبادة إلى غيره لما فات لا يعود).

قال الشيخ عفا الله عنه: مما فات الآن من الأعمال لا يمكن قصاؤه عن الماضي أو اليوم الداهب، فإن أمس الداهب لا يعود أبدًا مزار في العبد غاية حتى يقال في المثال: أبعث من أمس، فالعبد في كل أب مكلف بالقيام بالأوامر الإلهية، فإذا أخرها لأن بعده، مما يفعله في الآن الثاني هو ما وجب عليه فيه لا قضاء عن ذلك؛ لأن الماضي لا يعاد فإن فرض الوقت متقدم فرض مضى، ولقد قلت في معنى بعد الأمس:

وكنت وحيي مثل عبي وحاجبي قريبين في المعنى كذلك في الحسبي

ومد فرقي الزهر المشتت بسا غلبونا كما قد قيل أبعث من أمس

ومعنى أن ما مضى لا يعاد، ومن قال يتدارك ما فات فإن مراده بهصر همة السالك لكي يتدارك ما بقي فعسى يصلح الثاني يصلح الأول، وأما النفس الداهب فقد أخذ نصيبه ومضى، وأما الآتي فإن العبد إذا لم يتداركه باحضور فيه والمراقبة لتمدد المودع عنده فإن حظه مه ومضى كما مضى غيره، والأنفاس والإثبات متراحمة الورد على العبد لا تقصي إلا بالقضاء الأجل المحتوم، فإذا فات الأول لا يمكن قصاؤه في الثاني، فإن قلت لأي شيء إذا فاتنا صلاة من الصلوات ومضى وقتها وجب علينا قصاؤها في الثاني، فلنا كان القياس عدم القضاء كما هو مذهب بعضهم، لكن لما ثبت القضاء بالأحداث الصحيحة، قضينا ما فات على طريق التعبد لا انقياس، وأيضًا فإن قصاؤنا لما فات من الصلوات والقيام وغيرها من العبادات إنما هو إثبات ما للصورة التي كما توقعها في الوقت الأول وليست هي عيها، ولو كانت كذلك لما كان الأداء يريد على القضاء، وإنما

(١) رواد البخاري (٢٣٨٤/٥)، والبيهقي في الكبرى (٢١٩/١٠).

رأينا أن ما وجب علينا في الوقت الأول معنى أوقعنا بطبره في الوقت الثاني رجاء من الحق تعالى أن يجعل ما قصناه في الوقت الثاني في مقابلة ما فات في الوقت الأول.

فمن جد في العبادات بعد التعريط لا يمكنه تداركه أوقات التعريط، نكس الله إذا قل عبداً من عباده ثقيل منه الحسرات، وبذل السيئات، فصارت كل أوقاته التي مضت في التقصير طاعات فافهم، والله أعلم.

ومنها عند قونه فيها: وأنهم لا يأنون بكلام العدل من أهل الجدل، ومن لم يسلك الطريق ولا ذاق حلالة التمزيق، والجمع، والتفريق .

قال الشيخ أيده الله: لكل مرید أثر فيه كلام الأعيان، وما إلى به عن اشبات في الطريق إلى القرار، فذلك لا يصلح أن يكون من أهل الأسرار، ونسبها من حضار الأخطار، فإن من لم يستهون الصعاب، ويستعذب العذاب فليس هو من الصادقين في سلوك طريق المقربين، ولا عرف قدر ما هو ضائب له، فإنه لو عرف ذلك لاقحم في طله المهالك، ولا جعل أدبه، وعاء لكلام العناء، ولو علم أنه يال مسبه الرداء لتحققه بأن ما هو طال به لا بد نه منه، ولا يمكنه الرجوع عنه هذا نعم يدق من شراب القوم بل هو مطروب بالسماع ولم يكشف له بعد القناع.

كما قال سيدي عمر بن الفارسي قدس الله سره العزيز: مفصفاً عن حاله في بديع مقاله، ويطرب من لم يدرها عند ذكرها كمشتاقي يعنى عنه كل ما ذكرنا نعم، وأما من ذاق ولاحت له لوائح ذلك المقام، ثم خاف من سطوة العبر، وميدية القواطع عن إضام السير فذلك ذليل على عدم صدقه في أوائل الدخول؛ لأنه لو كان صادقاً ما ألواه عن مرامه مدلول، ولو كان في مطالبه قائماً بوطائف الأدب^(١) ما مال، ولو داره إلى ما هو

(١) قال الشيخ الشرفاوي: قال الحداد رحمه الله: التصوف كنه أدب، ولكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن صلب شيئاً منها فهو بعيد من حيث يقرب القرب، مردود من حيث يطل القبول. وما أماء أحد لأدب ظاهراً إلا عوقب ظاهراً، ولا باصاً إلا عوقب بباطناً انتهى.

وقال شيخ الشيوخ أبو مدين قدس الله سره: ومن لم يأخذ الأدب عن المؤيديين أسد من نعه، فلا ينتفع به إلا أن أخذ عنهم.

وفي الحديث: أدبي ربي فأحسن أدبي . قال العراقي: أدبه بمثل: «أخذ العفو» [الأعراف: ١٩٩] الآية، وما وصل الأولياء إلى الله تعالى بكثره العمل بل بالأدب، وبه تنال السيادة في العباد حيث ما سار في البلاد.

قالت أم مالك لما وجهته بالأخذ عن ربيعة: حد من أدبه قبل علمه، انتهى، وانظر: شرح الحكم المكرمة (ص ١٤٨) بتحقيقنا.

طالبه إلى المطب.

ونقد شاهدنا بعض المريدين ولو كملوا الأساء لم يتحققوا في التمسى بل ولا عرفوا حقائق الأمور، ولا شربوا من كأس الحضور، وهم إلى الآن بالخلق محبوسون، وفي الدنيا راعبون، فإذا كانوا في الزهد لم يتحققوا، وهم في أول درجة من درجات الطريق فكيف يطمعون في نيل مقامات التحقيق؟

فإن قلت: فهل ترى بذلك من سب؟ فإن الحجاب للمريد ممن هو مثل هذا عجب. قلنا: نعم السب الداعي لذلك أن غالب الطلاب في هذا الزمان إذا أخذوا الطريق لا يأخذونه إلا ليعرفوا ما حصى عنهم فيه، وليلبسوا الكسوة، وليتمموا الأساء، ولعبر ذلك من المقاصد المعلومة التي ليس فيها إخلاص، بل أعمال لعبير الله فكيف تتمر أعمال مثل هذا الإخلاص؟ ثم أنهم إذا دخلوا الطريق يجدون أياماً يستنهبوا فيها نفوسهم، ويقولون لها: جدي يسيراً فإن إذا تحققت ما عليه أهل الطريق رجعنا إلى الكسل والبطالة فيجدون أياماً قليلة من أيام الطلب فإذا لاحت عليهم بارقة من بوارق الطريق قالوا قد وصلنا، وحكموا لأنفسهم بالوصول مع أنه من شهود نفسه فما وصل، وما عرف فإن الوصول لا يكون إلا محدود، وتعالى الله عن الحدود.

ونقد أنشد سيد عمر بن الفارسي قدس الله سره:

وكنيت أحسب أنني قد وصلت إلى أعلى وأعظمى مقاماً بين أقوامي

حتى بداني مقام لم يكن أربى ولم يمر بأفكاري وأوهامي

فكم من سائل ظن أنه في الحاصل وهو في الفائت، وإذا قامت الطائفة: الوصول فمرادهم: القرب من حضرات الحق، فهذا حال غالب على الطلاب.

وأما القليل من أهل السلوك فلهم إذا سلخوا في الطريق، ويطروا إلى أحواله ونما بأمر به أهله من الأعمال والأخلاق، فيرونها كلها موافقة للكتاب والسنة مأموراً بها، ويقولون لعنفسهم هذا الطريق هو المقصود الموصول، فإياك يا نفس أن تطلي عنه براحاً فإنه من مال عنه فقد ضل؛ لأنه طريق المصطفى ﷺ الذي كان هو وأصحابه عليه، فما عنه من عجب فيتمسكون فيه جهدهم، ويسبرون على حسب حالهم، فإذا كشفوا مهماً كشفوا لا يزيدهم ذلك إلا اتباعاً، وثباتاً في الطريق، وعبة في أهله، واعتنى به.

وأما الفريق الأول فقد يقع إذا منك أحدهم على سبيل الاختيار والاستكشاف لله، وضر له بعض أمور، ورأى أنها هي الحق انصرف، وعرف أن طريق انقوم هو الطريق المقرب إلى الله، ورجع عما أصبره من الرجوع بعد التفريط. وجه وجه الحرم، وأحد

يسير في سبيل الحرم، وعرف قدر ما هو سائل فيه، وأقبل فقبل ما كان المهوى يريده.

ومها عند قوله فيها عما الله عنه: (وليحذر المتقدم من رؤية نفسه على إخوانه في تقديمهم له، وإياه وحب الرئاسة فإنها سبق قاطع يقطع ظهور المرئيين الذين ليسوا بصادقين، وإن الرئاسة لا تحل في قلب أحد إلا هلك).

قال الشيخ أيده الله:

أي لأن الرئاسة سيادة، والسيادة ضد العبودية، والكاملون لا يخرجون عن مشهد العبودية بحال؛ لأن مقام العبودية أشرف المقامات.

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١].

فلو كان ثم مقام أشرف منها؛ لوصف به سبه ممن طلب التقدم على الأقران فقد عرض نفسه للبلاء من مدارات من تقدم عليهم، والعسر على ما يحالفون به، وردتهم بالحسنى إلى ما يولق الطريق، وليس للمتقدم أن يتمير على من قدم عليهم من إخوانه، فإنهم قالوا: التتمير من إخوان الشيطان، ثم إن كانوا إخوانه قدموه، أو قدمه الشيخ، فيرى نفسه أنه لا يصح لتقدم إلا من لم يكر في القوم أرفع منه وهو يرى نفسه أنه دونهم يبقين من نفسه، فإن كل إنسان يعرف ما فيه من الذنوب أكثر من غيره، وإذا كان يشهد نفسه دور المتقدم عليهم وهو أعلى منه ثم تقدم عليهم فقد أساء الأدب مع من هو أعلى منه هذا إن تقدم بنفسه، وأما إذا كان معهوراً في تقدمه فلا بأس عليه في ذلك التقدم.

ولقد قال بعض العارفين: إن من أمر بالتقدم والظهور كثيراً فليزهد في تقدمه، فإن ذلك أولى في حقه، وإن كان بأمر محتم، فليتقدم فإنه ليس للعبد يتأخر عن ما أمر به على سبيل الوجوب.

ونقد نفل سبدي محبي الدين فنس الله سره المتين في فتوحاته أنه قبل لأبي يزيد السطامي: أخرج إلى خلقي بوصمي، فلما خطا خطوة ضعف، فقبل: ردوا علي عدي فلا صبر له عني مع كونه خرج بالأمر.

وكان أبو العباس الموصي رحمه يقول: ما جلست للناس حتى هددوني بالسلب.

فهكذا ينبغي للعبد يزهد في الركافة حتى أنها لو عرضت عليه لا يقبلها خوفاً من غوائل نفسه ودسائسها.

ولقد قال بعض السادة الصالحين:

آخر ما يحرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة، فحب الرئاسة داء دفين؛ لأن النفس تطهر لصاحبها عدم الميل للتقدم؛ فإذا حصل لها ذلك تطهر كراهيتها له، وأنها مقهورة فيه، ودليل من ليس له رغبة في الرئاسة، ولا ميل لو أنها رالت عنه أو عُزل عنها عزلًا مؤثماً لا رجوع فيه إليها لا تخفى منه شعرة بل يفرح بذلك.

قال في ((الحكم)): ^(١) «ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يُدفن لا يتم نتاجه» ^(٢).

(١) يعني الشيخ ابن عطاء الله في الحكم.

(٢) قال الشيخ ابن عحية: النفس هي النخلة والنسر. والخمول سقوط لتسيرة عد الناس. وساتح الشجرة شرتها أسعرها للحكم والمواهب والعلوم التي يجيبها بعدد من المعرفة بالله، وذلك عند موت نفسه وحياء روحه.

قلت: استر نفسك أيها المرید وادعها في أرض الخمول حتى تنأس به وتستعليه، ويكون عندها أحلى من العسل وبصير الظهور عندها أحر من الحطل، فإن دفنتها في أرض الخمول وامسدت عروقها فيه، فحينئذ تضي شرتها، ويضم لك ناعها وهو سر الإخلاص والتحقق بمقام خواص الخواص، وأما إذا لم تدفنها في أرض الخمول وتركبتها على ظهر الشهرة جوار ماتب شجرها أو أسقطت شرتها، فإذا جرى معارفون ما عرسوه من حبات معارفهم من العلوم، وما دفنوه من كنوز الحكم وعنازل الفهم بقيت أنت لغيراً مائلاً أو سارقاً صائلاً.

قال سيدنا عيسى عليه السلام لأصحابه: أين تبت الحبة؟ قالوا: في الأرض.

قال: كذلك الحكمة لا تبت إلا في قلب كالأرض. انتهى.

وقال بعض العارفين: كلما دبت نفسك أرضاً أرضاً ما فلك سماء سماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُبَّ مُشْعَبٍ أَعْبَرَ دِي ضَمِيرٍ لَا يُؤْبَهُ بِهِ، تَبَوَّأَ عَنْهُ أَحْيَى نَاسٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ فِي لِسَمِهِ».

وكان عليه الصلاة والسلام جالساً مع الأقرع بن حابس كبير بني تميم فمر عليه رجل من فراء المسلمين فقال: «يا أقرع بن حابس: ما تقول في هذا؟ فقال: هذا يا رسول الله من فراء المسلمين حتى إن حطبت أن لا يروح وإن استأذن أن لا يؤذن له وإن قال أن لا يسمع به ثم مر بهما رجل من المتربين فقال له عليه السلام: وما تقول في هذا؟ فقال: هذا حقيق إن حطبت أن يروح وإن استأذن أن يؤذن له، وإن قال أن يسمع به فقال له عليه السلام: «هذا يعني الفقير خسر من ملء الأرض من هنا».

وفي مدح الخمول أحاديث كثيرة ومضائل مشهورة، ولو لم يكن به إلا الراحة ومراعاة القلب لكان كافياً.

وقال بعض الحكماء: الخمول لعمدة النفس تأباه والظهور لعمدة النفس تنواه.

وقال آخر: طريقنا هذه لا تصلح إلا بقوم كسبت بأرواحهم المرائل.

قلت: ويجب على من اتلى بالخاء والرباسة أن يستعمل من احراب ما يسقط به حاحه وإن كان مكروهاً دون الحرام المنفق عليه بقصد الدود، كالسؤل في الخوايب أو اديار وكالأكل في المسوق، وحيث يراه الناس وكاترقاد فيه، وكالسقي بالقرب، وحل الربل على الرأس بوقاية. وكامشي بالخاء وإظهار الحرم والمحل والشح، وكليس المرفعة وتعليق السمعة الكبيرة وكل ما يتفل على النفس من المباح أو المكروه دون الحرام.

قال النبح رروي يث: وكما لا يصح دفن الررع في أرض رديئة لا يحور المحمول بحاله عبر مرصنة، وقياس ذلك بالهنة لا يصح لأن موت الحياة الحسية مانع من كل خير واحماً ومسدواً وتوبيخ مع إمكان إيقاظه عزم إحصاء بقوله تعالى: «وَلَا تُغْنُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى تَهْلُكَةٍ» [البقرة: ١٩٥] بحلاف المحمول لا يموت به شيء من ذلك إنما يموت به الكمال، وهو بقي الخاء والمنزلة وأصله الإباحة. انتهى.

واحباب محصين بأن إذا جار يموت الحياة الثانية فأولى أن يحور يموت الحياة الدائمة وهي المعرفة فتأمل، وقصة لمن الحسام تشهد له، والله تعالى اعلم، ولقد سعت شيخنا رحمه يقول:

المفسر المصدق: يتفل عنه بأدى شيء من المباح، وتفقير الكذاب: يقع في الحرم ولا يفتلها. وكان كثيراً ما يهي عن الأحوال الظلمانية، ويقول: عدنا من المباح ما يحا عن الحرم والمكروه وأما السؤال فلما هو مكروه أو حرام لقصد قوت الأشباح مع الكفاية أما لقصد قوت الأرواح فليس بحرام. وقد ذكر «فسطاطي» في «شرح المحاري»، عن ابن العربي الغفيرة أنه قال: «أحب عسى الفقير في بدايته فاطره، وقد ذكره في «الساحات الأصلية» مستوفى فاطره. وسأني الكلام عليه إن شاء الله عند قوله: لا عدنا بذلك إلى الأخذ من الخلاف الخ.

إن فس: هذا الحراب المدي ذكرت فيه شهره أيضاً إذ المحمول هو الخفاء عن أعين الناس، وهذا فيه ظهور كبير.

قلت: المحمول هو إسقاط المسرلة عند الناس، وكتمان السر الولاية وكل ما يسقط المسرلة عندهم وسفي شهمة الولايه فهو حصول، وإن كان في الحس ظهوراً ولمت كذ شيخنا رحمه يقول: طريقنا منها المحمول في الظهور والمظهر في المحمول.

وقال المحصي في «الإبارة» ما نصه: ومن يعمل من الصومية أن المرفعة شهرة مجواه أن سلمان العامري سمر في ريادة أبي اندراء من العراق إلى الشام راجلاً وعليه كساء عبط عبر مصموم ففل له: أشهرت نفسك فقال: الخير خير الآخرة وإنما أنا عد الس كما ليس العدد فإذا أعفت ليست حلة لا تبلى حواشيه. انتهى.

ومن ذلك قصة الغزالي يث من حملة جلد النور على ظهره عند ملاقة شيخه الحار وكسه السوق واستعماله الفرة يسقي الناس كذا سمعتها من الشح مراراً ولم أقف عيباً عند أحد من عرف به. ونظر ما جرى له مع ابن العربي عند فوته: رب عمر سمعت أماده وفئت أماده.

وكذلك قصة المشتري بده، مع شيخه ابن سبعين لأن المشتري كان وريراً وعالماً وآبوه كان أميراً فلما أراد الدخول في طريق العموم قال له شيخه: لا تدخل معها شيئاً حتى تنبع مباعك وتلبس قشانة وتأخذ بديراً وتدخل السوق تفعل جميع ذلك فقال له: ما تقول في السوق؟ فقال قل: بدأت بذكر الحبيب، فدخل السوق بهرب بديره ويقول: بدأت بذكر الحبيب فعني ثلاثة أيام وحرقت له الحبيب، فحمل يعني في الأسواق بهربم الأدواق. وكذلك قصة الرجل الذي كان مع أبي هريرة السهماني بقي معه ثلاثين سنة فكان لا يقطع عن محبته ولا يفارقه فقل له يوماً: يا أستاذ أنا منذ ثلاثين سنة أصوم النهار والليل وقد تركت الشهوات، ولست أجد في نفسي شيئاً من هذا الذي تذكر البتة وأنا أؤمى بكل ما تقول وأصدقك.

فقل له أبو هريرة بده: لو صليت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك عليه لا تجد منه ذرة. قل: فلم يا أستاذ؟

قال: لأنك محجوب بنفسك.

قال: أنلينا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب؟

قال: نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل.

قال: بل أقبل وأعمل ما تقول.

قال له أبو هريرة: اذهب الساعة إلى الحمام وأحلق رأسك ولحيثك وأبرع هذا اللبس وأتزرع بعباءة وعلق في عنقك حلالة وأملأها حوزاً وأجمع حولك صبياناً وقل بأعصى صوتك: يا صبيون من يصعني صعدة أعطيه حوزة وأدخل صوتك الذي تعظم فيه وأنت على هذه الحلافة حتى يسطر إليك كسل من عزمك فقال: يا أبا هريرة، سبحان الله أيقال لعلني هذا وتحسب أنني أفعله؟ فقال له: فلو أنك سبحان الله خرك. فقال له: وكيف؟

فقال أبو هريرة: لأنك عظمت نفسك فسيحها.

قال: يا أبا هريرة لست أقدر على هذا ولا أفعله ولكن دلني على غير هذا حتى أفعله. فقال له أبو هريرة: انذا بهذا قل كل شيء حتى تسقط جاهك وتدن نفسك ثم بعد ذلك أعزمك بما يصلح لك.

قال: لا أطيق هذا.

قال: إنك قد قلت أنك تقبل وتعمل وأنا أعلم أن لا مطمع لعد فيما حجب عن العامة من أسرار العيب حتى يموت نفسه ويحرق عوائد العامة فحيثما تحرق في الموائد وتظهر له الفوائد انتهى.

وكذلك قصة أبي عمران البردعي مع شيخه أبي عبد الله التباودي عباس من خلق وأمه ولبسه حلابة، وأحله حبرة مادي عليها من يخلصها ففعل جميع ذلك، وكذلك قصة شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المديوني من أكنة ابن عبد أشجار الدس وعالاه بالأسواق وخبره بانقصر مشهور حتى طوفوه بها مراراً، وكذلك قصة سيدي علي العمري، فخرانه عباس مشهور كبار على علم سكن السمليات حتى مات في، وكذلك قصة شيخنا مولاي العربي

والذي صاحب هذا المقام أثار عليه الصلاة والسلام بقوله:
 ((رُبَّ أَسْعَثَ أَغْبَرِ ذِي طَمَرِينَ، تَبَوَّعَهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ
 لِأَبْرَةٍ^(١))).

فالمترس مصدر لتتقي كل وارد، ورد كل شارد فالجفاء موطن الصفاء، والجمل إنما
 يحملونه الأفعال لكونه قد اشتهر عنه، قصدوا له لذلك.

وقد وقع لبعض الصالحين أنه ضحى مما يقاسيه من إنكار أهل المدينة عليه، وعظم
 أديبهم له، فأتى يحمل له، وصار يحمل عليه أمتعه لقصد المباخرة من تلك المدينة.

فقال صبي: يا عم حمله أيضاً، فإن الجمل يحمل أكثر من هذا، فهم ما في ضمن ذلك
 من الإشارة، ورجع عما كان قاصده من السير والرحلة عن البلد، والصدارة لا يشت
 عليها إلا المحول لكن صاحبها ترمي كل رام له من علام وجهول.

من ليسه الحرارة وسقيه بالمرية وغير ذلك مما هو معلوم بهذه الحكايات تدل على أن المحول
 ليس هو ما يهيمه العوام من بروم البيوت والحرارة إلى الجبل، بذلك هو عين الطهور عند المحققين
 وإنما المحول هو كما قال الشيخ رروي عنه: تحقيق النفس بوصفها الأدنى وشعورها به أيضاً،
 ووصفها الأدنى هو الدل وكل ما ينقل عنها فمرجه للمحقق بوصف خواصه، ومآذنه: محصيل
 الفعل وكسالم الحقيقة، انتهى.

فإن قلت في فعل هذه الأحوال التمرض لكلام الناس، وإيقاعهم في القية.
 قلت: هذا مبني على القصد والنية وكل من فعل شيئاً من ذلك وإنما قصده قتل نفسه وتحقيق
 إخلاصه ودواء قلبه وهم مساحون من قال فيهم عاذرون له، قال مبدي عني في كتابه. نحن
 نعلم من عقوبنا ونعلم من لم يعذربنا.

وقال الشيخ رروي عنه: في قواعده: قاعدة حكم الفقه عام في المصوم لأن مقصوده إقامة رسم
 مسدين وروسخ ماره وإظهار كسماته، وحكم التصوف خاص في المصوم لأن مقصوده إقامة رسم
 وره من غير زائد على ذلك فمن ثم صح إنكار الفقه على المصوم ولم يصح إنكار المصوم على
 الفقه ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه في الأحكام لا في الحقائق، انتهى.

تنبيه: هذه الأدوية التي ذكرنا إنما هي في حالة المرض وأما من تحقق شفاؤه وكمل شفاؤه فهو
 عبد الله سواء أظهره أو أخفاه.

وفي مسند إسماعيل الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله من أحب الطهور فهو عبد الطهور ومن أحب
 الخفاء فهو عبد الخفاء، وعبد الله سواء عليه أظهره أم أخفاه، انتهى.

ولما كان التخلص من دقائق الرياء ومخادع النفس لا يكون في الغالب إلا بالفكرة ولا يتم
 الفكرة إلا بالمرلة، وانظر: إيقاظ المهمل (شرح الحكمة رقم: ١١).

(١) رواه الترمذي (٦٩٦/٥)، وأحمد (١٤٥/٣) بنحوه.

ومنها عد قوله فيها أيده الله: (ومن شأنهم التباعد عن مخالطة الأحداث).

قال الشيخ أيده الله:

لأن مخالطتهم تنفس المريد، والنفس ترخص في معاشرتهم وفي تكرار النظر فيما يحضونها به من المحاسن لكونهم رجالاً فيدع المريد الصادق هذه الأرحصة ويأخذ بعزيمة ترك النظر إلا عن ضرورة.

ويشغل مذهب السوي في تحريم النظر إليهم خوفاً أن يقع منه فتورفة حسرة، وتؤثر في قلبه، فتصير عشفاً؛ لأهم قالوا: لا يتعلق القلب في غير الله إلا في حال عقلته عن الله كما أنه لا يقع في الشبكة سكة إلا هي غائلة عنه تعالى.

وإذا تعلق قلب المريد بقلب أحد تفتت عزمه، وتفرق همه فسقطع بذلك عما هو طالبه له وتكون النفس قد نالت أرحها منه.

وقد قيل: كم نظرة جلبت فترة، وأعقت حسرة، وأكست قوت بصره، وببقي ترك النظرة الأولى التي هي لك لئلا تقع في الثانية التي عليك.

قال بعضهم: ما اختلى رجل أجنبي بامرأة إلا وكان استيطان نائهما.

وقال آخر: ما اختلى رجل بامرأة إلا وكان معهما سبعون شيطاناً.

فكيف النظر عنهم وعدم صحبتهم متأكد، حتى لو لم يكن في مخالطتهم إلا ميل القلب إليهم لكفى المريد قطيعة، فإنه مأمور بأنه لا يشغل قلبه إلا برؤيه، وأن يتفرغ للحضور معه، وإشغال القلب بالغير يمنع من جمعة القلب عبه تعالى، ولهذا حذرت الأشياح من صحبتهم خوفاً على الطالب من الافتتان بهم.

ومنها عد قوله فيها: (وكذلك النساء ومواحاتهن والاجتماع بهن كما عليه فقراء هذا الزمان الحسرة):

فقال الشيخ أيده الله: أي على سبيل الانفراد؛ لأن الخلوة بالأجنبية حرام ومواحاتهن على الطريقة التي يجعلها غالب فقراء هذا الزمان من وضع يدها في يده من غير حائل، فذلك لم يثبت في السنة.

بعم نت أنه يجوز كان إذا أراد مياعة النساء يقول كما روي عن عائشة رضي:

((قد بايعتك كلاماً وما مسنت كف رسول الله ﷺ كف امرأة قها^(١))).

وقيل: لما فرغ من مياعة الرجال يوم الفتح: شرع في مياعة النساء فدعا بقذح من

(١) رواد البخاري (١/٨٥٦)، وأحمد (٢٧٠/٦).

ماء فعمس فيه يده الشريفة، ثم غمس أيديهم.

وروى أنه ﷺ ((بايعهم وبين يديه وأيديهم ثوب قطري))، وقيل: كلف امرأة وقعت على الصفا فبايعهم.

وروى أنه ﷺ ((جلس بعد ما فرغ من بيعة الرجال على الصفا ومعه عمر بن الخطاب، فعمل معه محمل ﷺ لا يقر على محرم ويقف)) هي ما في آية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [المتحنة: ١٢].

ومصافحة سيدنا عمر بن الخطاب حين حضرته ﷺ فيها تصرح بحوارها بحائل، ويُقاس عليها المباحة وليس لأحد من المشايخ أن يسامح بالانفراد ممن يدعي أنها قد صارت أخته، فذلك لا يجوز في الشريعة المحمدية.

والصوفية من أهل الطريق لا الصوفية الذين يتشبهون بهم بحمل العكاز، والسحادة، والمسحة وغير ذلك مما لا يخرجون عن سياج الشريعة أصلاً، ويتبرؤون مما يفعل ذلك من أتباعهم^(١).

(١) وعرفنا الإمام الجنيد التصوف والصوفية بقوله:

سبي التصوف على أحلال شابة من الأبياء عبيد الصلاة والسلام: السجدة وهو لإبراهيم. ومرصا وهو إسحاق، والصر وهو داود، والإشارة وهي لكرها، والعربة وهي ليعقوب، وليس التصوف وهو لموسى، والسياسة وهي ليعسى، والفقر وهو لعماد بن محمد ﷺ وعليهم أجمعين. وقال: التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع اسماع. وعمل مع اتباع. وقال: إما هذا الاسم (يعني التصوف) نعمت أقيم الصديق. فقال أبو بكر الملاحقي: يا سيدي، نعمت للبعد أم نعمت للحق؟ فقال الجنيد: نعمت للحق حقيقة، ونعمت للبعد ومنا. وقال: الصوفي كالأرض، يُطرح عليها كل صبح، ولا يخرج منها إلا كل مبيح. وقال: الصوفي كالأرض يطؤها الثور والعاجر، وكالسحاب يفضي كل شيء، وكالمطر يسقي كل شيء.

وسئل عن التصوف؟ فقال: هو أن يبتك الحق عنك، ويحبك به.

وسئل عن التصوف؟ فقال: هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة.

وقال: التصوف هو غنوة لا صلاح فيها.

وقال: لا يكون اعتراف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤها الثور والعاجر، وكالسحاب يفضي كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب.

وقال: ما أحداً التصوف عن القال والعلل، لكن عن الخوف، وترك الدنيا، وقطع مملوهمات، والمستحسبات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله، وأصله الخوف من الدنيا، كما قال حارثة: هزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظلمات ناري.

وسئل عن التصوف؟ فقال: بصفية القلب عن موافقة البرية، ومعارفة الأخلاق الطبيعية، وإحسان الصفات البشرية، ومجاهدة الدواعي البهيمية، ومباراة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الخفية. واسمعنا ما هو أولى عن الأديب، والصالح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة.

وقال: التصوف حفظ الأوقات، وهو ألا يطالع الصد غير حظه، ولا يوافق عمر ربه. ولا يفارق غير وقته.

وسئل ما التصوف؟ قال: حقوق السر بالحق. ولا سأل ذلك إلا عشاء النفس عن الأسباب لقوة الروح والقيام مع الحق.

وقال: الصوفية هم أهل بيت واحد، لا يدخل فيهم غيرهم.

وقال: إذا رايت الصوفي يفتي بظاهره فاعلم أن باطنه خراب.

وقال: لكل أمة صوف، وصفوة هذه الأمة الصوفية.

وقيل للحيد مرة: ما بال أصحابك يأكلون كثيراً؟ فقال: لأهم يحوعون كثيراً. قيل له: فما بالهم لا تهمهم قوة شهوة؟ فقال: لأهم لم يلقوا ضلع الرما يأكلون الخلال. قيل له: فما بالهم إذا سمعوا القرآن لا يظربون؟ قال: وأي شيء في القرآن يظرب في الدنيا، القرآن حق برل من عند حق، لا يلقى بصفات الخلق. كل حرف منه على الخلق واجب، لا يخرجهم منه إلا الوفاء لله بخفي، إذا سمعوه في الآخرة من فائده أظرفهم. قيل له: فما بالهم يسمعون القصائد والأشعار والمعاني يظربون؟ فقال: لأنها مما عملت أيديهم، ولأنه كلام المحبين. قيل له: فما بالهم يحرمون من أموال الناس؟ فقال: لأن الله تعالى يرصي لهم ما في أيدي الناس. لنلا يعيلوا إلى الخلق، فيقتضوا من الخلق تعالى، فألرد المقصد منهم إليه اختفاءهم.

وسئل فليس الله سره عن الصوفية: من هم؟ فقال: آثره الله في حبه، بحبه إذا أحب، وبظفرها إذا أحب.

وقال: إذا أراد الله تعالى بالصد خيراً أوقفه على الصوفية ومنعه صحبة القراء.

وسئل الحيد فليس الله سره عن الصوف ما هو؟ فقال: اجساد كل حقي ديني، واسمعنا كل خلق سني، وأن تعمل لله، ثم لا ترى أنك عملت.

وقيل لبعض المتكلمين: قد ذكرت الطوائف، وعارضتهم، ولم تذكر الصوفية؟ فقال: لم أعرف لهم علماً ولا قولاً، ولا ما راموه؟ قيل: بل هم السادة، وذكروا به الجسد، ثم أتوا الجسد مسأوه عن التصوف؟ فقال: هو إيراد القديم عن الحديث، والخروج عن النوط، وقطع المحاب، وترك ما علم أو جهل. وأن يكون المرء راهناً فيما عند الله، راعياً فيما لله عده، فإذا كان كذلك خطبه إلى كشف المنوم، والمارة عن الوجوه، وعلم اسرار، وفقه الأرواح. فقال المتكلم: هذا والله علم حسن، فهو أعدته حتى يكتبه. قال: كلا، من إلى مكان الذي منه بدأ السيان، وذكر مصلاً طويلاً. فقال المتكلم: إن كان رجل مهذب ما بنيت بالعقل بكلمة من كلامه مبداء فإن كلامه لا يحتمل المعارضة.

وقد نقل عن سيد الطائفتين الجليل البغدادي قدس الله سره أنه أتاه الليل إلى مغارة، وكانت ليلة شاتية، وكان معه حمار فأخرجها من المغارة.
وقال: مغارة، وحمار، وليلة مطارة، ونفس أمار.
فما أس قدس الله سره أن يبيت هو وحمار في مكان واحد مع جلالة قدره وعلو منصبه وكان ذلك منه إرشادًا وتعليمًا وعضًا لنفسه.
فإذا كان سيد الطائفتين لا يأمن على نفسه أن يحتلي بامرأة أجنبية فالوقوف مع حدود الشريعة، والتمسك بها من علامات التوفيق، والصد والصد بالصد والله أعلم.
نمت هذه المقدمة بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا دائمًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، ووفقني تمام رقم هذه النسخة الشريفة للطبعة الطريفة في شهر شعبان سنة ١٢٩٦ هـ على يد العبد الفقير الحقير الدليل الكسير المعرف بالذنب، والعجز، والتقصير الراجي عفو ربه الهادي:
أحمد حسن البنهاوي البغدادي الشافعي الأحدي غفر الله له.
اللهم اغفر لكتابها وقارئها ولمن دعا لها بالمغفرة آمين آمين آمين.
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين^(١).

قال الجليل: الصوفية أهل غيب، لا يدخل فيهم غيرهم.

وانظر: كتابنا الإمام الجليل سيد الطائفتين (٢٣٩) بتحقيقنا.

(١) كتب هامش الأصل: بلغ مباحثه بحسب الطائفة، بمرعة الشيخ محمد مكاوي في ٩ محرم سنة ١٢٩٧ هـ.

فهرس المحتويات

٣	مقدمة التحقيق
٥	ترجمة مختصرة للشيخ المصنف
١٢	مقدمة المصنف
١٥	من أخلاقهم تعظيم قدر المشايخ
٢٩	من أخلاقهم طلب الشيخ القوي
٣٩	من أخلاقهم طاعة الشيخ العربي
٣٥	من أخلاقهم امتثال أمر الشيخ وحيه
٣٥	من أخلاقهم احتمال المرید الأذى
٣٦	من أخلاقهم حود المرید لشيخه
٣٦	من أخلاقهم خوف المرید على شيخه
٣٨	من أخلاقهم قرح المرید بجهاد شيخه له
٣٩	من أخلاقهم عدم طمع بصر المرید إلى وقع الإذن من شيخه
٤٠	من أخلاقهم المحافظة على الأوراد
٤٠	من أخلاقهم الاشتغال بالله
٤١	من أخلاقهم تحمل الجوع
٤١	من أخلاقهم الاحتياط في العمل
٤٢	من أخلاقهم التدبیرة على القرآن
٤٢	من أخلاقهم التصديق بالشواهد
٤٢	من أخلاقهم استحضار التقوى هم
٤٤	من أخلاقهم ذكر مناقب إخوانهم في الطريق
٤٤	من أخلاقهم حبيب لتلايد الشيخ
٤٤	من أخلاقهم كراهية من ينادي شيخهم
٤٥	من أخلاقهم مفاسدة إخوانهم في أموالهم
٤٥	من أخلاقهم مفاسدة إخوانهم في حسناتهم
٤٥	من أخلاقهم الشكر على نعمهم
٤٥	من أخلاقهم بغضهم لأهل المعاصي
٤٦	من أخلاقهم محبة من يكرههم
٤٦	من أخلاقهم اهتمامهم بصلاح أخيه
٤٦	من أخلاقهم بغضهم للفتنة
٤٧	من أخلاقهم عدم الدعاء على عتوهم
٤٧	من أخلاقهم شهودهم لأنفسهم أقل من غيرهم
٤٨	من أخلاقهم شهودهم الشك لأنفسهم
٤٩	من أخلاقهم محبتهم لندائهم أسألهم بحدة
٤٩	من أخلاقهم عدم الحسد لإخوانهم
٥٠	من أخلاقهم شهودهم الفعل من الله
٥٠	من أخلاقهم عدم اعتراضهم بحاشهم
٥١	من أخلاقهم عزيم على وفاة من آذاهم
٥١	من أخلاقهم تحمل صوم إخوانهم
٥٢	من أخلاقهم لوم أنفسهم
٥٢	من أخلاقهم تحلم مع جار السوء
٥٢	من أخلاقهم عدم التمثل بالأكابر
٥٤	من أخلاقهم رفع مقام إخوانهم فوقهم
٥٥	من أخلاقهم فداء العلماء بأنفسهم
٥٥	من أخلاقهم كراهية إظهار تقاضى القرب
٥٥	من أخلاقهم مصابيحهم لمن اختلهم

٥٦	من أخلاقهم مساعدتهم للمسلمين
٥٧	من أخلاقهم مراعاة الله بخلوهم
٥٨	من أخلاقهم الاستعداد قبل الانحراف في الطريق
٥٩	من أخلاقهم رياضة النفس
٦٠	من أخلاقهم مراعاة الشيخ
٦٠	من أخلاقهم مخالفة الهوى
٦٠	من أخلاقهم حفظ القلب مع الشيخ
٦١	من أخلاقهم عدم ازدواج الشيوخ
٦١	من أخلاقهم الانتماء بأحكام الشرع
٦٢	من أخلاقهم الشدة مع نفس
٦٢	من أخلاقهم محبة الليل
٦٤	من أخلاقهم الانتماء بظاهر الكتاب والسنة
٦٤	من أخلاقهم العرف عن الشهوات
٦٥	من أخلاقهم الأخذ بعزائم الأمور
٦٥	من أخلاقهم كتمان الأعمال فصاحتها
٦٥	من أخلاقهم الحرص على التواضع
٦٦	من أخلاقهم أن يحصى أحدهم بالعبادة والإقبال على حضرة ربه
٦٧	من أخلاقهم عدم زواج الفريد البندى أكثر من واحدة
٦٨	من أخلاقهم عدم النوم في بيت فيه جنب
٦٨	من أخلاقهم عدم النوم إلا عن غلبة
٧٠	من أخلاقهم عدم تعلق أحدهم من وفروحه في الدنيا له
٧١	من أخلاقهم مخالفة هوى النفس
٧٢	من أخلاقهم عدم الإقامة في موضع يحقده الشئ فيه
٧٢	من أخلاقهم السفر للبحث عن الشيخ
٧٢	من أخلاقهم الصبر عند جماع الشيخ
٧٥	من أخلاقهم مجاورة العفيفات الثلاث
٧٥	من أخلاقهم غرض البصر عن رؤية الصور المستحبات
٧٦	من أخلاقهم العمل بكل خلق سمعه من لعل الطريق
٧٧	من أخلاقهم إخبار الشيخ بالمعصية
٧٧	من أخلاقهم عدم أخذ الأجر إلا عند الضرورة
٧٨	من أخلاقهم عدم الأكل من كسب امرأة
٧٩	من أخلاقهم التباعد عن أبناء الدنيا
٨٠	من أخلاقهم عدم الأكل بالدين
٨٥	من أخلاقهم محبتهم لسنة الخير إلى غيرهم
٨٥	من أخلاقهم عدم احتضارهم لمن كان قليل العبادة
٨٦	من أخلاقهم التحفظ من دخول مقام التوجه
٨٩	من أخلاقهم عيبهم لتحجير الشيخ عليهم
٨٩	من أخلاقهم التبرؤ من الدنيا
٨٩	من أخلاقهم عدم الخروج على الأئمة
٩٠	من أخلاقهم غرض البصر عن زينة الدنيا
٩٢	من أخلاقهم عدم الأكل إلا عند شدة الجوع والعطش
٩٣	من أخلاقهم تقبيل النفس كل ساعة
٩٣	من أخلاقهم عدم رؤية النفس أعلى من الفلسفة
٩٤	من أخلاقهم عدم تصدعهم لإزالة منكرات عصرهم
٩٤	من أخلاقهم عدم التكبر من عدم الإذن
٩٥	من أخلاقهم أن يكون أمرهم أمر جد

٩٦	من أخلاقهم الفرح بالحسرة والإغماع بالريح
٩٧	من أخلاقهم مبادرتهم إلى السعي في إزالة الخجل من حليتهم
٩٧	من أخلاقهم عدم سعاية السبيح بالإجابة
٩٨	من أخلاقهم عدم القرور بطول الصحة
٩٩	من أخلاقهم عدم قناعة أحفهم في المحصور مع الله
٩٩	من أخلاقهم كثرة العمل على جلاء مرارة القلوب
١٠٠	من أخلاقهم كثرة نعمهم على فوات هنس الذكر
١٠٠	من أخلاقهم الخذل في الأمر
١٠٠	من أخلاقهم كثرة محبتهم للفقهاء
١٠٦	من أخلاقهم عدم ترك المأمورات الشرعية
١٠٧	من أخلاقهم الأخذ بالمال الحسن
١٠٣	من أخلاقهم النظر في أخلاق الشيخ
١٠٤	من أخلاقهم محبة من يحب الشيخ
١٠٤	من أخلاقهم تقديم ذكر الله على غيره
١٠٥	من أخلاقهم إخبار من مياطة الشيخ
١٠٥	من أخلاقهم كراهية تقبيل الناس لأيديهم
١٠٦	من أخلاقهم عدم الانشراح بأروا المسنة إلا عن استقامة
١٠٧	من أخلاقهم رؤية الذكر المأمور به أفضل من الاشتغال بغيره
١٠٧	من أخلاقهم الرحمة بالعالم كله
١٠٨	من أخلاقهم الخذل في معرفة كلام الشيخ
١٠٨	من أخلاقهم عدم الدخول على الشيخ إلا للخدمة أو الإرشاد
١٠٩	من أخلاقهم عدم رؤية مقامه في المجلس على من لم يحضر
١٠٩	من أخلاقهم عرض صحفهم بوضاً على شيخهم
١١٠	من أخلاقهم اللوم عند رجوع الثياب ثانياً
١١٠	من أخلاقهم التصديق بدل الإعراض
١١٠	من أخلاقهم عدم الانفات إلى المروء إذا مشوا
١١١	من أخلاقهم التصديق بأعرانهم على العالمين
١١١	من أخلاقهم عدم الأزدراء لأحد من خلق الله
١١٢	من أخلاقهم عدم التصبر للقضاء حاجات التلى إلا بعد الرياضة
١١٣	من أخلاقهم القناعة باليسير
١١٣	من أخلاقهم الشكر على السراء والضراء
١١٤	من أخلاقهم نظيف القنوب
١١٥	من أخلاقهم غلبة الرضاء عليهم
١١٥	من أخلاقهم طرح الميل إلى الكونين فتوحهم إلا بالضرورة
١١٦	من أخلاقهم التباعد عن شهوات النفس
١١٧	من أخلاقهم العمل على تحصيل المحصور مع الله
١١٨	من أخلاقهم زيادة الاحترام لإخوانهم الضعفاء
١١٨	من أخلاقهم ليس الرافع من الثياب لا للتصير
١٢٠	من أخلاقهم عند ومع الله عليهم لا يأكلوا اللذيد من الطعام
١٢٠	من أخلاقهم بذل وسعهم في حضور القلب
١٢١	من أخلاقهم الإحسان إلى الضعيف باعنا وظاهراً
١٢١	من أخلاقهم الإحسان إلى كل من صحبهم
١٢٣	من أخلاقهم سواهم الله الحفظ من الخطايا
١٢٣	من أخلاقهم عدم الاعتراض لتصديق شيخهم على غيرهم
١٢٤	من أخلاقهم امتثال المستند لأمر شيخهم

١٢٤	من أخلاقهم حفظ المنافع نطفة العلم
١٢٥	من أخلاقهم عدم شغلهم بالأخلاق المتدبرسة خوف الفتنة
١٢٦	من أخلاقهم الخلق على الظالم
١٢٨	من أخلاقهم طلبهم صلاة الجنازة عليهم لمن عرف نوالصهم
١٢٩	من أخلاقهم عدم الشعور بالفضل على من تصدق عليهم
١٣٠	من أخلاقهم الدعاء للأكابر والأمرأه
١٣٠	من أخلاقهم سد باب الإنكار على شيعهم
١٣١	من أخلاقهم تركية الإخوان في غيبتهم
١٣١	من أخلاقهم انظر من توقع سرأ في المعصية
١٣٢	من أخلاقهم كتمان الفقر والغنى
١٣٢	من أخلاقهم الإنكار من عمل الآخرة
١٣٢	من أخلاقهم عدم الخوض في أمراض الموتى
١٣٣	من أخلاقهم حلاء الطوب من الشهوات
١٣٣	من أخلاقهم اتخاذ النقاء من الكهول
١٣٤	من أخلاقهم صحة الولاية في الخير
١٣٥	من أخلاقهم تقويض الأمر لله
١٣٦	من أخلاقهم العمل على تحصيل محبة الله
١٣٧	من أخلاقهم الحكم بالعمل بين الفقراء
١٣٧	من أخلاقهم نفية الأعمال من الثواب
١٣٧	من أخلاقهم عينا المعصية
١٣٨	من أخلاقهم ذكر أمرأته للشيخ
١٣٩	من أخلاقهم عدم لصح الفقراء
١٤٠	من أخلاقهم النور من صحة الولاية
١٤١	من أخلاقهم تفتيح أخلاق الإخوان
١٤٢	من أخلاقهم عدم قبول الهدية عند التجهات
١٤٣	من أخلاقهم عدم طلب الثواب على العمل
١٤٣	من أخلاقهم إعانة الملبوط
١٤٤	من أخلاقهم عدم حجاب الختم
١٤٤	من أخلاقهم عدم اختيار الشيوخ
١٤٥	من أخلاقهم تعليم الولاية الأدب
١٤٦	من أخلاقهم عدم المبادرة إلى تصريف المتكرين
١٤٧	من أخلاقهم رد المتكرين للكتاب والسنة
١٤٧	من أخلاقهم التحف عن أموال الناس
١٤٩	الوصايا والنصائح الخلقية
١٥١	ترجمة مختصرة للشيخ حسن رضوان
١٥٣	ترجمة مختصرة للشيخ الكري
١٥٧	نماذج من صور المخطوط
١٦١	مقدمة المؤلف
١٧٣	حاشية الشيخ حسن رضوان على الوصية الملحة للمساكين طريقة الخلقية لسيدى مصطفى الكري الخلقية
١٧٥	نماذج من صور المخطوط
١٧٧	المقدمة
٢١٣	فهرس المحتويات